الـمـقـدمـــة

الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على رحمة العالمين ، وإمام الصابرين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فهذا هو الجز الثاني من النسمات ، أقيده في خضم الحملة الصليبية الشعواء على ديننا وقرآننا! يريد الغرب الكافر أن يسلبنا قرآننا! ويريد أن يعلمنا الإسلام الذي علمناه منقذ الإنسانية نبينا صلى الله عليه وسلم !!

استغلوا هذه الأحداث العصيبة ، واستغلوا ضعف هذه الأمة المسكينة، التي رضيت بالدون والهوان ، فرتبوا كما يشاءون ، وخطبوا بما يشتهون :

(**من لم يكن معنا فهو ضدنا)** ، وأرجعوا ما حصل إلى مصدر تعاليم هذه الأمة ، ومادة ثقافتها وهو القرآن !

لأنه الكاشف لفسادهم ، والمظهر لباطلهم . ولأنه يلعنهم ، ويرهب قوتهم !!

إن قرآننا لمن حمله ناصراً ومعينا ، ولمن قام به هادياً ومبينا ، وقد رسم لنا مبادئنا ووضع لنا قيمنا وأخلاقنا ، ولا نحتاج لأعدائنا ، ولا لأذنابهم أن يفسروا لنا هذا المنهاج المتين !!

وإني هنا لا أدافع عن هذا الكتاب العزيز ، الذي أحكمه الله تعالى غاية الإحكام ، وإنما أنبه على ما حصل وأدفع ركاماً وقع ، وأثبت أقواماً أن تزل بهم الأقدام ، أو تزيغ بهم الأبصار ، لا سيما عامة المسلمين ، ومن قلت ثقافته ، وهان عليه استعصامه بالقرآن جراء ما رأى وسمع .

نعم لقد كانت الحملة شرسة ، جعلت كل مظاهر الإسلام إرهابا ، لينفروا الناس عنه ، وليصنعوا إسلاماً غربياً ، يدين لهم بالولاء ، ويخضع ، ولهم ويركع ، ويحتكم إليهم في كل شئ، ويمتطي المدنية ويواكب الحضارة الراقية !!

عجباً لهؤلاء المجرمين كيف زينت لهم عقولهم استهداف القرآن ، وتسديد الحرب عليه !! هل يستطيعون محو القرآن وإلغاءه من حياة الأمة ؟!! كلا . إن هذا القرآن يكشف عداوتهم لنا ، ويحذرنا منهم ومن شرورهم .

إنهم لن يستطيعوا إلغاءه ، ولن يفلحوا في تفسيره كما يشاءون ، مهما حاربوا وتحالفوا أو جيشوا كل ما يستطيعون من قوة !
إن هذه الأزمة الشديدة التي نمر بها , ونخوض بلواها كافية لإيقاظ هذه الأمة , وإنباه دعاتها ومثقفيها إلى خطورة العدو ، وأنه ضخم ، وأنه شرس ، وأنه أخبث مما يتصور ! وهو يملك أحدث القوى والطاقات والتجهيزات إذا نابه أمر ، أو أحس بشئ .
نرجوا أن يكون فيما حدث ويحدث , خير لنا ولأنفسنا ودعاتنا ، ولا يقضي الله لأهل الايمان إلا خيراً **(فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيراً كثيرا)**. (النساء : 19) ..
وقد تحدث بعض إخواننا في الخارج بأن الناس تطلعوا إلى الإسلام ، وأخذوا يسألون ، ونفدت الكتب هناك من كثرة الإقبال عليها .
والمهم ألا نحزن ولا نضجر مما حصل ، فالدين ظاهر ، والقرآن غالب ، ولن يكيد المعتدي إلا نفسه والعاقبة للمتقين .
لكن مثل الذي وقع فرصة للمراجعة والتصحيح ، وتأمل واقع هذه الأمة ، ولعله سائق حثيث للعود للكتاب العزيز ، الذي هو مصدر عزنا وتفوقنا وسبيل نهضتنا وحضارتنا ، وبريد النصر والتمكين بإذن الواحد الأحد .
لماذا الحزن والارتعاد ؟! وقرآننا يكشف المعركة ، ويعلنها صراحة :
(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة : 120)
لماذا الحزن والاغتمام ؟! والقرآن يجلي العداء من البواطن ويجعله أشد من الظواهر :
(ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر) (آل عمران: 118)
لماذا يتهيب كثير من الناس المواجهة ؟! وهي لا بد منها ، وما خلا حق من عداء!!
(وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين)
(الفرقان : 31)
إن قرآننا يجلي لنا ديننا غاية الجلاء ، ويشرح لنا واقعنا أحسن شرح ، ويبشرنا بالنصر والتمكين مهما عظم الطغيان وتبجح الشيطان .

(يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) (محمد : 7)
وقال ربنا ومولانا **(ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)** (الحج: 40)
أرجوأن تكون هذا لحملة (سبيلاً مبينا) للرجوع إلى هذا القرآن ، فنقرأه حق قرآته ، ونتدبره أحسن التدبر ، ونعمل به . إنهم رغم ما يملكون يتهيبون هذا الدين !! فمع ضعفه يرهبونه ! ومع تمزق أهله (يخافونه) ! ومع بعدنا عن القرآن يرتعبون منه !! حتى إنهم سموا حملتهم :

(الحرب على الإرهاب)

لماذا لا يصرحون بحربهم العاتية ؟! والقوة قوتهم ، والترسانة لهم ، والحضارة ملكهم، والمدمرات بأيديهم ، والمعركة من جهة واحدة ؟!!!
أما تفكر المسلم الضعيف إلى هذه القضية ؟!!
لقد سمعنا أكبر وأكثر مسئوليهم الكبار والصغار والأذناب ، يقولون : الحرب لمكافحة الإرهاب، وما استطاع شجاع منهم أن يقولون الحرب على الإسلام !!!
لماذا لم يصرحوا قولاً ، وصرحوا فعلا ؟!
إنهم يخافون هذا العملاق النائم أن يستقيظ ، ويخافون من قومته ، ويخافون وثبته ، ويخافون اجتماعه وقوته .
لقد أيقنوا غاية الإيقان أنهم لن يقتلوا هذه الأمة (عسكريا) وقد اكتنفها القرآن ويرعاها ربها تبارك وتعالى ، وجربوا معارك وحملات كثيرة ، باءت بالفشل ، وما ازداد هذا الدين إلا قوة وصلابة .
إنهم يرهبون مشاعر هذه الأمة لما تجتمع ، وقلوبها لما تستيقن ، وجموعها لما تشتعل . ما أخبثهم من عدو! وما أخبثهم من أمة !
ومع الهوان المسيطر علينا نحن المسلمين ، والغفلة التي تجتاحنا ! يحسون بتأثير القرآن علينا ، وأنه مصدر بعثنا ويقظتنا، فهو الذي يمحو الاستضعاف ، ويزيل المهانة ، ويربي على البذل والتضحية والجهاد ، ومن وقر في قلبه ، وصدق به ، فقد ارتدى جلباب الشجاعة ، لا يحطه إلا مع أسرة الجنة !!
هذا هو القرآن الذي يلهب النفوس ، ويحييها بعد الموات ، ويهديها بعد الضلالة ، ويعليها بعد الاستكانة . هذا هو القرآن الذي

جعل من رعاة الغنم ساسة أمم ! يفتحون الدنيا انتصارا ، ويشقون الهول بسالة ، ولا يخافون في الله سطوة ظالم ولا مكابر .
حمله المسلمون الأوائل ، ففتحوا به الآفاق ، وملؤوا الدنيا عدلاً ورخاء ، واتسعت بهم الفتوحات وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا .
فهو الذي بدل الخوف عزة ، وجعل الأسف سعادة ، وصير القلة كثرة ، وجعلهم أعزة أولي بأس شديد ، يرجون ما عند الله ، ويطمعون في جنات النعيم .
فقد قال قائلهم لما طعنه المشرك من خلفه حتى أنفذه :
(الله أكبر فزت وربِّ الكعبة)
وهو الذي جعل السعدين في الخندق يقولان للأحزاب (والله لا نعطيهم إلا السيف) رغم أنهم طوقوا المدينة ، وزلزلوا النفوس ، وحانت ساعة الهلاك !!
إنها نفوس كبيرة ، وعزائم خارقة فاضت بالإيمان ، الذي أشعله القرآن ، وبلغه رسولنا صلى الله عليه وسلم الذي عرف قدر هذا القرآن فأخذه بقوة ، وأداه بعزيمة ، وتقلده بهمة واستبسال .
فماذا يروم الأعداء من أمة روحها قرآنها ، ولن تعيش بسواه ، ولن تهتدي بغير هداه ، ولن تقبل نظرة ناظر ، ولا تعكير مدبر ولا متحضر !!
إننا وفي انتهاجنا لهذه المواعظ ، رغبنا تقريب القرآن لعامة الأمة ، وجعله (الموجة الأول) لها ، وإعلامها الحق الصحيح ، والمفسر المبين للواقع والأحداث . وبعد حصول ما حصل ، وبشاعة العدوان والإرهاب النصراني ، يعظم الأمر عند الغُير ، وتلح الحاجة أن نستعصم بهذا الكتاب ونجعله عاصماً للأمة من كل خطل وخطر ، ونثبتها به ، وأنه مرجعيتها وعليه يقاتلها الأعداء ويتخطفها الأوباش .
والمتعين علينا إزاء ذلك ما يلي :
أولاً : الصبر والاحتمال ، فبالصبر تنكسر الشدائد ، وتتحطم الخطوب ! فهو درع المؤمنين وملاذ المبتلين ، وقد قال تعالى **(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا)** (آل عمران : 120)
و (شيئا) هنا نكره في سياق النفي أي لا يضركم كيدهم أي شئ .

نسأل الله التقوى والتصبير .
ثانياً : الاستعصام بهذا القرآن ، فإنه حبل الله المتين ، من أخذ به نجا ، ومن تعلق به فاز ، ومن صال به عز وانتصر ، ولينصرن الله حامليه وتابعيه ، موعد لا يتخلف ، وحق لا يتبدل ، **(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ، إن الله عزيز ذو انتقام)** (ابراهيم : 47)
ثالثاً : التفاؤل بما حصل ، والتحرر من الحزن والضجر واليأس ، فما كان من بلاء إلا أعقبته نعماء وسراء ، واشتداد المصيبة مؤذن بالفرج ، ولا يكره المؤمن من أمر الله شيئا ، فكثيراً ما تنكشف المحن عن منن ، والأحزان عن أفراح ومسرات . **قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم : ((عجباً لامر المؤمن ، إن أمره كله له خير)) .**
رابعاً : الانتباه من الغفلة ، والتيقظ بعد الشرود ، للمرحلة الحالية والقادمة ، فإنها أيام سوادء في حياة الأمة ، فالواجب التفطن وأخذ الحذر والاستعداد .
قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم)** (النساء : 71)
خامساً : توثيق الصلة بالقرآن وتكثيف عرضه على الأمة لتهتدي سبيلها ، وتعلم رشدها وتعقل عدوها ، وأعوذ بالله من عليم لسان ، يقول : الإسلام دين التسامح مع الآخرين !! ليميع عقيدة الولاء والبراء .
قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم)** (المائدة : 51)
سادساً : الاستعداد التام بالتصفية والتربية والمقاومة ، بكل ألوان الدفع والمقاومة ، فقد طالت الحرب جوانب عديدة طالت الأرواح والعمران والعقول ومناهج التعليم والإعلام ، بل وحتى الأموال ، قالوا : إنها تدعم الإرهاب !! والله المستعان . قال تعالى **(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة)** (الأنفال : 60)
سابعاً : استيقان وجود الأعداء المتربصين بهذه الأمة ، الذين يزعجهم اجتماع هذه الأمة ، ويخيفهم احتفاؤها بالإسلام ، ويرهبهم ذلك القرآن الكريم ، وكفى السُّذح اغترارا بشعارات الحرية والديمقراطية ، ومعالم الحضارة ، التي تُرفَع لجميع

الناس ، إلا للمسلمين . فما ترى المصائب والمعارك إلا على ديار المسلمين ، ولا القرارات تنفذ إلا عليهم . وما ساق هذه البليات إلا أدعياء الحرية والعدالة والديموقراطية !!
وكل هذا يؤكد للغافلين فينا عداءهم المستحكم لنا كما قال تعالى **(حتى تتبع ملتهم)** (البقرة : 120)
وقال : **(لا يألونكم خبالا)** (آل عمران : 118)
وقال : **(حسداً من عند أنفسهم)** (البقرة : 109)
وقال : **(لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة)** (التوبة : 10)
وقال : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا)** (البقرة : 217)
وكل هذه النصوص القرآنية الصريحة تبطل كل دعوى للتعايش والتسامح والتواد والتحضر مع هؤلاء المجرمين الحاقدين!!
قال تعالى: **(ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين)** (المائدة : 51)
إننا نتعايش مع هؤلاء بمقتضى ديننا ومبادئنا ، وإن عداوتنا لهم لا تمحى إلا بإسلامهم ، ودخولهم ديننا الذي ارتضناه الله للعالمين .
قال تعالى : **(إن الدين عند الله الإسلام)** (آل عمران : 19)
وقال : **(ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين)** (آل عمران : 85)
وقال : **(ورضيت لكم الإسلام دينا)** (المائدة : 3)
لقد خاب وخسر غاضٌ عن هذه الآيات ! وخاب وخسر مبدلٌ لها ، يزعم عدم توافقها مع العصر ، وأنها قد تولت ومضت ، نعوذ بالله من تضييع الأمانة ، ومن انطماس البصائر.
لا بد يا مسلمون أن يكون هذا القرآن منهاجنا وموعظتنا ودليلنا مع الناس . ولا بد أن يكون معياراً لنا في الحكم على الآخرين ، فهو أساس الملة (**وعماد الشريعة**) . وإن أعداءنا يعلمون أن عزتنا بهذا الكتاب ، وأن هواننا بتضييعه وإهماله أو الغفلة عنه .
وإن الأعداء حراص على جعل أمتنا بمعزل عنه ، يحكمهم الهوى , وتقودهم الشهوة !! فهل صحونا يا مسلمون ؟!!
لا نزال نكرر ونؤكد أن هذه الأحداث طريق للتنبه والاستيقاظ ! الأمة تصحو من رقودها وتنتبه من غفلتها ، والعلماء يضاعفون من دورهم ، ويؤدون الأمانة التي حملوها، وينخلعون من (حجاب

الحكمة المهينة) الذي طمست به الحقائق ، وكثر الالتباس ، وغابت المرجعية ، وتكلم الجهال . أما الدعاة إلى الله من احتسبوا نفوسهم وأوقاتهم فإنهم يجلون المعركة ويحددون الأعداء , ويزيدون في إذكاء الإيمان ، وإشعاله بمواد القرآن . الذي لا منارة للأمة تهتدي بها سواها ، ولا منجى ولا ملجأ لها إلا إليها .

لقد غصت الرزايا في جسد هذه الأمة ، لتأتي هذه الرزية لتهون ما سبق ولتجديد الوعي فيها ، ودعوتها للتوحد والاجتماع .

فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ تكسرت النصال على النصال

لقد كشر الصليب عن أنيابه ، وأبان عن أحقاده وشحنائة ، لتكون الفريسة هذه المرة بالغة المتانة ، عميقة القدر ، قد طوِّقت من جميع الجهات ، ولم يعد لها هناك أمل للحياة , أو حتى طلب الغوث والنجدة .

إنهم يريدون جعل هذه الأمة لقمة سائغة لهم ، يلتهمونها متى أرادوا ، ويأكلونها متى اشتهوا !! يريدونها حية بلا هدف ، وباقية بلا رسالة ، وكثيرة بلا اتحاد !!

ويريدون منها أن تبقى في دائرة التخلف والجمود ، تصطلي بنار الجهالات ، وتجتاحها ريح التفاهات والتعاسات ! والله المستعان .

كم كنا نتمنى إيجاد الوعي لدي المسلم ، وأن يكون المسلم المعاصر على (وعي صحيح) بدينه ، وبالظروف المحيطة به ، وألايتعامل مع الأحداث بمقتضى الثقافة البيئية والشعبية ، بل لا بد أن يفقه ما حوله الفقه الشرعي الصحيح .

إن فقدان الوعي الصحيح لدي كثير من هذه الأمة ، هو سبب صريح من أسباب الغفلة المتجذرة في عالمنا الإسلامي . ولقد أفلح أكثر الدعاة إلى الله تعالى في التأثير على المجاهد ، وترقيق القلوب وصناعة الدعاة والعاملين .

ولكنهم قصروا في صناعة الوعي لدى الناس !! أعني وعي المسلم بدينه وبرسالته ، وبما حوله من القضايا والأحداث والأعداء. ومن المؤسف أنك قد تجد بعض الأساتذة والدعاة والمثقفين قليلي الوعي ، ينجرف مع الموجة بلا تفكير ، ويردد ما يقال دون تمييز ، ويخوض المشكلات بلا اعتبار . وهذا ما حصل في هذه البلوى وفي غيرها ! أصبحنا نشكوا من شح الوعي في مجتمعاتنا ، بل حتى على مستوى صفوة الناس (وأفاضلهم) !!

وهنا أجد القلم محتاجاً لنقل كلمات نفيسات (وفرائد عميقات) لفضيلة الشيخ الداعية الكبير والمفكر الفذ الشهير أبي الحسن الندوي رحمه الله تعالى من كتابه (ما ذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) قال في فصل زعامة العالم العربي (ايجاد الوعي في الأمة) !

((إن أخوف ما يُخاف على أمة ، ويعرضها لكل خطر ، ويجعلها فريسة للمنافقين ولعبة للعابثين هو فقدان الوعي في هذه الأمة ، وافتتانها بكل دعوة ، واندفاعها إلى كل موجة ، وخضوعها لكل متسلط وسكوتها على كل فضيعة ، وتحملها لكل ضيم ، وأن لا تعقل الأمور ، ولا تضعها في مواضعها ، ولا تميز بين الصديق والعدو ، وبين الناصح والغاش ، وأنه تلدغ من حُجر مرةً بعد مرة ، ولا تنصحها الحوادث ولا تروعها التجارب ، ولا تنتفع بالكوارث ، ولا تزال تولي قيادها من جرّبت عليه الغش والخديعة والخيانة والأثَرة والأنانية والجبن والعجز ، والخرق والطيش ، وكان سبباً للهزيمة والذلة ولا تزال تضع ثقتها فيه ، وتمكنه من نفسها وأموالها وأعراضها ومفاتيح ملكها ، وتنسى سريعا ما لاقت على يده من الخسائر والنكبات ، فيجترئ بذلك السياسيون المحترفون ، والقادة الخائنون ، ويأمنون من سخط الأمة ومحاسبتها ، ويتمادون في غيهم ، ويسترسلون في خيانتهم وعبثهم ثقة ببلاهة الأمة وسذاجة الشعب وفقدان الوعي .

إن الشعوب الإسلامية والبلاد العربية _ مع الأسف _ ضعيفة الوعي إذا تحرجنا أن نقول :

فاقدة الوعي ، فهي لا تعرف صديقَها من عدوها ، ولا تزال تعاملهما معاملة سواء ، أو تعامل العدو أحسن مما تعامل الصديق الناصح ، وقد يكون الصديق في تعب وجهاد معها طول حياته بخلاف العدو ، ولا تزال تلدغ من جحر واحد ألف مرة ، ولا تعتبر بالحوادث والتجارب ، وهي ضعيفة الذاكرة ، سريعة النسيان ، تنسي ماضي الزعماء والقادة ، وتنسى الحوادث القريبة والبعيدة ، وهي ضعيفة في الوعي الديني والوعي الإجتماعي ، وأضعف في الوعي السياسي ، وذلك ما جر عليها ويلاً عظيما ، وشقاء كبيرا ، وسلط عليها القيادة وفضحها في المعركة)) .

(ط . دار القلم ص :
298,297)

أيها الإخوة في الله : هذا الكلام ، كلام عالم نقادة بصير ، قائم بأمانة العالم ، وفقيه بدينه وأمته ، متدبر للتاريخ والواقع ، غير ملَّقن ولا مقلِّد ، فجزاه الله خيراً على ما قال وأفاد ، فقد أصاب فينا كبد الحقيقة ، ودقَّ منا موضع السقم والبلاء .
فيتوجب علينا الانتفاع بهذا الحديث ولو كرهنا ، والاتعاظ منه ، ولو تجرعنا مرارته ، والإفادة من دروسه وعبره ، وبالإمكان للعلماء والدعاة أن يجعلوه قناةً لبث الوعي في الناس ، واستغلاله في تنظيم صف الأمة ، وترتيب أمورها وشئونها واصلاح نظرتها ، وتصحيح أخطائها . قال تعالى **(وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم)** (البقرة :216)
ومن الخير لنا أن يعيد كثير منا نظرتَه لكتاب ربه ، وأن يجعله هاديه ودليله ، وعينيه التي يبصر بها الأمور ، ويكابد بهما الحياة ، ويستشرف بهما المستقبل .
وهذا القرآن هو الذي سيميز له الأمور ، ويجلي له الحياة ، ويكشف له سر الصراعات والعداوات . ثم هو منبع الثقة والعزة والاطمئنان ، فاتح لطالبه أبواب الرزق والنصر والتوفيق ، مفيض بالنصائح والتوجيهات والمواعظ ، مربٍ للتمييز وحسن التفكير والتأمل .
قال تعالى : **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)**
(الإسراء : 9)
يقول الشيخ العلامة النبيل عبد الرحمن السعدي رحمه الله : ((أقوم)) : أي أكرم وأنفس وأصلح وأكمل استقامة ، وأعظم قياماً وصلاحا للأمور)) (القواعد الحسان ص 45)
وكل ذلك لا يتم إلا لمتدبره العامل به ، المتجه إليه بلسانه وفوآده ، وهو ما نحاول تسهيلة من خلال هذه المواعظ والدروس القرآنية التي أنشأناها لتقريب القرآن للأمة تدبراً وتفهما ، ولتزول حجب استغلاق الفهم عند كثيرين ممن يقرؤه ولا يعيه ، ويتلذذ به بلا تدبر ! وكيف لو وعاه وتدبره ! سيدرك لذته وحلاوته بلا انتهاء ، وسيحوز الخير كله . ولنكشف خطأ من يعتقد قراءته للروحانية والحسنات !! وأن هذا الكتاب لم ينزل للتلاوة فحسب ، بل نزل للتدبر والعمل والاتعاظ ، وليكون نافذه التأمل في هذه

الحياة ، وما تعج به من بلايا ومشكلات وتعقيدات . وليكون الطريق القويمة للضال والمتردد والحيران .
وبعد وعيه وتفهمه لن يجد المسلم إشكالاً أو حيرة في مواجهة هذه الحياة ، بكل تقلباتها ولن يستوحش لسلوكه هدى الله تعالى ولزوم صراطه المستقيم .
إن الاعتصام بهذا القرآن المجيد (أمان) من كل زلل وخطر ، (وعافية) من كل بلاء ومصيبة ، ولا بد أن يدرك الدعاة إلى الله تعالى أن وظيفتهم تجاه القرآن أبلغ من تحفيظه والاستشهاد به عظة وفقها ، وأن المطلوب تعليمه بغرس معاني تدبره ليكون منهاج الحياة ، والمنارة المضيئة لكل مسلم .
لا بد أن يعي المليار وربع المليار أن القرآن كتاب أجلّ من أن يُختزل للقراءة ، أو ترديده في المحافل والمجامع ، أو استشعار الهيبة منه دون تفعيل ذلك في الحياة المعاصرة .
إن هذا الكتاب لا يُعظم بتجميله وتحسينه ، أو رفعه في الخزائن أو إجلاله في النفوس فحسب!! إن تعظيمة بامتثاله موعظة وذكرى , وجعله منهاجا يقتضى في هذه الحياة .
قد تكثر صور التعظيم والتقديس لهذا الكتاب بين المسلمين ، ولكن أكثرها لم يصب الطربق الأصواب والمسلك الأكمل !!
فئمة أناس يعظمونه بتقبيله وآخرون بصونه عن العبث ، وآخرون بالقراءة والترنم، وفئام بالصلاة به ، وآخرون بافتتاح المجالس به !! وكل ذلك من صور تعظيمه ويشكر أصحابها عليها ، ولكن المهم أن يعظم بالعمل به وتدبره وإتخاذه رسالة منيرة يفزع إليها كل مسلم لتبصر والتذكر والاسترشاد .
ومن شحيح وعينا بهذا القرآن أننا احتكرناه داخل المساجد ، وفي ضوء عبادات جزئية شكلية ، لا تفي بحقه ، ولا تؤدي مقداره ولا المقصود من نزوله ووجوده، وقد انعكس هذا المسلك على حلق التحفيظ ، ومدارس القرآن وخريجي المعاهد ، فقل تدبرهم وعظم حفظهم وتلقيهم ، ولم يكن انتفاعهم وتأثيرهم على المستوى المطلوب ، فقد شح حظهم في الجوانب الروحية ، وهانت عندهم القوة المعنوية ، وهم يفقهون القرآن على غير وجهته ، ويضعونه في

غير موضعه ، ويطالعون ماللغرب الكافر من تقدم ورقي وحضارة !!!
فالواجب علينا تصحيح هذا النظرة ، والقيام برسالة القرآن الشاملة ، التي تغمر الحياة بكل آفاقها وأرجائها ، حتى يصح تعظيمنا ، ويصدق تديننا ، وتقوى عزائمنا.

والله الموفق والمعين .

وكتبه راجي عفو ربه العلي

أبو يزن حمزة بن فايع الفتحي

((أم القرى)) صانها الله

الخميس 29 رمضان 1422هـ

1- قال تعالى : **((وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِين))** [1]

أيها الإخوة في الله : إن ربنا تعالى ليس بغافل عن كيد الظالمين ، ولا عــدوان المعتــدين ، ولا بحـــربهم لدينه ، أو فتكهم بأوليائه وجنوده ! ولكنه تعـالى يملي لهم ويطـول لهم في آثـامهم , حـتى يعذر منهم ويبلغهم ساعتهم ، وإنه لهم بالمرصــاد ، لا تخفى منهم خافية ، ولا تغيب عنه من مكائــدهم حــادث أو مكيــدة ، ســبحانه وتعالى .
وما يحصل لهم من الأرزاق واللذائذ في الــدنيا إنما هو اســتدراج من الله حـتى إذا فرحـوا بما أوتـوا ، جـاءهم العـذاب بغتة وهم لا يشعرون ولا يتفكرون . قال تعالى :
(والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم إن كيدي متين) .
فلا يغتر بعض المسلمين بما يـؤتيهم الله من زهـرة الـدنيا ، فإنما هو فتنة لهم واستدراج ، حتى تقوم عليهم الحجة ، ويزدادوا إثما ، ويعترفوا بأنهم كانوا ظالمين.
وهم في كل آثامهم وجرائمهم لا يبلغون كيد الله لهم ، فإن كيــده تعــالى مــتين ، أي قــوي ســديد ، يــأتي المــاكرين من حيث لا يشــعرون فــيرد كيــدهم في نحــورهم , ويقتلهم بســلاحهم , ويسـلطهم على بعض ولا يخفى عليه شئ من أمـرهم ، كما قـال تعالى :
(ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشـعرون ، فـانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) .
فمن يضاهي كيد الله في متانته وقد أغرق فرعون وجنــده ، ومن يسـاوي قوته وقد قتل ثمـود بالصـيحة فأصـبحوا جـاثمين لا أرواح فيهم ، ومن يدرك سرعته وقد أفنى عاداً بالريح العاتية الشــديدة فصاروا كأعجاز نخل منقعر ؟!!!
وصــدق القــرآن إذ يقــول : **((والله أشد بأســاً وأشد تنكيلا)) .**

ربنا انصرنا ولا تنصر علينا ، وأعنا ولا تعن علينا ، وامكر لنا ولا تمكر علينا ، وانصرنا على من بغى علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **الأعراف : 183 ، القلم : 45**

2- قال تعالـى : **((مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى))**[1]
الأولى

لقد كـان هـذا القـرآن مـادة الهداية والنـور ، ومفتـاح السـعادة والضـياء . أنزله تعـالى لصـلاح النـاس ولحمـايتهم من الضـلالة، وليكون به شرفهم وفلاحهم وخيرهم .
فكيف يكون شقاء ، وقد أحكمه الله ؟! وكيف يكون شــقاء ، وقد جعله الله رحمة للنــاس ؟! وكيف يكــون شــقاء ، وقد تلــذذ به المؤمنون وخضع له الكافرون ؟!
نعم وأيم الله **(ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)** إنما أنزلناه للخير والنفع ، فهو رحمة للمؤمنين ، يتـذكر به الـذاكرون ، وينتفع به التالون والمستمعون .
قال تعالى **(إلا تذكرة لمن يخشى) .**
وقد قال صلى الله عليه وسلم (من يــرد الله به خــيراً يفقهه في الدين) وهـذا القـرآن عمـاد هـذا الـدين وهو بـاب العلم والفهم ، ومن أوتيه فقد أوتي خـيراً كثـيرا ، يهتـدي به خـير هداية ، ويصـيب به الصـراط المسـتقيم ، نـاج من كل غي وعمى وضلال .
قال تعالى **(هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتَّقين) .**
وما شقي العالمَ المتحضر إلا بتركهم هذا الدين ، وإعراضــهم عن هذا القرآن العزيز الذي عز به أهل الإيمـان ، وفتحـوا به الآفـاق ، وداموا به على مدار التاريخ .
وهـاهي الأمم الكـافرة تعيش الشـقاوة مع حضـارتها ، وتتجــرع الكروب مع تطورها !!
فلا أمن تهنأ به ، ولا سـعادة تسـتطيبها , ولا ارتيــاح تــأوي إليه ، وهذا جـزاء الكـافرين المكـذبين ، الـذين يضـنون أنهم بحضـارتهم يشترون السـعادة ، أو أنهم بمـدينتهم يحققـون الإطمئنـان لهم !!
وكلا , وقد قــال الله **(ومن أعــرض عن ذكــري فــإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى) .**

---

[1] سورة طه : آية 2.

3- قال تعالـى: **((مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى))**[1] **الثانية**

إن من أسرار عظمة هـذا القـرآن العظيم أنه بـاب السـعادة لمن بغاها ، ومنبع الأمان لمن طلبه . يزداد به أهله نوراً وإيماناً وفلاحاً ، ينير لهم عقولهم وقلوبهم ودروبهم ، فلا يضلون معه ولا يجبنون بحمله ، ولا يشقون بقراءته !
فكيف يكون شقاوة وقارئه يبلغ به السعادة ، ويعيش به اللــذة ؟! لا يمل من قراءته ولا يضــيق من تــرداده وتكــراره ، إنه لكتــاب عجيب !!
فهو لا يخلُق من كـثرة الــرد ولا يشــبع منه التــالون ، ولا تنقضي أسراره وعجائبه !!
(ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) كيف يشـقى به من قـام وأنـاب ، وزاد من تلاوته واسـتطاب ؟! لا يـزداد به قارئه إلا محبة وأنسا ، وارتياحا وسعادة .
قـال تعـالى **(ونزلنا عليك الكتاب تبيانـاً لكل شئ وهـدى ورحمة وبشرى للمسلمين).**
استبشر به العباد فقـاموا به الليـالي الطـوال ، وتـدبروه سـاعات النهــــار لأنه الطريق إلى الله ، والموصل لمحبته ورعايته ، ولأنه مزيل الغموم وكاشف الأحزان والهموم . وهو أفضل الذكر وأحبه إلى الله تعـالى ، وما عُبد بأفضل من كلامه وخطابه . كـان صـلى الله عليه وسـلم يـذكر الله على كل أحيانه ، وكـان الـذكر روحه وبستانه ، ولما قـام بـالقرآن هو وأصـحابه ، قـال المشـركون من قريش : ما أنزل هذا القرآن على محمد إلا ليشـقى ، فـأنزل الله **(طه ، ما أنزلنا عليك القـرآن لتشـقى، إلا تـذكرة لمن يخشى) .**
فليس القــرآن كما زعم هــؤلاء الضــالون !! بل من ذاق حلاوة القـرآن فقد غنم وتنعم، وصـار في عيش طيب وفي لـذة عالية ، فإن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة ، وقد قال بعض الصـالحين : مسـاكين أهل الـدنيا خرجـوا منها وما ذاقــوا أطيب ما فيها قالوا : ما أطيب ما فيها ؟ قـال : محبة الله وذكـره والأنس به ، أو كما قال :
اللهم اجعل القرآن ربيع قلوبنا ، ونور صدورنا ، وجلاء أحزاننا وهمومنا .

---
[1] سورة طه : آية 2

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

4- قال تعالـى : **((ولا يُرد بأسنا عن القوم المجرمين))**[1]

أيظن الكافرون المجرمون أنهم نـاجون من بـأس الله وعذابه ؟! أيظنون أنهم سـيمتنعون بقـوتهم وأسـلحتهم إذا حـانت السـاعة , ودنا موعد الهلاك والانتقــام ؟! كلا والله تعــالى يقــول **(إنا من المجـــرمين منتقمـــون)** وقـــال **(فلا تعجل عليهم إنما نعـدلهم عـدا)** وقـال **(ولا يحسـبن الـذين كفـروا سـبقوا إنهم لا يعجزون).**
وقال **(إنما نملى لهم ليزدادوا إثما)** وقال **(ولا تحســبنَّ الله غافلا عما يعمل الظالمون) .**
إنما هي مــدة تتجلى فيها حكمة الله من الابتلاء والاختيــار وإقامة الحجة ،وتمحيص المؤمنين ، فإذا اقتربت سـاعتهم ، أين سـيذهب الظالمون المجرمون ؟! وأين سيفر المكذبون المستكبرون ؟!
هل لهم حصـــون يتحصـــنون بها ؟! أم لهم قـــوة تـــدفع عنهم ؟! سيأتيهم الله من حيث لا يشعرون وسيذيقهم العذاب الشــديد بما كـــانوا يصـــنعون . وإن للظـــالمين لعـــبرة بمن ســـلفهم من المستكبرين لو اتعظوا وانتفعوا بما سمعوا .
قـال تعـالى **(وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسـله فحاسبناها حساباً شديدا وعذبناها عذابا نكـرا ، فـذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا)** .
لم ينفعهم تكـذيبهم بـدين الله ، ولم تنفعهم حـربهم لعبـاده ، بل ذاقوا من الله العذاب الفظيع ، وعـاد شـرهم عليهم ، وكـان نهاية أمرهم الخسار والدمار ، ولا يُرد بأس الله تعالى عمن حارب دينه أو أجرم في عباده وأوليائه ، مهما طال أمده أو اتسعت حضــارته وقوته ، فإن لكل مجرم نهاية , ولكل أجل غاية **(ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين)** .
اللهم انصر دينك وعبادك المؤمنين ، ودمر الكفرة والمجرمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

[1] يوسف : 110

5- قال تعالـى : **((فَقَاتِلُوا أُوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ))**[1]

يعز المؤمنـــون بطاعة الله ، وأنهم من حزبه وأوليائه ، ويهـــون الكــافرون ويــذلون لأنهم من حــزب الشـيطان وأوليائه ، فــأنى لأولياء الشطان أن يظهـروا على أوليـاء الـرحمن ، وقد لاذوا إلى ركن شديد ، واعتصموا بحبل متين ؟!

وكل عمل لأهل الإيمـــــان إنما هو في ســــبيل الله وطاعته ، فالمؤمنون يتقربون إلى الله ، والكافرون يتقربون إلى الشـيطان ، وأولياء الله يقاتلون في سبيل الله ، وأوليـاء الشـيطان يقـاتلون في سبيل الطاغوت . وفي ذلك تأييد وتهييج لأهل الايمان بأن الله معهم ، وأنهم على الصــراط المســتقيم ، وأنه تعــالى ناصــرهم ومعينهم . قال تعالى **(إن ينصركم الله فلا غالب لكم) .**

ثم زاد تعــالى أوليــاءه المؤمــنين همة وتبشــيراً وتأييــدا بقوله **(فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)** وفي ذلك إعداد لهم على القتال ، وفيه تصبير لهم وتقويه .

(إن كيد الشيطان كان ضعيفا) لقد كـان كيـده واهنـاً في جنب الله تعالى ، وكان واهياً أمام قوة الله وكيـده ، فالله تعـالى أعظم كيـداً من الكائـدين وأسـرع مكـراً من المـاكرين كما قـال تعــالى **(وقد مكر الــذين من قبلهم فلله المكر جميعا)** وقـال **(ومكـروا مكـراً ومكرنا مكـراً وهم لا يشـعرون ، فانظر كيف كـان عاقبة مكـرهم أنا دمرنـاهم وقـومهم أجمعين) .**

فـأي شـرف لأهل الايمـان أن يكـون جهادهم لله وفي الله ، وأي قبح للكــافرين أن يكــون قتــالهم للشــيطان وفي الشــيطان ! لا ارتياب أن كيد الشيطان ضعيف أمام أناس يكيد لهم ربنا تعــالى ، ويمدهم وينصرهم وقد زينهم بزينة الايمان ، الــذي نفخ فيهم روح الايمــان والتضــحية , وجعلهم يتطلعــون إلى ما عند الله بخلاف أولياء الشيطان ، الحرصاء على الدنيا وزينتها .

اللهم تولنا فيمن توليت ، وقنا شر ما قضيت .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] سورة النساء: 76

6- قال تعالى: **((كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً))**[1]

مــريم بنت عمــران من نســاء العــالمين الصــالحات ، اللــواتي اصــطفاهن الله تعــالى وفضــلهن على كثــير من العــالمين . وقد كانت أمها نــذرت وهي حمل أن يكــون ما في بطنها خالصــاً لله ، مفرغاً للعبادة لخدمة بيت المقدس ، فرزقها الله أنــثى فأســمتها مــريم فتقبل الله منها ذلك ، وأنبت مــريم نباتــاً حســنا أي جعلها شــكلاً مليحا ويسر لها أســباب القبــول ، وقرنها بالصــالحين لكي تتعلم منهم ، ومن هــؤلاء زكريا عليه الســلام فقد كفلها لما كــانت يتيمة ، وقيل إنه كان زوج خالتها.

وقد انقطعت هي للعبادة والذكر في محرابها ، وكان زكريا يــدخل عليها يتعاهدها فيرى عندها رزقا ينذهل له كما قال تعالى **(كلما دخل عليها زكريا المحــراب وجد عنــدها رزقا)** فيســألها **(أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) .** وهذا الرزق هو امتنــان الله عليها بفاكهة الصيف في الشــتاء وفاكهة الشــتاء في الصــيف كما قــال جمهــور أهل التفسير على الصحيح.

وفي ذلك حسن رعاية الله تعــالى لعبــاده وأوليائه ، وفيها إثبــات كرامــات الأوليــاء ، وأن الله يخص بعض أوليائه بشئ من فضــله لصدقهم وتقواهم وصــحة تــدينهم ، وهــذا من أصــول اعتقــاد أهل السنة والجماعة.

وفيها أن طاعة الله ســبب للتوفيق والــرزق والرخــاء ، وأن من تفــرغ لطاعته كفــاه هم الــدنيا ، ورزقه من حيث لا يحتسب وفيها فضيلة مريم رضي الله عنها ، وأنها مثلٌ سامٍ لنســاء المؤمنــات ، **قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين :**
((خيرُ نساءٍ ركبن الإبل نساء قــريش ، أحنــاهُ على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يــده)) قــال أبو هريرة : ولم تركب مريم بنت عمران بعيراً قط)) . وقد عد صــلى الله عليه وســلم مــريم من النســاء الكوامل اللاتي قل مثلهن في الخير والطاعة والمواقف الإيمانية .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] آل عمران : 37

7- قال تعالـى : **((وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ))**[1]

هذه الدار دار ابتلاء وامتحان ، يبتلي الله فيها المؤمنين ليطهـرهم وينقي صفهم ، ويرفع درجاتهم . فلم التشـكي من حيـاة لم تخلق إلا للفتنة والابتلاء ؟! فهي لم تصف لأحد ، ولم يسلم منها مخلوق !!

كما قد قيل :

طُبعت على كدر وأنت تريدها صفواً من الأقذاء والأكدارِ

ومكلِّف الأيـامِ ضـد طباعها متطلبٌ في الماء جذوةَ نـارِ

فكل من اغتم واستاء بهذه الـدنيا , فليسـلِّ نفسه بأنها دار الفتنة والبلاء ، وأن البلاء قد حــلَّ بمن ســبقه من العــالمين . فــابتلي الأنبيــاء ، والعلمــاء والصــالحون في كل زمــان ومكــان كما قــال تعــالى **(ولقد فتنا الـذين من قبلهم)** فكل مــؤمن صــادق ابتلاه الله ليعلم حاله وليــبين صــدقه من كذبه . فكل متــألم آسٍ ليتــــذكر **(ولقد فتنا الــــذين من قبلهم) .** فلم تكن الفتنةً خاصة بك ، ولم يكن البلاء ليأتيك لوحــدك **(ولقد فتنا الــذين من قبلهم) .**

والقرآن ملئ بقصص الأنبياء والمصلحين مع أقوامهم ، وما جــرى لهم من الامتحــان والفتنة ، قــال تعــالى **(أحسب النــاس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الـــــذين صــــــدقوا وليعلمن الكاذبين) .**

وفي الخبر الصحيح قال عليه الصلاة والسـلام : ((أشد الناس بلاء الأنبيــاء ، ثم الصــالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فـــإن كـــان في دينه صلابة زيد له في البلاء)) .

ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] العنكبوت : 3

8-قال تعالى: **((كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطَعـاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً))**[1]

أيها الإخوة : كذا هي وجوه الـذين كسـبوا السـيئات من الأشـقياء في الـدار الآخـرة ، تعلـوهم الذلة والحسـرة ، وتنقلب وجـوههم سـوداء مظلمة كقطع الليل الـدامس المظلم ! هل رأيتم الليل المظلم ؟! الـذي لا يبـدو معه شئ ، ويخـاف منه ومن شـكله ومنظره !!

ما تـراه .. تخيل به وجـوه الكفـرة المكـذبين في الآخـرة ! إنه لمنظر مفزع رهيب !! قال تعـالى **(والذين كسـبوا السـيات جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة ، مـالهم من الله من عاصم ، كأنما أغشيت وجوههم قطعـاً من الليل مظلما ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .**

وإنما اسودت وجوههم بقطع الليل المظلم بسبب سواد أعمـالهم وفسادها ، فلا عرفوا ربهم وتنكروا لدينه وحاربوا رسـالته ، جـزاء وفاقاً ، قال تعالى **(يوم تبيض وجوه وتسود وجـوه ، فأما الذين اسودت وجـوههم أكفـرتم بعد إيمـانكم ، فـذوقو العذاب بما كنتم تكفرون) .**

والمعاصي من الكفر بالله ومقارفة الكبـائر هي ظلمة للعبد في وجهه وشـكله وأخلاقه ، يمـيز ذلك أهل الخـير والصـلاح ، لأن للمعصـية ظلمة في الوجه قد لا يراها صـاحبها ، وإنما يراها الصلحاء .

وأما في الآخرة فتبين الظلمة السوداء لسائر الناس , ويفضـحهم الله تعـالى على رؤوس العـالمين كما قـال تعـالى **(ووجـوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة)** أي السواد . وقال جلت عظمته **(ويـوم القيامة تـرى الـذين كـذبوا على الله وجوههم مسودة) .**

نسأل الله تعالى السلامة والعافية ، اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] يونس : 27

9- قال تعالى : **((لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ))**[1]

ربنا تعالى ذوالكبرياء والعظمة ، وصـاحب الجـبروت والملكـوت ، هو خـالق الأشـياء كلها ، وهو مليكها والمتصـرف فيهـا، وبيـده مقاليدها وتصريفها ، ولا يكون في الكـون إلا ما يريد ، أحـاط بكل شئ علماً وأحصى كل شئ عددا ، تبارك اسـمه ، وتعـالى جـده ، ولا إله غيره .

فلا يغيب عن مسلم أن هذا الكون أمره بيد الله خالقه ومـدبره ، وهو يتلو القـرآن في موضـعين منه **(له مقاليد السـموات والأرض)** فخزائن هذا الكون وخيراته بيد الله ، يَهبها لمن يشـاء ويمنعها عمن يشاء لحكم جليلة .

وبيـده أزمة هـذا الكـون ، فلا يعلو إلا من قـدر الله له العلو ، ولا يمكّن إلا من مكنه الله وسخر له الحياة .

وربما اغـتر كثـير من ضـعفاء المسـلمين بتمكين الكـافرين وتسلطهم على الحياة ، ونهبهم للخيرات ، فيظن ظن السـوء بعد وقوع هذه الشبهة منه كل موقع , ومثل هـؤلاء ما قـرؤوا القـرآن حق قراءته ، ولا آمنـوا حق الإيمـان ، ولا تـأملوا سـنن الله في الحياة والتاريخ .

فـإن الله تعـالى يبقي الظـالمين لحكم عظيمة ، هي امتحـانهم وإمهالهم ، ثم يأخذهم بغتة ، ويمنع المؤمنين لتقصيرهم وضعفهم في حمل دينهم ، ولما بينهم من الفرقة والتنـازع ، ولا يحل البلاء إلا بذنب ، ولا يرفع إلا بتوبة واستغفار .

فما تسلط المجرمون إلا بضعف المسـلمين ، الـذين لاذوا بالـدنيا ونسوا ربهم ، فحقت عليهم الذلة والهوان ، ولا يظلم ربك أحدا .

ومع ذلك فما يحصل للكافرين ليس محبة لهم ، وإنما متاع وابتلاء ليزدادوا إثما ولتقـوم حجة الله عليهم وسـوف ينـالهم ما نـال من سبقهم ، ولا يهلك على الله إلا هالك وظالم ، ولـتزولن حضـارتهم وعمارتهم , وليورثنها الله قوماً آخرين , قال تعـالى : **((وأورثنا القـوم الـذين كـانوا يستضـعفون مشـارق الأرض ومغاربها الـتي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسـنى على بـني إسـرائيل بما صـبروا ودمرنا ما كـان يصـنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون))**

والله الموفق والهادي إلى سواء السيل .

---

[1] الشورى : 12 – الزمر 63.

10- قــال تعــالى : ((**وَلَقَــدْ صَــدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْــدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ**))[1]

إن وعد الله تعـالى عبـاده المؤمـنين بالنصر لا يتخلف ، وكلامه لا يتبدل ، ولكن قد تتخلف أسباب النصر ومقوماته من أهل الايمـان أنفسـهم ، فيحصل التـأخر ويطـول الانتظـار . ولكن مـتى صـدق المؤمنون وصـبروا جـاءهم نصر الله ، فعلَت كلمتهم ، وقُطع دابر الذين ظلموا ، والله لا يخلف الميعاد كما قد قال : **(وكـان حقا علينا نصر المؤمنين) .**

وقال **(إن تنصروا الله ينصـركم)** وقـال **(ولينصـرن الله من ينصره) .**

وهنا يقول **(ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه)** أي تقتلونهم بإذنه ، وقد كان ذلك في غزوة أحد لما اتقوا وصبروا نصرهم الله أول النهار وكـانت لهم الجولة ، وقد كـان ابن عبـاس رضي الله عنهما يقـول إنهم انتصـروا ويسـتدل بهـذه الآية ، وقد كان تم ذلك بوعد الله الصادق لهم وسحقوا فيه راية المشركين ، ولكن لما حصل ما حصل من الرمـاة الـذي وضـعهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم على الجبل ، فخـالفوا أمـره ، هـزمهم الله وسـلط عليهم الأعـداء كما قـال تعـالى **(حـتى إذا فشـلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون ،منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)** وذلك أنهم رأوا الغنيمة يجمعها أصحابهم ، فتحركت نفوسهم لـذلك ، ونسـوا كلام رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لهم فعـاقبهم الله على ذلك ، **وقد روي عن ابن مسعود أنه قال : (ما كنت أرى أن أحداً من أصحاب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم يريد الدنيا حتى نـزل ما نـزل فينا يـوم أحد (منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة) .**

وفي هــــذه الموعظة من الفوائد : أن النصر من عند الله وحــده ، وأن وعــده في عبــاده لا يتبــدل ولا يتخلف ، وأن النصر مرهون بالصبر والثبات وعدم المخالفة ، وفيها أن أيام المعارك , دول مرة لك ومرة عليك كما قال تعالى **(وتلك الأيام نداولها بين الناس)** . وفيها ابتلاء الله لعباده المؤمـنين لمزيد التصـفية والتمحيص، وفيها شـؤم الـدنيا ، وإنها قد تكـون سـبباً في فـوات الخير ، وحصول الفشل والخسارة والله المستعان .

---

[1] آل عمران : 152

11- قـــال تعالـى : **((وَمَا تُغْنِي الآيَــاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ))**[1]

أيها الإخوة : سبحان الله كيف لا تؤثر هذه الآيات والدلائل الكونية في أنـاس يبصـرون ويشـاهدون ؟ وكيف لا تنفع فيهم وهم يـرون جمالها وزينتها وتحركاتها ؟!! أما لهم أعين ؟! أما لهم ســـمع ؟! أما لهم قلوب ؟!
وحين لم تنفع تلك الآيـــات ، لمـــاذا لم تنفعهم مواعظ الرسل وبينــاتهم ، وما فيها من دلائل الايمــان بالله وحــده ، والخضــوع لقدرته والتسليم لشرعه ! إنه لشئ عجيب !
ولكن من تأمل هذه الآية الشريفة **(وما تغني الآيات والنــذر عن قوم لا يؤمنون)** يندفع عنه ذلك الإشـكال ، ويعلم أنه من طمس الله بصـــيرته وأعمى قلبه ، لا ينفعه رؤية تلك الآيـــات لا الكونية ولا الشرعية ، فيصـبح كل ما أمامه مظلما ، والعيـاذ بالله !! لا يحرك به طرفا ، ولا يحـدث قشـعريرة ، وذلك مثل القلـوب القاسـية ، الـتي هي كالحجـارة أو أشد قسـوة ، فنعـوذ بالله من فساد القلوب وقسوتها , فسادها بالعمى، وبالهوى وبالاستكبار .
كبف لا تغـني الآيـات فيمن يـرى الآيـات ؟! وكيف لا تنفع النــذر فيمن يهـاب النـذر ؟! **قال صـلى الله عليه وسـلم كما في الصحيحين ((ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فســـدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)) .**
إنما تنفع الآيــات في القلــوب المســتنيرة ، الراغبة ما عند الله ، والـتي لم يصـبها الـرين والعمى والفسـاد ، ولا حـول ولا قـوة إلا بالله .

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن قلب لا يخشع ومن دعاء لا يُسمع .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

[1] يونس : 101

12- قال تعالـى : **((إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً))**[1]

أيها الإخـوة : لم يكن عـذاب جهنم يسـيراً لتحل بالكـافرين بعـده الفرحة ، ولم يكن ليتقطع لينــالهم الارتيــاح ! ولكنه عــذاب خالد دائم ، لا يخرجـون منها ولا هم يسـتعتبون ، كما قـال تعـالى **(إن عـذابها كـان غراما)** أي ملازما دائما ، لا يـزول ، ولا يخف ولا يتقطع ! وإن عذاباً بهذا الوصف ، خليقٌ بالمؤمن التالي للقــرآن ، أن يُعـــدَّ له عدته بـــالخوف والخشـــية والإقبـــال على الطاعة ، واجتناب أسباب اللعنة والعذاب كما قال تعالى :
(فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجـارة) وقـال **(يا أيها الذين آمنوا قو أنفسكم وأهليكم نارا).**
والوقاية من النـار إنما هو بالأعمـال الصـالحة ، وسـلوك مسـالك أهل الجنة ، واجتناب طرق أهل النـار مهما قلت وصـغرت ، فـإن النفس لأمــارة بالســوء ، والشــيطان يــزين للعبد , ويقعد له كل مرصد .
ولما أدرك الصــالحون من عبــاد الــرحمن خطــورةَ جهنم وشــدة عذابها وديمومته ، جـأروا إلى الله يدعونه ويسـتغيثون به ، وكـان من دعـائهم المنقـول : **(والـذين يقولـون ربنا اصـرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما ، إنها ساءت مستقراً ومقاما) .** أي إنها بئس المنزل منظراً ، وبئس المقيل مقاما .
لم يحتمل الصـالحون ذلك الوصف ! وخشـعت قلـوبهم من رهبته وشدته !! ولجأوا إلى ربهم تعوذاً واعتصـاماً **(ربنا اصـرف عنا عذاب جهنم) .**
فيتعين على المســلم التعـوذ بالله كثـيراً من عـذاب جهنم ، فقد كان النـبي صـلى الله عليه وسـلم يسـتعيذ بالله من أربع ، خاتمة كل صـلاة فيقـول (**اللهم إني أعوذ بك من عـذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممــات وفتنة المســيح الـدجال) .** ومما صح عنه أيضــاً في الصـلاة قوله (**ا للهم إني أســألك بــأن لك الحمد لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، المنان ، يا بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكــرام ، يا حي يا قيــوم إني أســألك الجنة وأعوذ بك من النار) .**

[1] الفرقان : 65

وصح عند النسائي من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال : **((من استجار من النار ثلاث مرات قالت النار ، اللهم أجره من النار)) .**
نسأل الله أن يجيرنا وإياكم من النار .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

13- قال تعالى : **((لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ))** **(1)**

الابتلاء سنة الله في عباده ، ولا يكمل إيمان بلا ابتلاء ، ولا يحسُنُ خير بلا امتحان ولأواء ، ومثل هذه البليات في الأموال والأنفس لا ينفـكُّ عنها أهل الايمـان فالله تعـالى يقـول **(لتبلـون في أموالكم وأنفسكم) .**
ويقول **(أحسب الناس أن يتركوا أن يقولـوا آمنا وهم لا يفتنون)**
والبلاء في الأمـوال بتلفها أو نقصـانها ، والبلاء في الأنفس بموتها أو سقمها وضررها ، وكلما قوي إيمان العبد ، زيد في بلائه وشُدِّد عليه في امتحانه ، حكمةً من الله ليصح ايمانه ويكـثر ثوابه وتكفر سيئاته .
قال صلى الله عليه وسلم كم في الحديث الصحيح : ((ما يـزال البلاء بـالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولـده وماله حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة)) .
وإنما يُشـدَّد في ذلك على أهل الإيمـان والتقـوى ، وقد لا يحصل لكثـير من النـاس لهـوانهم على الله . **قـال الـراهب للغلام المؤمن كما في قصة الأخدود في الصحيحين (أيْ بني أنت اليوم أفضل مني ، قد بلغ من أمرك ما أرى ، وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فلا تـدلَّ عليَّ)** ويبتلي المـؤمن على قد ر دينه ، فإن كان في دينه صلابة ، زيد له في البلاء .
وقد ابتلي نبينا صلى الله عليه وسلم كثيراً وهو خير الأمة ، ونـال من الـذين أشـركوا أذى كثـيراً ، وقابل كل ذلك بالصـبر والرضا والتسليم ، وقاوم قدر الجهد والطاقة .
ولما دميت أصبعه في بعض المعارك قال :

---
[1] آل عمران : 186

هل أنت إلا إصبعٌ دَميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

فلم يجـــزع لما أصـــابه ، وما وَهَن ولا انكسر ، بل صـــبر وجالد واحتسب ، وهو الذي علم أمته الصبر في البلاء والشدائد وقـال : **(ومن يتصــبر يصــبره الله)** ، وقــال على رضي الله عنه : الصبر مطية لا تكبو .

اللهم وفقنا لطاعتك ، واجعلنا من عبادك الصابرين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

14- قال تعالى : **((فَلاَ تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَؤُلاءِ))**[1]

في هذه الأزمنة تكثر المعبودات والآلهة التي يلتجئ إليها الناس من دون الله تعالى ، ومع أن المليار مسلم يدعون رباً واحداً ، وله يصلون ويخضعون ، إلا أن هناك مليارات ضخمة تاهت في عبودية الشيطان , وتفرقت بهم السبل ، فأمم تتعلق بديانات محرفة ، وقد هيمن عليها القـــــــرآن وألغاها ، ولا يقبل الله إلا الإسلام كما قال تعالى **(إن الدين عند الله الاسلام)** وأمم تعلقت بإرث الآباء والأجداد فعبدت ما هو مخلوق وما هو قذر وما هو جماد لا يتحرك ! المهم رضيت بموروث السابقين سواء كان ضاراً أو نافعا !!
وأخرى بلا دين ولا هداية ، تمارس حياتها كالبهائم ، وإن كانت البهائم ذاكرة الله وآخرون يعبدون أهواءهم ويتخيرون ما يريدون ، ولا يجدون غضاضة من الانفكاك عن الدين ، والبعد عن الشرائع ، طمعا في الراحة والسعادة زعموا !!
وهؤلاء كلهم يُشاهدون في هذه الحياة الدنيا العجيبة ، وقد يخالج المسلم منهم شك ، ويستوحش دينه وسبيله ، ونقول له كما قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم **(فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء)** أي لا تشك في دياناتهم الفاسدة , وتعلقاتهم الباطلة , فإنها زائلة خاسـرة . فكل ما عُبد من دون الله فهو باطل كما قال تعالى **(ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل)** .
فلا ينخدع مسلم بكثرة أهل الباطل والشرك ، وقلة أهل الخير والتوحيد ، فإنها سنة الله في خلقه ، وقد قال في نوح عليه السلام **(وما آمن معه إلا قليل) .**
وقد علل الله فساد وبطلان آلهة هؤلاء فقال **(ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل ، وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص)** أي إنما يعبدون ما ورثوه من آبائهم وأقوامهم وليس لهم فيه أدنى اختيار أو تفكير ، وهذه بلية أخرى إنهم مع شركهم ، يقلدون في الباطل والعمى ، ولا يدركون هوان هذه المعبودات المتخذه من دون الله ، وإنما جرهم إليها تقليدهم الأعمى ، والله المستعان .

---

[1] هود : 109

15- قال تعالى : **((قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي))**[1]

إن مما يعين ويسهل أداء الواجبات والتكاليف شرح الصدر ، واتساعه بالخير والذكر ، ليتحمل المؤمن بعدذلك كل ما يصيبه في أداء رسالة الله تعالى . ولما علم موسى عليه السلام صعوبة المهمة التي أمره الله بأدائها ، وهي التوجه لدعوة أكبر طاغية ، لعله يتذكر أو يخشى ، وأن في ذلك من المخاطر ما فيه لا سيما وأنه وحده ، وقد جرى منه ما جرى من القتل ، فأحسَّ بالعبء العظيم عليه ، سأل الله الانشراح والإعانة في هذه الدعوات ، التي أولاها **(رب اشرح لي صدري)** أي وسعه وأفسحه ، لأتحمل الأذى القولي والفعلي ، ولا يتكدر قلبي بذلك ، ولا يضيق صدري ، فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم .

ومن أسباب انشراح الصدر : التوحيد والايمان ، فكلما زاد ايمان العبد زاد قلبه انشراحاً واتساعاً حتى يصير أوسع من الدنيا قال تعالى **(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه)** .

والايمان هو منارة الطريق في هذه الحياة الدنيا ، وبدونه يصبح الانسان في ضيق وظلمة وكدر . **ومنها** العلم النافع فإنه مفتاح السعادة والاطمئنان ، وطريق العيش الطيب .

ومنها دوام ذكر الله وكثرة الإنابة إليه ، **ومنها** دعاء الله وسؤاله كما حصل لموسى هنا فإن موسى عليه السلام منشرح الصدر بما في قلبه من العلم والنور ، ولكنه سأل لذلك الموقف الشديد ، ولأن العبد محتاج دائما لعون الله وتأييده وتسديده، ولا تخلوا الأنفس من غفلات وهنات .

وإذا انشرح صدر العبد للعمل تمت له السعادة ، وصار قادراً على الخير ، محباً للطاعة ، متحملاً في سبيلها كل مكروه وأذى . لذلك فضل عظيم لا يؤتاه إلا أهل الايمان ، وهم متفاوتون بحسب نصيبهم من الخير والعلم والذكر ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذوالفضل العظيم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] طه : 25.

16- قال تعالـى : **((وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ))**[1]

لقد آتى الله تعـالى نبيه داود عليه السـلام فضـلاً مبينا ، وملكـاً عظيما ، كما قـــال تعـــالى **(ولقد آتينا داود منا فضلا ، يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد) .**
ومن فضل الله عليه أن جعل الجبـــال تســبِّح معه ، إذا ســمعت صــوته ، فقوله **(أوّبي)** أي ســبحي ، ومن الفضل المــبين أيضا قوله **(وألنا له الحديد)** هذا الحديد الصــلب المتجمد ألانه الله ذو القوة والجبروت له حتى صار في يديه كالخيوط لا يدخله نــاراً ولا يضــــــــــربه بمطرقة ! فما أعظمه من فضل ، وما أجله من تسخير وتأييد .
ثم قــال تعــالى **(أن اعمل ســابغاتٍ وقــدر في الســرد)** والسابغات هي الدروع ، فكان يصنع من هــذا الحديد دروعا ، وقد أرشده الله عزوجل إلى تقدير ذلك في السرد ، أي يقـدره حلقا ، ثم يدخل بعضـها ببعض ، وقيل المعـنى : لا تـدق المسـمار فيغلق قي الحلقة ، ولا تغلظه قيقضمها واجعله بقدر .
وقد كانت صـناعة الـدروع من نعم الله تعـالى عليه ، ومن تعليمه له كما قال تعالى في آية أخرى **(وعلمناه صـنعة لبـوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)**
ثم أمره ثم تعالى بالأعمال الصالحة والجد فيها ، وإن تكـون هـذه النعم الجزيلة مستعملة في طاعته وعبادته قال تعالى **(واعملوا صالحا إني بما تعملون بصير).**
وفي هذا السـياق من الفوائد : اصـطفاء الله تعـالى لبعض عبـاده بـالخير والفضـل، وفيه فضل داود عليه السـلام ، وأن الله امتن عليه بمنن جســــيمة ، وفيه عظمة الله وأن له القــــدرة المطلقة ، فهو على كل شئ قدير . وفيه أن من شـكر النعمة أن يسـتعملها العبد في مرضـاة الله ، وليحـذر البغي فيها ، فـإن الله محيط به ، لا تخفى عليه خافية .
اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] سبأ : 10.

17-قال تعالـى: **((إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ))**[1]

أيها الإخوة : إنما تبلى الاستقامة وتُختبر في البواطن والخفيـات ، حين لا يكون مع المرء أحد سوى الله تعالى ، فيـدعوه الشـيطان للمعصـية ، وتوسـوس له نفسه ، فمن تـذكر الله وخشـيه حق الخشـية كـف وانتهى ، ومن نسي ربه واستسـلم لاغـراءات الشيطان ، وقع في البلية والعياذ بالله .

وهنا يمتدح الله عباده المؤمنين ذوي الخشية والمهابة لله تعالى ، ويرتب لهم أعظم الثواب وأحسنه **(لهم مغفرة وأجر كبـير)** يتجاوز الله عن سيئاتهم ويستر ما لهم من ذنـوب , ويـثيبهم الأجر الكبير على تعظيمهم لله ، وخشيته في أماكن الفتنة والاغراء .

ولا يصـمد في تلك الأمـاكن إلا من عمَر الإيمـان قلبه ، ورُزق خشـية تحـلّ معه أينما كـان في حضـره وسـفره ، وفي اجتماعه وخلوته ، وفي نشاطه وكسله . فهو يملك وقاء متينا يصُـدّ له كـلَ سـهام ابليس والنفس والهـوى . ومن لم يكن له وقـاء , نـزل به البلاء , ونالت منه البأساء والضراء .

قـال صـلى الله عليه وسـلم كما في الصـحيحين : في حـديث السـبعة أصـحاب الظلال **((ورجل دعته امرأته ذات منصب وجمـال ، فقـال : إني أخـاف الله))** فما الـذي دعا هـذا الصـالح الخاشي أن يـدع هـذه اللـذة وقد جاءته ، يحفها المنصب والجمـال ؟! ما منعه إلا خـوف الله وخشـيته وعلمه بما في هـذه المعصية من قبح وقذارة .

وأما الذين لا يخشـون الله إلا أمـام النـاس ، وإذا خلـوا لعبت لهم نفوسهم ، فهؤلاء قد ظلموا أنفسهم وخانوا إيمـانهم ، وما اسـتقر خـوف الله فيهم وقد جـاء فيهم ما رواه ابن ماجة في سـننه عن أبي عامر الألهاني رضي الله عنه وصححه المنذري والبوصـيري ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لأعلمنّ أقواماً من أمتي يـأتون يـوم القيامة بحسـنات أمثـال جبـال تهامة بيضـاء فيجعلها الله هبـاء منثـوراً)) قـال ثوبـان : يا رسـول الله ، صـفهم لنا ، جلّهم لنا ، ألا نكـونَ منهم ونحن لا نعلم ، قـال : ((أما إنهم إخـوانكم ، ومن جلـدتكم ، ويأخـذون من الليل كما تأخـذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها)) .**

وقال الحسن البصري رحمه الله : الإيمان من خشي الله بـالغيب ، ورغب فيما رغب الله فيه ، وزهد فيما أسخط الله .

[1] الملك : 12

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

18- قال تعالى : **((إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا))**[1]

أيها الإخـــوة : إنما يُســـلَّط الشـــيطان على النفـــوس الخاوية ، والقلــوب الغافلة الــتي ليس لها درع واقٍ من الإيمــان والــذكر ، يصد كيدَ الشيطان وحبائلَه !

ولذا كان الإيمانُ الصـادق سـبباً في عصـمة المسـلم من أسـباب الغواية ، ومن محاولات الشيطان إضلالهم وفتنتهم ، قال تعالى **(إنه ليس له ســـلطان على الـــذين آمنـــوا وعلى ربهم يتوكلون) .**

فكل مـؤمن صـادق متوكل ، فهو في كلاءة من الله ، تحـول دون تعـــدي الشـــياطين عليه ، وتحـــول دون غفلته وانخداعه . إذ إن الايمان بما فيه من عقيدة راسخة وعمل مستقيم ، وتوكل صحيح ، يــرهب سـائر الأعــداء بما فيهم الشــيطان ، فلا يجد الشــيطان طريقا على المؤمن العابد الذاكر ، وإنما يجد طريقه على الغافل اللاهي الذي هان إيمانه ، واهتزت عقيدته وقصَّــر لســانه عن ذكر الله .

والإيمان الجاد ليس كلماتٍ تقال ، أو خطباً تــردد ، وإنما هو نطق وصــدق وعمل ، وإلا فــإن كثــيرين يــدعون الايمــان , ومع ذلك يتســلط عليهم الشــيطان وينتصر عليهم ، ويجــرهم إلى مفاتنه وبلاياه .

فتحقيق الإيمان إنما يكون بالأعمال الصــالحة من المحافظة على المفروضات وكثرة الذكر والقــراءة والصـدقة وأشـباهها . وليعتن المــؤمن بالأذكــار العاصــمة من الشــيطان كآية الكرسي وأذكــار المســاء والصــباح ومن ذلك ما رواه الشــيخان عن أبي هريــرة رضي الله عنه أن **رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((من قـال لا إله إلا الله وحـده لا شـريك له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قــدير ، في يــوم مائة مــرة ، كـانت له عــدل عشر رقــاب ، و كتبت له مائة حســنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حـرزاً من الشـيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جــاء به إلا رجل عمل أكثر منه)) .**

ومثل هذا الذكر لا يحافظ عليه إلا أهل الايمان المفرِّدون ، الــذين أنسوا بذكر الله ومحبته ، جعلنا الله وإياكم منهم .

---

[1] النحل : 99

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

19- قال تعالـى : **((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ))** **(1)**

أيها الإخـوة : ما أجلَّه من مـدح ، وما أحسـنَه من ثنـاء ! في حق العباد الصالحين قوام الليل ، الذين آثروا الطاعة ومحبة الله على الهنــاءة بــالنوم على الفــرش الوطيئة والأســرة الوثــيرة ، فقد تجافت جنـوبهم عن مواضع النـوم أي تباعـدت وتنحت محبـةً الله وإثاراً لمرضاته ، وهؤلاء مَنْ وصفَ الله بـأنهم المؤمنـون بالآيـات قال تعـالى **(إنما يؤمن بآياتنا الـذين إذا ذكـروا بها خـروا سجدا ، وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون) .**
ثم زاد من وصفهم بـأنهم **(تتجافى جنـوبهم عن المضـاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعا)** أي خوفاً من عذاب الله وطمعاً في رحمته .
وقد اختلف المفسرون في تعين الموصوفين بهذا الوصف البــديع على خمسة أقــوال ، والأقــرب الأحسن أنهم أهل قيــام الليل ، الذين انتبهوا حال نـوم النـاس وتلـذذهم بالراحة ، فهبـوا مجيـبين داعي الله وراغـبين فيما عند الله ، فـإن قيـام الليل أفضل صـلاة بعد المكتوبة ، وهو دأب الصـالحين ، وديـدن المتقين . وإنما كـان المقصود قيام الليل لأنه الملائم مع اللفظ في قوله **(تتجافى)** فهــذا القــائم قد جفا مضــجعه وقت منــام النــاس ، وهو الأليق بالمتهجـدين ، ويـدل عليه حـديث معـاذ رضي الله عنه عند أحمد والترمذي وقال : حسن صحيح **. قال معـاذ : كنت مع النـبي صلى الله عليه وسـلم في سـفر وأصـبحت يوما قريبـاً منه ، ونحن نسـير فقلت : يا نــبي الله أخــبرني بعمل يدخلني الجنة ، ويباعدني من النار ، قال : ((لقد سألت عن عظيم وإنه ليسـير على من يسَّـره الله عليه ، تعبد الله ولا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتـؤتي الزكـاة وتصوم رمضان ، وتحج الـبيت ، ثم قـال : ألا أدلك على أبواب الخـير ؟ الصـوم جُنَّة ، والصـدقة تطفئ الخطيئة وصــلاة الرجل في جــوف الليل ،** ثم قــرأ **(تتجــافى جنوبهم عن المضاجع)** حتى بلغ **(جزاء بما كانوا يعلمون)** . الحديث .
وقد قـال ابن رواحة رضي الله عنه في مـدح رسـولنا صـلى الله عليه وسلم :

---

[1] السجدة : 16.

يَبيتُ يجافي جنَبه عن فراشِهِ إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجعُ

وفي هذه الآية من الفوائد : فضيلة قـوام الليل وحسن ثنـاء الله عليهم ، وأن صـحة الايمـان وصـدق العمل طريق لمضـاعفة الطاعة ، وفيها عظم ما أعدّ الله لهـؤلاء المؤمـنين الفـائزين فقد قال **(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جــزاء بما كانوا يعلمـون)** وفيها شـرف العبـادة حين غفلة النـاس ، نسأل الله من فضله وإنعامه.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

20- قال تعالـى : **((تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ))** [1]

لقد فـاز قـوام الليل بـأطيب الثـواب وأحسـنه لما خلـوا بـربهم ، واسـتطابوا مناجاته والقــرب منه . **(تتجــافى جنــوبهم عن المضاجع)** تنحوا عن كل لذة من لذائذ الـدنيا ، طعمـاً فيما عند الله وتلذذاً بحلاوة الصلاة في الليل .
فـإن المجـافي جنبه في الليل قد جـافى راحـةَ الفـراش ، ولـذةَ النساء ، وجافى ما عليه الناس غالباً من الراحة والسكون ، فهبَّ إلى ربه خاشعا ومنكسراً ، يرتِّل آياته وينطرح بين يديه ، ويـدعوه خوفاً وطعما ، فنال من الله هـذا الوصف الجميل ، وهـذا الثـواب الكبير **(تتجافى جنوبهم عن المضاجع) .**
وفي ثـوابهم قـال **(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين)** وقرة الأعين هو ما تُسرُّ به النفـوس وتطمئن ، وقيل إنها تقر به وتنشرح فلا تطمع لغيره .
وهنا لطيفة عجيبة وهي أنهم لما أخفـــوا عبـــادتهم عن النـــاس وقـــاموا في وقت النـــاس فيه نـــائمون ، أخفى الله لهم نعيمهم وثوابهم يوم القيامة .
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه **أن النــبي صلى الله عليه وسلم قال : قال الله تعالى : ((أعددت لعبادي الصـالحين ما لاعين رأت , ولا أذن سـمعت ، ولا خطر على قلب بشر)) قال أبوهريرة: (قرؤوا إن شئتم**

---

[1] السجدة : 16

(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قــرة أعين جــزاء بما كانوا يعلمون)
ومما يعين على مجافــاة المضــجع وقيــام الليل أولاً : استشعار فضل القيام وأنه من خـير العبـادات ، ثانيـاً : إصــلاح العمل بالنهــار بــالتقوى والاســتغفار ، **ثالثــاً** : استصــحاب نية القيــام كل ليلة والحــرص على النــوم مبكــراً ، متوضئا ، وذاكراً لله . **رابعاً** : اجتناب المعاصي فإنها قيود القيام والحائل عن النشاط والانشراح .
قال بعض العباد : رأيت الفوائد ترد في ظُلَم الليل .ومما صح في فضل صـلاة الليل ما رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبـان وغـيرهم ، عن ابن مســعود رضي الله عنه **أن النــبي صــلى الله عليه وســلم قــال : ((عجب ربنا من رجلين : رجل ثــار عن وطائه ولحافه ، من بين أهله وحبه إلى صلاته ، فيقول الله عزوجل : أيا ملائكتي : انظروا إلى عبدي ، ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صــلاته ، رغبــةً فيما عندي ، وشفقةً مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله ، وانهــزم أصــحابه ، وعلم ما عليه من الانهــزام ، وما له في الرجـوع ، فرجع حـتى يهريق دمه ، فيقـول الله لملائكته : انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عنـدي ، وشفقة مما عندي ، حتى يهريق دمه)) .**
ومن تأمل هذا الخبر عرف قـدر قيـام الليل ، نسـأل الله التوفيق والإعانة .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

21- قـــال تعالى : **((نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْــكَ أَحْسَــنَ القَصَصِ))**[1]

لقد تضــمن هــذا القــرآن أحسن القصص وأطيبها وأزكاها ، لأنه مـوَحًى من الله ، ولِما جعل الله فيه من سلاسة العبـارات وبـديع المعاني التي تأسر القلوب وتجتذب النفوس .
فلا يجد المرء قصصاً أروعَ من قصص القرآن لصدقها ، ولا يسمع أحسن منها لجمالها وحلاوتها .
(**نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن)**
فقد اشتمل هذا القـرآن على قصص الماضـين وأخبـار السـابقين من الأمم والأنبيــاء والصــالحين وغــيرهم وجعلها عــبرة وموعظة لأولي الألبـــاب ، الـــذين يعونها ، ويتنـــاقلون أســـرارها ، فهم المنتفعون بها .
ولقد كان لتلك القصص والأخبـار أعظم التـأثير على النـبي صـلى الله عليه وسـلم وصـحابته ، لا سـيما قصص الأنبيـاء فقد قـال له تعـــالى **(وكلاً نقص عليك من أنبـــاء الرسل ما نثبت به فوآدك)** فهي تساق للعظة والاعتبار ، ولم تكن أحاديث تفـترى، أو أخباراً تُصــطنع ، بل إنها حق وصــدق **(بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين)** أي وإن كنت يا محمد لمن الغافلين عن ذلك لا تعلمه ولا شيئاً منه .
ومن قـرأ القـرآن ولم يتأمل قصصه وأخبـاره الـتي نقلت بلسـان عربي مبين ، فقد هوى في مهاوي الغفلة ، وطار لبه وصوابه ، إذ إن القصص القرآني جانب واسع في القـرآن وإنما يـدرك فوائـده ويعيش لذته المتـدبرون والمتـأملون ، الـذين إذا قـرأوا القـرآن ، قرؤوه حق قراءته .
وهذا القصص مجـال تربـوي مفيد لتربية الناشـئة ، وتقـريبهم من القــرآن ، ليرسخ الإيمــان ولـتزداد البصـيرة والفهم بتــاريخ الأمم وأحـــوالهم ، وقد أجــاد غــير واحد اســتخلاص القصص القــرآني وصــياغته بأســلوب ملائم للناشــئة كقصص النبــيين للشــيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله ، وله كذلك سيرة خاتم النبـيين ، وكلها مكتوبة للأطفال بأسلوب سهل وميسور.
وقد عقب تعـالى قوله **(نحن نقص عليك أحسن القصص)** بقصة النـــبي الكــريم يوسف عليه الســلام ، تلك القصة العجيبة

---

[1] يوسف : 3

النافعة الـتي اسـتغرقت السـورة كلها ، وكـان فيها من العجـائب والفوائد ما جعل الأبصار تشخص إليها وتعتني بها وقد قال تعالى **(لقد كان في قصصهم عـبرة لأولي الألبـاب ، ما كـان حـديثاً يفـترى ولكن تصـديق الـذي بين يديه ، وتفصـيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون).**
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

22- قـال تعالـى : ((**لَقَـدْ كَـانَ فِي يُوسُـفَ وَإِخْوَتِـهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ**))[1]

كـانت قصة يوسف عليه السـلام من أحسن القصص ، وقد جعل الله تعـالى فيها مواعظ للسـائلين الـذين يسـألون ويسـتخيرون للعظة والاعتبار . فإنها خبر عجيب ، جدير أن تميز عنه .
قال تعالى **(لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ، إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن عصـبة ، إن أبانا لفي ضلال مبين) .**
والمعنى : لفي خطأ بيّن ، حيث فضـلهما علينا ، من غـير مـوجب نراه ، ولا أمر نشاهده !
وقد كـانت هـذه القصة حسـنة ، سـهلة مبينة لما فيها من أنـواع التنقلات ، ومن حـال إلى حـال ومن محنة إلى محنة ، ومن محنة إلى منحة ومنة ، ومن ذل إلى عز ، ومن رِقٍّ إلى ملك ، ومن فرقه وشتات إلى اجتماع وائتلاف ، ومن حـزن إلى سـرور ، ومن رخاء إلى جدب ، ومن جـدب إلى رخـاء ، ومن ضـيق إلى سـعة ، ومن انكـار إلى إقـرار ، فتبـارك من قصَّـها فأحسـنها ، ووضـحها وبينها . وقد افتحت القصة برؤيا عظيمة يراها يوسف عليه السـلام وهو صـغير **(يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين)** .
وقد جعل الله تعـالى هـذه الرؤيا مقدمة وإشـارة إلى ما سـيناله ويحققه من السـجود والارتفـاع في الـدنيا والآخـرة ، وذلك باصطفاء الله له وتفضيله على إخوته وسائر الناس .
ولكن ذلك لم يتم إلا بعد شدائد عاشـها ، ومشـاق تكبـدها يوسف عليه السلام ، أولها حسد إخوته له ومضايقتهم له، وإغراؤهم لأبيه يعقوب أن يتركه معهم يرتع ويلعب، ثم إلقـاؤهم له في الجب أي البـئر ، ثم أخـذه من السـيارة الـتي مـرت به ، وبـاعوه بهم رقيقا

---

[1] يوسف : 7

بثمن بخس زهيد كما قـــال تعـــالى **(وشـــروه بثمن بخس دراهم معـدودة وكـانوا فيه من الزاهـدين)** ولم يكن لهم فيه قصد إلا إبعـاده عن أبيه ، فبـاعوه بـأرخص الأثمـان ، ثم باعه من اشـــتراه أولاً من عزيز مصر فانتقل يوسف إلى عز وحيـــاة جديدة أشار الله إلى حسنها بقوله **(وقال الـذي اشـتراه من مصر أكرمي مثواه)** ثم أعقب ذلك محن وابتلاءات حصلت له ، كان عاقبتها تمكينه في الأرض وبلوغه العز والشرف وقد قال **(رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الآحـاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخـرة ، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين) .**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

23- قال تعالى : **((وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ))**[1]

مَكـرَ إخـوة يوسف بيوسف عليه السـلام ، فجعل الله ذلك المكر طريقا للعزة والتمكين ، فكانت نقلته إلى بلاد مصر خـيراً عظيما له فقد قـال العزيز **(أكــرمي مثــواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً) .**

فالله تعالى حكمه قاطع ، وأمره نافذ ، لا يُمانَع ، ولا يُخـالف ، بل هو الغالب لما سواه كما قال تعالى **(والله غالب على أمــره ولكن أكـثر النـاس لا يعلمـون)** فلن يمضى في العبد إلا ما كتبه الله وقـــدره ، ولن يحـــول أعـــداؤه دون بلوغه رزقه وحظه المكتـــوب له ، **وفي الحــديث (لن تمــوت نفس حـــتى تستكمل رزقها**) .

وقد ظن إخوته أنهم بإيـــذائهم له ، وطـــردهم له رقيقا إلى بلاد مصر ، أنهم ظفروا بما يريـدون ، وقد قطعـوا دابـره ، فجعل الله ذلك البلاء طريقا للخير والنعماء **(والله غالب على أمــره)** أي هو الفعال لما يشاء سبحانه وتعالى ، ما شاء كـان ومـالم يشأ لم يكن . وفي ذلك درس لأهل الايمـــان أن لا يتهيبـــوا الطريق إذا بـــرزت الرزايا ، فلن يصـــيبهم إلا مـــاكتب الله لهم . وأن العاقبة للمتقين مهما كثرت الصعوبات وزادت النكبات ، وقد يكـون الفتح والفرج مع البلاء والمهم أنه لا يحـزع المـؤمن ولا يضـجر ، وليكن

[1] يوسف : 21

له أســوة فيمن مضى من الأنبيــاء والمصــلحين ، ففي قصصــهم عــبرة لأولي الألبــاب . وفي صــبرهم تثــبيت للمبتلين ، والمــؤمن عاقبته إلى خير إذا صبر واحتسب .
قــال صــلى الله عليه وســلم كما في صــحيح مســلم ((عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، إن أصـابته سراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن)) .

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

24- قال تعالى : ((**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ**))[1]

أعطي يوسف عليه السلام شطرَ الحسن ، فافتتنت به النساء ، لا سيما امرأة العزيز التي كان خادماً لها في قصرها ، فقد راودته عن نفسه , ودعته إلى الفاحشة ، فأبى ، ثم توعدته بالسجن ، قال تعالى **(ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين) .**
فاختار يوسف السجن على مقارفة المعصية قال تعالى **(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين) .**
فآثر السجن على الفتنة الشديدة ، واستعصم بالله أن يقع فيها فعصمه الله من كيدهن ، وذلك من علامات الايمان ، أن يكره العبد أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه اليه منه ، كما يكره أن يُلقى في النار .
وهذا من المقامات العظيمة التي لا تقع إلا أهل الصدق والايمان أن يؤثروا البلاء على المعصية ويمتنعوا مع شدة الإغراءات والمساعدات ، فيوسف عليه السلام امتنع أشد الامتناع من ممارسة الفاحشة مع أنه في سن الشباب وغاية الجمال والاكتمال ، ومحاط بسيدته الجميلة المنيعة ! ومع ذلك يختار السجن خوفاً من الله ورجاء ثوابه .
قال تعالى **(وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) .**
وفي حديث السبعة الذين يظلهم في ظله يوم لا ظل إلا ظله ذكر منهم (ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال ، فقال إني أخاف الله) .
اللهم ثبتنا في الدنيا والآخرة

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] يوسف : 34.

25- قـال تعـالى : **((أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُـونَ خَيْـرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ))**[1]

هكذا يعلن يوسف عليه السلام دعوته ورسالته ، وهو في السجن فرد غريب ، بلا خوف ولا تردد وقد وجه هـذا الخطـاب ، لصاحبيه في السجن الذين قصا عليه شيئاً من الرؤيا وقالا له **(إنا نـراك من المحسنين)** .
فلما رأى فيهما حسن الإصغاء والإقبال عليه ، استغلها فرصة في دعوتهما إلى التوحيد وعبادة الله وحــده ونبذ كل ما يعبد من دونه من الأوثــان والأحجــار فقــال **(ياصــاحبي الســجن أأربــاب متفرقــون**) أي أربــاب عــاجزة ضــعيفة لا تنفع ولا تضر ، ولا تعطي ولا تمنع ، وهي متفرقة ، ما بين أشــجار وأحجــار وملائكة وأموات ، وغير ذلك من أنواع المعبودات التي يتخذها المشركون .
أذلك خير أم الله ، الذي انقـادت له صـفات الكمـال ، الواحد في ذاته وصــفاته وأفعالــه، فلا شــريك له في شئ من ذلك والقهــار الذي انقادت الأشياء لقهره وسلطانه، فما شاء كان وما لم يشـاء لم يكن كما كما قال **(ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها)** .
ثم قـال لهما **(ما تعبدون من دونه إلا أسـماء سـميتموها أنتم وآبـاؤكم ما أنـزل الله بها من سـلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إيـاه ذلك الـدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون) .**
وفي هـذا التوجيه من الفوائد : حـرص الداعية على التـأثير والاصــلاح في كل مكــان وزمــان , وأن الشــدائد لا تحــول دون أهـداف أهل الـدعوات ، وأن البلاغ مطلـوب على كل الأحـوال .
وفيه البـداءة بالتوحيد ، وأنه أهم المطـالب وأولاها في الإصـلاح ، فبصلاحه يصلح الناس ، وتهون ما دونه من المنكرات .
وقد كـان أنبيـاء الله تعـالى أول ما يـدعون النـاس إليه التوحيد **(اعبدوا الله مالكم من إله غيره)** وهنا يوسف عليه السلام يقـول **(أأربـاب متفرقـون خـير أم الله الواحد القهـار)** صـدع بالتوحيد في السـجن قبل تعبـير الرؤيـا، وفي ذلك حـرص الداعية على البلاغ والإنذار ، والبدء بالأهم فالأهم .
نسأل الله التوفيق والسداد .

[1] يوسف : 39

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

26- قال تعالى : **((فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ))** [1]

اختار يوسف عليه السلام مرارة الظلم والسجن على الوقوع في المعصية ، وهناك في السجن قام بدور الداعية السمح الذي ظهر فضلهُ على أهل السجن حتى قالوا فيه **(إنا نراك من المحسنين) .**

وقد عرض عليه بعضهم رؤى رآها ، ومن ذلك صاحباه الذان دخلا معه . قال تعالى **(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا ، وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه)** فعبر للأول أنه يسقي سيده خمراً بعد خروجه ، وعبر للآخر بأنه يقتل ويصلب فيبرز للطير فتأكل من رأسه ، ولكن لم يعين أحداً بذلك ثم قال للذي ظن أنه ناج منهما وهو صاحب الخمر أذكر قضيتي للملك ، فأنسى الشيطان ذلك الساقي فمكث في السجن بضع سنين ، والبضع ما بين الثلاث إلى التسع .

وكــان ذلك بلاء عليه ، أنه يمكث مــدة طويلة ظلمــاً وعــدوانا ، وليس عليه ذنب يستحقه ، فلما دُعي للخروج بعد أن عــبر للملك رؤياه الشهيرة ، رفض أن يخرج حتى تظهر براءته , ويعلم الناس نزاهة عرضه **(وقــــال الملك ائتــــوني به ، فلما جــــاءه الرسـول قـال ارجع إلى ربك فاسـأله ما بـال النسـوة اللاتي قطعن أيـــديهن إن ربي بكيـــدهن عليم)** فجمع الملك النساء مع امرأة العزيز وسألهن عن ذلك فاعترفن النسوة أنه ليس بمتهم ، واعــترفت امــرأة العزيز أنها هي الــتي راودت لكن امتنع ، فلم يقع شئ ، ليعلم زوجها أنها بريئة **(ذلك ليعلم أني لم أخنه بـالغيب ، وأن الله لا يهـدي كيد الخـائنين)** فخرج يوسف بعد ذلك معـززاً مكرمـاً ، واستخلصه الملك لنفسه وجعله من أهل مشورته .

وقد امتدح نبينا صلى الله عليه وسلم صبر يوسف تلك المدة كلها ، ونبه على شرفه وعلو قـدره بقوله كما في الصـحيحين عن أبي هريرة ، **أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال (ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي)** أي الذي دعاه للخروج أول مرة ولكنه أبى وامتنع .

---

[1] **(?) يوسف : 42**

وفي ذلك من الفوائد : فضل يوسف عليه السـلام ، وشـدة صـبره وحـرص الداعية على السـلامة والبعد عن التهم ، وفضـيلة الثبات على المبدأ واحتمال الأذى في ذلك، وأنه لا بـأس لمن وقع في شدة أن يستعين بمن له قدره على تخليصه أو الإخبار بحاله ، وليس هـذا من الشـكوى للمخلـوق ، بل هو مما جـرت به العـادة بين الناس ، والله الموفق .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

27- قال تعالـى: ((إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَـإِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)) [1]

أيها الإخوة : من جمع التقوى والصبر فقد حـاز الخـير كله ، وجمع الفضل من أطرافه ، فالتقوى جماع الخيرات والفضائل ، والصـبر مفتاح الأزمات والشدائد ، وبالتقوى يشتعل الإيمان ويعظم اليقين ، وبالصبر تنحل المشكلات ، وتزول الأحـزان والغمـوم . وهـذا ما حصل ليوسف عليه السـلام فقد واجه كل ما لاقـاه في أطـوار حياته من محن واجهها بـالتقى والصـبر ، واحتمل كل أذى وبلية ، وما جزع وما انهزم ، بل رضي واحتسب ، وصـبر وصـابر ، وجاهد حـتى بلغه الله المقـام العـالي والمنزلة السـامية ، فقـال لإخوته الذين كانوا مبـدأ محنته **(أنا يوسف وهـذا أخي قد منَّ الله علينا إنه من يتق ويصـبر فـإن الله لا يضـيع أجر المحسنين) .**

والتقوى والصبر كالجناحين للمؤمن في هذه الحياة وللداعية على الخصوص ، وإذا فقدها الإنسان فلا قيمة ولا قدرة له على الحيـاة ، لأنها دار الابتلاء والامتحـان ، وفاقد هـذين الأمـرين لا يسـتطيع المسـير ، وسـيهلك من أول مجـال يخوضه ، لأن التقـوى معـدن الإيمان ، ولا حياة بلا إيمـان ولأن الصـبر حجـاب ما يعـرض لـذلك الإيمان وفاقده مهدد في خيره وصلاحه .

قـال تعـالى **(وإن تصـبروا وتتقـوا فـإن ذلك من عـزم الأمور)** أي من حق الأمور وخيرها .

---

[1] **(?) يوسف : 90**

قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (ومن يتصبرْ يُصبِّرْه الله ، وما أعطي أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر)

وقال عمر : أدركنا خيرَ عيشِنا بالصبر .

اللهم ارزقنا الصبر والتقوى ، ووفقنا لما تحب وترضى .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

28- قال تعالى : **((تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ))** [1]

كانت هذه الدعوة المباركة من كلمات يوسف عليه السلام لما أتم الله عليه النعمة باجتماعه بأبويه وإخوته ، وما حصل له من النبوة والملك والتمكين في الأرض ، فسأل الله كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة، وأن يتوفاه مسلما حين يتوفاه ، وأن يلحقه بالصالحين من إخوانه الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين .

فما أعظمها منّة أن يموت العبد على الإسلام ، مؤمناً موحداً ، ناجياً من الكفر والضلالة ، بعيداً عن الغي والعمى .

وقد قيل إن يوسف قال ذلك لما جمع الله له شمله ، وأقر عينه وهو يومئذ مغمور في الدنيا وملكها ونضارتها ، فاشتاق إلى الصالحين فقال تلك الكلمات .

وليس في الآية تمن للموت كما قد قال بعضهم ، لأن يوسف عليه السلام لم يتمنَّ الموت لذاته ، بل تمنى أن يموت على الإسلام ، وهذا دعاء سائغ . وليس هو داخلاً تحت **قوله عليه الصلاة والسلام (لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به)** لأن هذا كان لأجل الدنيا .

---

[1] **(?) يوسف : 101**

وفي قوله **(توفـني مسـلما)** التجـاء إلى الله أن يقبضه على الإسلام ، وأن يعصمه من الفتن المضلة ومن الأهواء المختلفة.

وفي قوله **(وألحقــني بالصــالحين)** طمع من المــؤمن أن تكــون منزلته مع الصــالحين المقــربين ، وفيها اســتئناس المــرء بقربه من إخوته المؤمنين **, وقد كان دعاء النبي صــلى الله عليه وســــلم في مـــــرض وفاته ((اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى))**

29- قـــال تعالـى : **((ذَلِــكَ مِنْ أَنْبَــاءِ الغَيْبِ نُوحِيــهِ إِلَيْكَ))**[1]

بعد أن قص الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم قصة يوسف وما فيها من العجـائب والحكم قـال له تعـالى **(ذلك من أنبـــاء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لـــديهم إذ أجمعـــوا أمرهم وهم يمكرون)** أي هـذه الأخبـار يا محمد من الغيـوب السـابقة ، وإنها لحق وصــدق ، وما قصصــناها عليك إلا للعــبرة والاتعـاظ كما قـال تعـالى **(لقد كـان في قصصـهم عـبرة لأولي الألباب) .**

ولم تكن تعلم يا محمد بــذلك كله ، ولم تشـاهد مكـرهم بيوسف واجتماعهم ، عليه ليجعلوه في الجب ، ولكننا أطلعنــاك على ذلك فعلمته ودريته .

وفي ذلك الإخبار بالقصص الماضية تثبيت لرسول الله صــلى الله عليه وســلم ، وحفز له على مواصــله الــدعوة ، وعــدم اليــأس والاتقطاع .

وفيها آية صــادقة للإيمــان من قومه وأتباعه ومع ذلك لم يــؤمن أصـحاب القلـوب الفاسـدة والفطر المنكوسة قـال تعـالى **(وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) .**

رغم ما في هذه القصص من حقائق وأخبـار صـحيحات ، وما فيها من عــــبر ودروس ، لم يتعظ بها الغــــافلون ، ولم يــــؤمن بها المستكبرون .

وفي تلك القصص تجارب حية للدعاة إلى الله ليسـلكوا منهاجها ، ويتعلموا من دروسها وفوائـدها . وإنها لسـلوة لكل مبتلى ، وفيها تأكيد أن التمكين والنصر لا يكون إلا على جسر من التعب والفتك ، وأن صلحاء الناس لا ينفكون عن الابتلاء ، وفيه خير لهم وحسن عاقبة .

قال صلى الله عليه وســلم (أشد النـاس بلاء الأنبيـاء ، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل) .

اللهم وفقنا للطاعة ، وجنبنا أسباب المعصية .

---

[1] (?) **يوسف : 102**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

30- قـــال تعالـــى: **((قُل لِّلَّذِينَ كَفَـرُوا سَــتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ))**[1]

يتهيب كثـير من النـاس القـوى الكـافرة من اليهـود والنصـارى وغـيرهم ، وذلك بسـبب تقـدمهم صـناعياً على أمتنا المسـلمة وتطلع هؤلاء إلى القوى المادية دون غيرها ، ويهملون ماعـدا ذلك من قـوى وقـدرات ، ويغفلـون عن تباشـير القـرآن بانتصـار هـذه الأمة المسـلمة مهما تضخم العـدو ، وتملّك السـلاح المـدمر فقد قال تعالى **(وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) .**

وقـال **(يا أيها الـذين آمنـوا إن تنصـروا الله ينصـركم ويثبت أقدامكم) .**

وهنا في هذه الآية الشريفة يقول تعالى (قل للذين كفروا ستغلبون) **مهما كانت قوتكم ستغلبون ومهما كانت أسلحتكم ستغلبون ، ومهما كان عددكم ستغلبون . إنها سنة ماضية من الله أن ينصر أولياءه ويخذل أعداءه .**

ولكن من هم المؤمنون المنصورون ؟ ! إنهم من نصروا الله بإقامة دينه والتزام شرعه ، وليس من آمن باللسان ، وما اتبع ذلك بالأعمال والانقياد .

فيا محمد _ صلى الله عليه وسلم _ قل لهؤلاء الكفرة المكذبين إن الله غالبكم ومذلكم ، وإن الله هازمكم ولو ملكتم وما ملكتم ، فإن العاقبة للمتقين ، والخاتمة للصابرين مهما بغيتم واستكبرتم .

وقد كانت هذه الآية نزلت في حق اليهود ، عند ما انتصر المؤمنون الصادقون على المشركين في بدر جمعهم النبي صلى الله عليه وسلم في سوق بني قينقاع ، وقد كانوا شَرِقوا بذلك فقال :

((يا معشر اليهود أسلموا قبل أن يصيبكم الله بما أصاب قريشاً)) **فقالوا : يا محمد لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس ، وأنك لم تلق مثلنا , فأنزل الله في ذلك قوله :** (قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد , قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) .

فإنكم يا أيها الكفرة المجرمون مغلوبون أمام جند الله في الدنيا ، ومصيركم إلى النار يوم القيامة وإنه لبئس المنزل والمهاد .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

---

[1] (?) آل عمران : 12

31- قال تعالى : ((أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى)) (1)

أيها الإخوة : كم هي خسارة فادحة ، وتجارة كاسدة . أن يعمد أقوام إلى الضلالة فيؤثرونها على الهدى !! أو يمنُّ الله عليهم بأنوار الإيمان فيشترون بها مسالك الضلال والكفر ! كأن هؤلاء ليسوا على السبيل !! أو ليس لهم عقول أو استحبوا العمى على الهدى !!

إن هؤلاء هم المنافقون الذين أطنب الله تعالى في وصفهم في صدر سورة البقرة فوصفهم بدعوى الإيمان وما هم بمؤمنين ، وأنهم مرضى القلوب ، وأنهم منبع الكذب والإفساد ، وأنهم يسمون المؤمنين بالسفهاء ، وأنهم يظهرون خلاف ما يبطنون ، ونهجهم المخادعة والاستهزاء . ثم قال مبينا فساد هذا المسلك المشين بأنهم قد اشتروا الضلالة بالهدى.

(أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين) كيف يشتري عاقل دنيا بآخرة ، وهوى بهدى ، ولذة بمنغصة ؟!! أما بانت شموس الحق لهؤلاء ؟!! واتضحت منائر الفوز والفلاح لهم ؟!

كأنهم قد استحلوا الضلال وأنواعه على كل حال ، أو أنهم بتلك الصفات من الضالين المكذبين ، الذين تاجروا فيما يغضب الله ، فخسرت صفقتهم وكسدت تجارتهم ، وما كانوا راشدين في تلك التجارة !! فتراهم يستحلون معاصي الله على مراضيه ، لا يعون تدهورهم وتعلقهم بصنوف الباطل والفساد ، فهم يفارقون الهدى إلى الضلالة ، ويخرجون من الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف ، ومن السنة إلى البدعة ، كأنهم على أهدى سبيل وأحسنه .

نعوذ بالله من فساد القلوب وانتكاس الفطر .

اللهم طهر قلوبنا من النفاق ، وألسنتنا من الكذب ، وأعيننا من الخيانة

إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) البقرة : 16

32- قــال تعالـــى:**((وَإِنَّ رَبَّكَ لَــذُو مَغْفِـرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ)) (1)**

تبــارك الله ما أوسع مغفرته ، وما أعظم حلمه وعفــوه ، فــبرغم مظالم الناس ومعاصيهم ، يغفرلهم ويتجاوز عنهم ، ويستر عليهم ســيئاتهم . فــابن آدم لا ينفك عن الأخطــاء ، وتقع منه الهفــوات والســيئات ، والله مــراقب له ، محيط بــأمره لا تخفى عليه منه خافية .

ولكنه سبحانه وتعالى الغفور الـرحيم ، وإذا رأى من غـيره صـدقا وندماً ، هيأ له أسباب التوبة ، وأعانه على نفسه **(وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) .**

لا يـزال خـيره وإحسـانه يـنزل على عبـاده ، ولا تـزال معاصـيهم صاعدة إليه ، فإن تابوا وتطهروا مما هم فيه ، فإنه يحب التـوابين ويحب المتطهـرين ، وإنه لأشد فرحـاً بتوبة عبـاده ورجـوعهم إليه أكثر من ذاك الذي أضل راحلته ، وعليها طعامه وزاده .

وفي الحــديث المتفق عليه **قــال صــلى الله عليه وســلم : ((لما خلق الله الخلق ، كتب في كتاب فهو عنده فـوق العــــرش : إن رحمــــتي تغلب غضـــــبي) وفي رواية (سبقت غضبي**) .

ثم لما علم تعالى اغترار بعض الناس بذلك ، وأنهم قد تمادوا في المعاصي بلا أسف ونــدم ، ختمَ الآية ببيــان عذابه وشــدته فقــال **(وإن ربك لـذو مغفـرة للنـاس على ظلمهم ، وإن ربك لشديد العقاب)** وذلك ليعتـدل الرجـاء والخـوف ، كما قد قـال **(فــإن كــذبوك فقل ربكم ذو رحمة واســعة ، ولا يُــرد بأسه عن القوم المجرمين) .**

وهذا المختار للعبد أن يكون في حياته لا سيما في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً .

روى مســـلم في صــحيحه عن أبي هريـــرة رضي الله عنه ، **أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ، ما طمع بجنته أحد ، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ، ما قنط من جنته أحد) .**

---

(1) **الرعد : 6**

اللهم اغفرلنا وارحمنا ، وأنت خير الراحمين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

33- قال تعالى : **((إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ العَاجِلَةَ))** [1]

من أعظم خصال الكفار تعلّقهم بالـدنيا واقبـالهم عليها ، وغفلتهم عن الدار الآخرة كما قال تعالى **(إن هؤلاء يحبـون العاجلة ، ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا) .**

وهـؤلاء الكفـار قد يكونـون منكـرين للبعث ، فلا يؤمنـون بـاليوم الثقيل ، وقد تكون دنياهم لعبت بهم حـتى أنسـتهم الـدار الآخـرة وما فيها من جزاء وحساب .

لأن من آفـات الـدنيا أنها تنسي ذكر الله والـدار الآخـرة ، مع ما فيها من مسـببات قسـوة القلب وغفلة النفس وطـول الأمل ، وكراهية الموت ، وهي لا تصلح إلا للكفار الذين علقوا قلـوبهم بها ، وأُشـربوا بحبها كما قـال تعـالى **(ولتجدنهم أحـرص النـاس على حياة) .**

والعجب من بعض المسـلمين أنه يقبل على الـدنيا بحجة السـعي في الأرض وطلب الـرزق ، والاسـتمتاع بالمبـاح فينسى نفسه ويُرخي لها الزمـام ، فتطيش به الـدنيا حـتى تنسـيه اليـوم الثقيل الشديد !

كما قال تعالى **(ويذرون وراءهم يوماً ثقيلا) .**

ثَقُل ذلك اليـوم بمافيه من أهـوال ، وثَقُل لطوله وشـدته ، وثقل لعظمه وخطورته فهو كما قـال الله **(وتـرى النـاس سـكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد) .**

وكما قـال صـلى الله عليه وسـلم واصـفاً بعض أهواله **(يـؤتى بجهنم يومئذ ، لها سـبعون ألف زمـام ، مع كل زمـام سبعون ألفٍ ملك يحرونها) .**

---

[1] (?) الإنسان : 27

نسأل الله تعالى السلامة والعافية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

34- قــال تعالـــى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُــوا لاَ تَكُونُــوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى)**[1]

أذية أوليـاء الله والصـالحين ، من أعظم المعاصي ، ومن أشـدها محاربة لله تعالى فقد قـال تعـالى **كما في الحديث القدسي (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)** .

وفي القـرآن **(يا أيها الذين آمنـوا لا تكونـوا كالـذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا).**

فالله نهى المؤمنين أن يتخلقوا بـأخلاق اليهـود الـذين آذوا موسى بأنواع الأذيات ، ومنها الافتراء والكـذب عليه ، فقد روى البخـاري في صحيحه تعـيين هـذا الأذى الـذي لقيه موسى منهم ، فعن أبي هريـرة رضي الله عنه ، قـال : قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : **((إن موسى عليه السلام كـان حيّيا سِـتّيرا ، لا يرى من جلـده شئ ، اسـتحياء منه ، فـآذاه من آذاه من بـني إسـرائيل فقـالوا : ما يتسـتر هـذا التسـتر إلا من عيب في جلــده إما بــرص ، وإما أدْرة ، وإما آفة ، وإن الله عزوجل أراد أن يبرئه مما قـــــــالوا لموسى عليه السـلام ، فخلا يومــاً وحــده ، فخلع ثيابه على حجر ثم اغتسل ، فلما فــرغ ، أقبل على ثيابه ليأخـــذها ، وإن الحجر عــدا بثوبه فأخذ موسى عصــاه ، وطلب الحجر ، فجعل يقـول : ثـوبي حجر ، ثـوبي حجر ، حـتى انتهى إلى ملأ من بني إسـرائيل فـرأوه عريانا أحسن ما خلق الله عزوجل ، وأبرأه مما يقولون ، وقـام الحجر ، فأخذ ثوبه فلبس ، وطفق بــالحجر ضــرباً بعصــاه فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا ، قال : فــذلك قوله تعــالى:(يا أيها الــذين أمنــوا لا تكونــوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا)**

وروى في أذيتهم له إنهم اتهموه بقتل أخيه هارون عليه الســلام ، والمقصـود أنهم اتهمـوه وآذوه على مسـلكهم في أذية أنبيـاء الله تعــالى ، وقد عــانى منهم موسى كثــيراً فقد قــال عليه الصــلاة والســلام كما في الصــحيحين **(رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر) .**

---

[1] **الأحزاب : 69**

وهكذا الأنبياء والدعاة إلى الله يصبرون على ما يلقون في سـبيل الله من أذى وتهم وشـــائعات , لأنها من المحن في الطريق وقد قال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم **(ما يقـال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك)** وقـال له **(فاصـبر كما صـبر أولو العزم من الرسل) .**

وكان موسى عليه السلام من أولي العـزم المهتـدين الصـابرين ، الــذين صــبروا في الشــدائد ، واحتملــوا رغم الأذى المتواصل ، والبلاء المستمر .

والله الموفق .

35- قال تعالـى: **((يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ))** [1]

أيها الإخوة : لا يملك العقلاء في هذه الحياة ، إذا سمعوا القرآن ، إلا الخضوع والإصغاء ، ثم الإيمان والاستسلام . إنهم يعجبـون من حســنه ، ويــذهلون من بيانه ، وينقــادون لحكمه وشــرعه . إن للقرآن وقعاً وتأثيراً على النفـوس السـوية والفطر المسـتقيمة ، وهي لا تسـتطيع أن تـدفع تأثرها بروعة القـرآن وعظمته كما قد حصل للجن عند ما استمعوا لقراءة النبي صـلى الله عليه وسـلم فقالوا **(إنا سمعنا قرآنــاً عجبا ، يهـدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) .**

من خلال هذه التلاوة أدركوا هـذا الكلام ، وأنه حق وصـدق ، وأنه مفتــاح الرشد والخـير والســداد . فهو بــاب الخـير والفضــائل ، ومعـــدن التوفيق والنجـــاح ، والعاصم من الضـــلال والمـــزلات **(يهدي إلى الرشد)** وهل ثمة رشد أعظم من كونه الصــراط المستقيم ، والمنهج القويم ، لطــالب النجـاة والسـلامة في هـذه الحياة قال تعالى :

(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) .

فيا من يقرأ هذا الكتاب العزيز استلهم فيه مفاتيح الرشد والخــير ، واحرص على قراءته وتدبره لتصيب النجاح في الدنيا والآخــرة ، ولتنجو به من مضلات الفتن ، فهو العاصم وقت الشدة ، والمعين إبــان البلاء ، والأنيس في الخلــوة والرخــاء. والملتجئ إليه على

[1] (?) **الجن : 2**

حــزم أكيد ، ويــأوي إلى ركن شــديد . جعلنا الله وإيــاكم من أهله وحملته ، الذين يتلونه حق تلاوته.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

36- قال تعالى:**((وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً))** [1]

يظن بعض الناس أن الفوز في الدنيا هو بجمع الأموال ، أو بتحصيل المناصب ، أو بالتلذذ بالدنيا والتنعم بزهرتها ، وغفلوا عن مثل هذا الخطاب الصريح :

(ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .

لا فوز في الدنيا إلا بتقوى الله وطاعته ، ومن تقواه مراقبته وخشيته ، واتباع شرعه ودينه ، والفوز العظيم بحق ، إنما هو الفوز برضوان الله في الدنيا والآخرة ، فيمتع المؤمن في الدنيا متاعاً حسنا ، ولو قل ماله ، وتكدر عيشه ، وفي الآخرة يفوز بجنة عرضها السموات والأرض ، ويجنب النار وما فيها من ويلات .

فهل الفوز بالمتع الدنيوية ، يعتبر فوزاً في حس أهل الإيمان ، الذين أكرمهم الله بالقرآن ؟ !وقد يكون هذا النائل لشئ من الدنيا بعيداً عن الله ، مقصراً في ذكره وطاعته !! فلن يكون في فوزه فائزاً ، ولن يجد حلاوته وسعادته ، بل سيعتريه غم وحزن ، ولن تدوم له الفرحة .

فالفوز الصحيح هو الفوز بتقوى الله وطاعته ، قال تعالى **(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدا ، يصلح لكم أعمالكم ، ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيما) .**

والطاعة لله والرسول ، مبلغة للفوز العظيم بالجنات الطيبات ، قال تعالى : **(فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز) .**

فمن أراد الفوز بالآخرة ، فليفز في الدنيا بالتقوى وحسن العمل ، فإنه أعظم فوز وأحسنه .

نسأل الله من فضله .

---

[1] **(?) الأحزاب : 71**

37- قـال تعالــى: **((التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِـدُونَ))** **(1)**

يعجب الإنسـان كيف أن الله تعـالى جعل أولى صـفات المؤمـنين (التوبة) ، فوصـفهم بـأنهم تـائبون قـال تعـالى **(التـائبون العابدون الحامـدون السـائحون ، الراكعـون السـاجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، والحـافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين) .**

فهل يحتاج المؤمنون إلى توبة ؟ !نعم لا ينفكُّ مـؤمن عن التوبة ، لعـدم سـلامة الجميع من الخطأ والزلة ، والمـرء يعتريه الشـرود والنسـيان والغفلة ، وهو بحاجة إلى التوبة والاسـتغفار والرجـوع إلى الله كثيراً ، وقد قال تعالى :

(وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) .

وقد كـان نبينا صـلى الله عليه وسـلم يتـوب إلى الله كثـيراً ويستغفر في اليوم نحو مائة مرة ، وهو أكمل الخلق عبادة وذكراً وإخباتا .

وفي التوبة للمـؤمن : تـذكير له بتقصـيره وضـعفه ، وزجر له عن التزكية والتفاخر بالطاعة لأنه إذا غفل عن التوبة واغتر بطاعاته ، أورث له ذلك الغرور والعجب ، وفي ذلك من الخطر على النفس ما لا يخفى . والتوبة عمل صـالح ، يرفع الـدرجات ، ويمحو السيئات ، ويصفّي القلب من كل كـدر وشـائبة ، وقد قـال تعـالى **(ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) .**

فكل راغب عن التوبة فهو ظـالم ، ومعـرض عن صـلاح نفسه . والتـائب إلى الله في محل رفيع من ربه تعـالى ، ففي **الحـديث الصـحيح (لله أفـرح بتوبة عبـده من أحـدكم كـان على بعيره فأضله بأرض فلاة)** .

اللهم اغفر لنا وارحمنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم .

---

[1] **(?) التوبه : 112**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

38- قال تعالى : **((بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))** [1]

من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ، أن جعل رسولهم وهاديهم بهم رءوفاً رحيما ، يشفق بهم غاية الإشـفاق ويرعـاهم أبلغ رعاية ، ويحب لهم الخير والفلاح والهداية ، قال تعالى :

(لقد جـاءكم رسـول من أنفسـكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) .

فقد كان رسولاً منهم من جنسـهم ولغتهم ، يعرفونه ولا يشـكون فيه ، ويعز عليه ما يشق عليهم ويتعبهم ، وهو بهم رءوف رحيم .

وفي تلك الأوصـاف ، لا سـيما وصـفي **(الرأفة والرحمة)** ما يجذب الأفئدة ، ويسهِّل له الدعوة ، ويمكِّن له بينهم، فإن الداعية إذا لم يكن رحيما بأهله وأصـــحابه ومن يـــدعوه فلا ريب أنه سيفشل في دعوته ، ولن يحقق النجاح المطلوب .

وهكذا كان رسولنا صلى الله عليه وسـلم **(بـالمؤمنين رءوف رحيم)** كما قيل :

يرى للمسلمين عليه حقا كفعل الوالدِ الرؤف الرحيمِ!

يرحم الصغار والكبار والنساء والمشركين والبهائم .

وقد قـال كما في صـحيح مسـلم **(إنما بعثت رحمة)** وقـال تعالى **(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)** وقـال صـلى الله عليه وسـلم **(ارحمـوا من في الأرض يـرحمكم من في السماء) .**

وفي الصحيحين من حـديث أبي قتـادة قـال صـلى الله عليه وسلم : ((إني لأقوم في الصلاة ، أريد أن أطـول

---

[1] **(?) التوبه : 128**

فيها ، فأسـمع بكـاء الصـبي ، فـأتجوَّز في صـلاتي ، كراهية أن أشق على أمه)).

ورحم صلى الله عليه وسلم المشركين أن يحل بهم عـذاب الله ، فقال لملك الجبال : **((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئا)) .**

اللهم ارحمنا برحمتك ، وتولنا برعايتك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

39- قال تعالـى : **((إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا))** [1]

أيها الإخوة : لا تعرف الأمم ثباتاً وشجاعة كشجاعة أهل الإيمان ، الذين علمهم الله آداب القتال ، وقواهم بالإيمان وثبتهم باليقين . ولقد ضربوا للناس أروع الأمثال والبطولات في الثبات عند الهول ، والصبر عند المواجهة ، فقاتلوا قتال المستميتين ، وصبروا صبر الجبال الرواسي .

وفي هذه الآية الشريفة تذكير من الله وتعليم بوجوب الثبات عند الحرب وبدوام ذكره والاستعانة به . قال تعالى **(يا أيها الـذين آمنـوا إذا لقيتم فئة فـاثبتوا واذكـروا الله كثـيراً لعلكم تفلحون) .**

وقد نُهي أهل الإيمان عن الفرار يوم الزحف ، وعدَّ ذلك من كبائر الذنوب ، فاستجابوا لأمر الله ورسوله ، وصبروا على ما أصابهم ، وما ضعفوا وما اسـتكانوا ، حـتى فتح الله على أيـديهم المشـارق والمغـارب ، وجلجل الأذان في أمـاكن بعيـدة في أقل من ثلاثين سنة .

ومن أولئك الأفـــذاذ وعلى ســبيل المثـــال _ طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه _ ، كــان ممن ثبت يــوم أحد ، وجعل نحــره دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودفع عنه دفاع الأبطـال حـتى روى أنه رجع من أحد بســبع وثلاثين أو خمس وثلاثين بين ضــربة وطعنه ورمية وقطعت سبابته ، وشلت الإصبع التي تليها .

وفيه قال حسان :

طلحةُ يومَ الشعب آسى محمداً على سالك ضاقت عليه وشَقّتِ

يقيه بكفيه الرماح وأسلمت أشاجعه تحت السيوف فشُلتِ

وكان أمام الناس إلا محمداً أقام رحى الإسلام حتى استقلتِ

وكان أبو بكر إذا ذكر عنده يوم أحد ، قال : ذاك يوم كله لطلحة ، وقال :

---

[1] **(?) الأنفال : 45**

يا طلحة بن عبيد الله قد وجبت لك الجنان ، وبُوأت المها العِينا

ومن مناقبه الرفيعة قول النبي صلى الله عليه وسلم فيه كما عند الترمذي وصححه الألباني : ((من سرَّه أن ينظر إلى شهيد على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله)) .

رضي الله عن طلحة وأشباهه من أبطال الإسلام الذين عرفوا حقيقة الانتساب لهذا الدين ونعمته عليهم ، ففدوه بأرواحهم وأموالهم .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

40- قال تعالى : **((قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً)) [1]**

إن من يتأمل هذه الآية ، ويتفكر فيها يدرك مسئولية رعاية الأهل والأبناء ، وأن الله استرعاه رعية ، وعليه رعايتها وصيانتها ووقايتها من النار الملتهبة الشديدة .

(يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة)

فكيف يقي الإنسان نفسه وأهله من النار ؟ !

إن تلك الوقاية والرعاية ، تكون بالتربية الإيمانية ، التي تبث معالم الخير ، وتحذر من أسباب الشر ، فيُربى الأبناء على القرآن وتعظيمه ، وعلى دخول المساجد ، وعلى مكارم الأخلاق ، ومعاشرة الطيبين ، ويحذرون من الغفلة وصنوف الشر ، وصحبة الفساق والتافهين في عصر ماجت فيه أسباب الفساد من فضائيات ومجلات خليعة ، وأفكار مسمومة، حتى صار من الصعوبة متابعة الأهل والأبناء !!

لكن المؤمن الجاد ، لا ييأس ولا يحزن ، وعليه العمل والمبادرة ، وأن يتقى الله على كل أحواله وأن يعتني بتربية الأبناء في الصغر ، فيحفظهم القرآن ، ويحببهم للمسجد ، ويعرض لهم سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وأحوال السلف الصالح . فهي أنفس ميراث يحفظه الأجيال .

---

[1](?) **التحريم : 6**

وقد قال علي رضي الله عنه في تفســير هــذه الآية **: (أدبوهم وعلِّمـوهم**) وأعظم أدب يقلــده الأبنــاء ، الأدب مع الله تعـالى بأداء حقه ، والقيـام بشـرعه ، وأن يعلم الابن من صـغره أن الله لم يخلقه عبثا ، وإنما خلقه لعبادته وتوحيـــــــده ، وأن في ذلك سعادته وفلاحه وبلوغه إلى جنات النعيم .

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

41- قــال تعالـــى:**((كَفَّرَ عَنْهُمْ سَـيِّئَاتِهِمْ وَأَصْـلَحَ بَالَهُمْ))** [1]

في زمن الفتن والمغريات ينعم الله تعالى على عبـاده المؤمـنين بتكفير السيئات وصلاح البال والأحوال جـزاء إيمـانهم وتصـديقهم ببعثة رسولنا صلى الله عليه وسلم يقول تعالى :

(والذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سـيئاتهم وأصـلح بالهم)

فكان جزاء الإيمـان بالله والإيمـان بنبـوة رسـوله صـلى الله عليه وسلم تكفير السيئات وصلاح الأمور والشؤون .

فإن المؤمن يخوض في حياة مليئة بالشـرور والمفاسد ، فيخشى على إيمانه واستقامته ويرجو بعد الإيمان الصحيح ، أن يصلح الله له باله وحاله .

وهنا بانت فضيلتان لأهل الإيمان ليست لسواهم ، تجـاوز الله عن معاصيهم ومحا عنهم خطاياهم، وهذا ما يرجـوه كل مـؤمن مقبل على الله .

وأيضاً أصلح الله لهم بالهم وحالهم ويندرج تحت هذا نعم السعادة والطمأنينة والهدوء النفسي ، فتصبح بلايا الحياة وأسقامها بعيـدة عنهم ، وإذا قصـدتهم دفعوها بإيمـانهم بالله وصـبرهم ورضـاهم . فما أحلى الإيمان الذي يورث النعمة والصحة والسـعادة ، يـرتقي به المـؤمن التقي إلى مـدارج النـور والعز والكرامة وهو لا يملك مالاً ولا جاها ، ولكنه يملك إيمانا مضيئا ، يقشع كل التعاسات من حياته ، ويبدله ألوانا من الراحة والسعادة . قـال تعـالى **(الـذين آمنوا وتطمئن قلـوبهم بـذكر الله ألا بـذكر الله تطمئن القلوب) .**

ومن صلاح البال حصول التوفيق والنجاح في هذه الحيـاة ، فيُـرى المؤمن موفقـاً في أمـوره وحوائجه ، بخلاف الكفـرة ، فـإنهم قد حرمـوا هـذا النعمة ، فلا بـال لهم مسـتقيم ولا راحة ينعمـون بها وأمـورهم مبعـثرة ، قد حرمـوا كل ذلك بسـبب كفـرهم وعنـادهم **(ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الـذين آمنـوا**

---

[1] **(?) محمد : 2**

اتبعـــوا الحق من ربهم ، كـــذلك يضـــرب الله للنـــاس أمثالهم) .

42- قال تعالى : **((وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ))** **(1)**

عجباً لظالم ينسى خالقه ، ويطغى في الأرض بأمواله ، ويستكبر بجنوده ويتعاظم بقوته ، ويظن أنه ملك كل شئ ! أو أن الأمر إليه ! وينسى يوم تقوم عليه قيامته ، وينسى يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فما يبقي ظالم ولا مجرم ولا متجبر إلا ويقف إمام الله للحساب والجزاء فهاهم الظلمة والطغاة يقفونه ، ولا يبقي لهم ظلمهم وطغيانهم .

فهذا فرعون الطاغية عتا وتجبر ، وبغى كثيراً ، وظن أنه سيغلب من الله ، قال تعالى **(واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون) .**

غرهم استكبارهم وزيّن لهم عتوهم ، فظنوا أنهم مخلدون ، وأن شأنهم دائم ، وظنوا أنهم إلى الله لا يرجعون فليس ثمة حساب ، ولا جزاء وليس ثمة معاد ولا تناد . كذا كان اعتقاد هذا الظالم وجنوده بسبب ما أوتوا من القوة والسلطان والتمكين ولكن :

وما من يدٍ إلا يد الله فوقها وما ظالم إلا سيُبلى بأظلمِ

قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته)) .

فلم يطل الاستكبار بفرعون وجنوده ، ولا دام لهم البطش والإفساد ، بل أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، حيث أفناهم وأغرقهم في البحر ، قال تعالى **(فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ، وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ، ويوم القيامة لا يُنصرون ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ، ويوم القيامة هم من المقبوحين).**

---

[1](?) **القصص : 39**

43- قال تعالـــى: **((وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْـهِ))** **(1)**

كم هي ساعة أليمة لكل ظالم ومعاند ، أعرض عن منهــاج محمد صـــلى الله عليه وســـلم ، وســـلك غـــيره من الطـــرق المنحرفة والأهـــواء المضـــلة ، مع وضـــوح الحق وصـــفائه ، وظلمة الباطل وكدرته ، بـأن ينـدم نـدماً لا أشد منه ، ويعض على يديه حســرة وأسفا ونكداً كما قال تعالى :

(ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا) .

وهي وإن كـانت نازلة كما روى في عقبة بن أبي معيط المشـرك الأثيم ، إلا أنها تعم كل ظالم باغ ، حاد عن طريق الهـدى ، ورغب عن سنة محمد صلى الله عليه وسلم . فهو ظـالم باعتبـار إيثـاره للحق على الباطل ، وظـالم لنفسه لأنه أوبقها ، واختـار لها أشـنع السبل ، وظالم لنبينا صـلى الله عليه وسـلم لأنه خالفه وجنح عن سبيله وهداه .

والظلم ظلمات يـوم القيامة ، ولا أظلم من زائغ عن الحق راغب في مسلك الشيطان والضلالة ، ولكن لا يبين له ذلك إلا إذا عـايَن هول الموقف ، وسُحب بالأغلال والأصـفاد ، فيأسـفُ غاية الأسف ويتحسَّر أعظمَ حسرة ، ومن ندامته التي يعلنها في ذلك الموقف **(يا ويلتا ليتـني لم أتخذ فلانـاً خليلا ، لقد أضـلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا) .**

وهل ثمة عاقل يثق بأماني الشيطان وأمـاني حزبه وحبائله ؟ !كلا إن خليل المعصية والانحـراف ، وزميل الهـوى ، لا مـأمن معهما ، ولا منجـاة لهما ، فمن أطـاعهم وركن إليهم فقد خسر خســراناً مبينا، قال تعالى **(يعدهم ويمنيهم ، وما يعدهم الشـيطان**

---

[1](?) **الفرقان : 27**

إلا غــرورا ، أولئك مــأواهم جهنم ، ولا يجــدون عنها محيصا) .

وفي هـذه الموعظة من الفوائد : فداحة مظلمة الزائغ عن مسلك نبينا صلى الله عليه وسـلم وتجرعه نـار الأسف والحسـرة يــوم القيامة ، وأن كل راغب عن سـنته وطريقه ظـالم لنفسه ، مهلك لها ، وفيها ندامة الكــافر يــوم القيامة وشــؤم ما يواجهه يومئذ ، وأن طرق الضلالة لن تنفع صاحبها ، بل سـترديه وتهلكه . وفيها دوام خذلان الشيطان لبني آدم ، وأنه لا يوثق به ولا يُصـغى إليه ، وأنه سبب شقاء الناس ونافذة هلاكهم وخسارتهم .

أعاذنا الله وإياكم من شره ومكايده .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

44- قــــال تعالـى : **((وَلَقَـــدْ نَادَانَا نُـــوحٌ فَلَنِعْمَ المُجِيبُونَ))**[1]

إذا تعاظم الكرب , وساء الحـال فليس للمـؤمن ملجأ إلا إلى الله تعالى ، وليس له معين ولا نصير ، إلا فـاطر السـموات والأرض ، من بيــده ملكــوت كل شئ فهو نصــير المظلــومين ، وكــافي المهددين ، ومجيب دعوة المستغيثين . فهذا نوح عليه السلام لما أيس من قومه وضاق بكفرهم واستهزائهم ، وطال عليهم الأمد ، دعا ربه عليهم واستنصـره على ظلمهم وبغيهم بقوله **(رب إني مغلــوب فانتصر)** وقوله **(رب لا تــذر على الأرض من الكافرين ديارا ، إنك إن تذرهم يضلوا عبـادك ولا يلـدوا إلا فاجراً كفارا) .**

وهنا يقـول تعـالى **(ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبـون)** أي دعانا واستنصر بنا فلنعم المجيبــون نحن ، أي أجبنــاه أحسن الإجابة ، وحققنا له مراده وبغيته .

وكذا هو دأب الله مع عباده المتقين لاسـيما أنبيـاؤه وحملة دعوته يجيب دعــاءهم ، وينصــرهم على من ظلمهم ولو قلــوا وهــانوا فسـحقهم الله الطوفـان الهـائج الـذي أفنـاهم ، ونجى الله نوحـاً

[1] **(?) الصافات : 75**

وأصحاب السفينة ، وامتن الله على نوح بأن جعل بقية الناس من نسله ، حيث انقطع نسل كل من في السفينة وبقى نسل نوح عليه السلام ، فهو أبو البشر بهذا المعنى قال تعالى **(وجعلنا ذريته هم الباقين ، وتركنا عليه في الآخرين ، سلام على نوح في العالمين)** أي أبقى له الله الذكر الجميل والثناء الحسن ، فلا يُذكَر إلا بخير ، ولا يُعرَف إلا بطيب الخصال ، وهذا من توفيق الله له .

ثم قال تعالى **(إنا كذلك نجزى المحسنين ، إنه من عبادنا المؤمنين)** أي إنما أعطيناه ذلك الفضل جزاء إحسانه في الطاعة وصدقه في الإنابة ، فهو من المؤمنين الموحدين ، أهل الصدق واليقين .

ومن أمثله إحسان نوح عليه السلام : أنه كان عبداً شكوراً ، وفي ذلك إشارة إلى علو منزله في تحقيق العبودية لله تعالى ، وكان قائماً بالدعوة والرسالة خير قيام ، فقد بلّغ ونصَح وصبَر على الأذى ، واحتمل ألف سنة إلا خمسين عاماً إلى أن ضاقت به السبل ، فلجأ إلى الله وناداه طالباً عونَه ونصرته ، ولقد أجابه نصير المؤمنين ، ومجيب سؤال المضطرين إنه على كل شئ قدير.

45- قال تعالى : **((يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ))**[1]

أيها الإخوة : يا عجباً كيف يُخلِّد المالُ في دنيا فانية ؟ !وكيف يخلد المال في دنيا حقيرة ؟ !وكيف للأموال أن تخلد عبداً هالكا وصائرا إلى الله ؟ !!لو خلد المال أحداً لما وصلت إلينا تلك الأموال ، ولما كانت أحاديث للناس يتفكرون ويعتبرون .

وفي هذه الآية يقصّ الله علينا خبر كافر ظالم ، كان همازاً لمازاً ، أي يزدري الناس ويتنقصهم ويعتني بجمع المال وعده وإحصائه إلى أن تعلق به وافتتن ، وظن أنه به دائم ومخلد ، وأنه به باق غير زائل ، وقد روي عن بعضهم أنها نزلت في الأخنس بن شريق ، وقيل إنها عامة .

---

[1](?) الهمزة : 3

وقد توعـده الله بقوله **(ويل لكل هـزة لمـزة ، الـذي جمع مــالاً وعــدده ، يحسب أن ماله أخلــده)** أي يظن هــذا المشرك وأشباهه أنه بجمع المـال مخلد في هـذه الـدنيا الزائلة ، وليس الأمر كما زعم وتوقع ، بل سيعود إلينا ونجازيه .

(كلا لينبــذن في الحطمة) أي لنُلقينَّ هــذا جــامع المــال ومحصــيه في الحطمة وهي جهنم ســميت بــذلك لأنها تحطم ما فيها وهذا يدل على عظمها وشدتها .

إذنْ فليحذر أصحاب الأموال وجماع الدنانير من فتنة المال ، التي تــزين لصــاحبها الخلد أو المكث الطويل ، وتنســيه ذكر الله ، وتفسد قلبه ، وتصرفه عما أوجبه الله عليه في هذا المـال ، **وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه (لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال)** وفي الحـديث الآخر **(واللهِ ما الفقـرَ أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُســـطت على من كـــان قبلكم ، فتنافســـوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم)** .

نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

46- قال تعالـى: **((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ))** [1]

ما عكّر سعادةَ الناس في هذه الحياة ، ولا نغص عليهم معايشَـهم إلا الموت ، هادمُ اللذات الذي قضاه الله على العباد **(كل نفس ذائقة الموت)** .

فلا مفَر ولا مناص من سكرة الموت وما فيها من البلاء والأنكـاد . ولئن كـان يفر كثـيرون منه في هـذه الحيـاة ولا يطيقـون ذكـره ،

[1] (?) ق : 19

فإنه إذا حـانت سـاعته وحضـرت سـكرته فلا مهـربَ منه ، قـال تعالى : **(وجاءت سـكرة المـوت بـالحق ذلك ما كنت منه تحيد) .**

والخطاب هنا لكل إنسان ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صـلى الله عليه وسـلم أنه لما تغشـاه المـوت جعل يمسح العـرق من وجهه ويقول : **((سبحان الله إن للموت لسكرات))** .

لما أُحتضر أبو بكر واشـتد به الكـرب ، دخلت عليه عائشة رضي الله عنها ، فتمثلت بهذا البيت:

لعمرك ما يُغني الثراءُ عن الفتى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

فكشف عن وجهه وقال : ليس كذلك ، ولكن قـولي : **(وجـاءت سكرة الموت بـالحق ذلك ما كنت منه تحيد)** قيل ما كنت تفر وتحيد منه في الـدنيا ، وقيل ذلك ما كنت تقـدر على الفـرار والحيد عنه .

هـذا المـوت هو الـذي فـرق بين الجماعة وكـدر السـعادة ، وأزال النعم ، ولقد تهيبه العظماء والأمراء والصـلحاء ، وذلـوا عند رؤيته وتحسر كل مقصر ومسئ منهم ، فهل من اسـتعداد وتـذكر له ، **فقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال**:

(أكـثروا من ذكر هـادم اللـذات) ولا تصح زيـادة (ومفـرق الجماعـات) وإن كـان هو يفرقها ويشـتتها ، وليعلم أن من فوائد تـذكر المـوت : إحيـاء القلـوب وتزكية النفـوس ، وفيه حض على العمل والمسارعة وترك للدعة والراحة ، وإعراض عن الموبقـات واستعداد للحسـاب والجـزاء ، وفي تـذكرة أيضـاً تصـديق للحيـاء الحق من الله تعـالى ففي الحـديث الصـحيح الـذي رواه أحمد الترمذي عن ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم ((**استحيوا من الله حق الحياء**)) قالوا : إنا لنسـتحي والحمد لله ، قـال : **((ليس ذاك ، ولكن من اسـتحيا من الله حق الحيـاء ، فليحفظِ الرأسَ وما وعى ، وليحفظ البطن وما حوى ، وليـذكرِ المـوتَ والبِلا ، ومن أراد الآخـرة ، تـرك زينة الحياة الدنيا فمن فعل ذلك ، فقد اسـتحيا من الله حق الحياء)) .**

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

47- قـــال تعالـــــى:**((وْلا تَسْــــتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))** [1]

الاســتغفار والتوبة عنــوان الــتراجع ، وطريق الإنابة ، واعــتراف بالتقصـــير والإســـاءة ، ولا يـــدفع عـــذاب الله وســـخطه شئ كالاســتغفار ، فلمــاذا يحــارب العبد ربَه بالمعصــية ، ويصر على الخطيئة ، مغروراً بعتوه وبطشه ، وغافلاً عن بطش الله الشـديد ، وعقابه السريع .

وفي هذه الموعظة العظيمة يذكِّر صالح عليه السلام قومه ثمــود بالتوبة والرجــوع إلى الله وســؤاله المغفــرة لعل الله يــرحمهم ويتجاوز عنهم .

فيقـــول **(لو لا تســـتغفرون الله لعلكم ترحمـــون)** فهلا استغفرتم ربكم ليرحمكم ، وهلا استغفرتموه ليتوب عليكم ، وهلا ندمتم على ما فعلتم ليرفع عنكم عذابه ونقمته .

وذلك أنهم لعتوهم وفسادهم سـألوه حضـور العـذاب فقـال **(لم تستعجلون بالسيئة قبل الحســنة لو لا تســتغفرون الله لعلكم ترحمون) .**

وإنه لمن قبيح الفعال ، أن يسأل العبد حضـور العـذاب ، ولا يفكر في التوبة والمحاسـبة والمراجعة ، ولا يبلغ المـرء تلك المنزلة إلا إذا ساء قلبه ، وساءت حاله وأصبح يرى القــبيح حســنا ، والحسن قبيحاً ، كما هو حال المجرمين والمكذبين .

وأما من عـــــــــرف الله وأقر بأنه خالقه ورازقه ، فلا دواء لغيه وفســاده إلا الاســتغفار والتوبة والإقلاع ، وهو ما وعظ به صــالح قومه ، وهو سبب لدفع الشرور والبلايا عند اقترابها ، قـال تعـالى **(وما كـــان الله ليعـــذبهم وأنت فيهم ، وما كـــان الله ليعذبهم وهم يستغفرون)** والاستغفار سببٌ للرحمة ومفتاح الأرزاق وعتبة التواضع والانكســار ، **وقد كـان من دعـاء نبينا صـــلى الله عليه وســـلم كما في الصــحيحين ((اللهم اغفـرلي خطيئـتي وجهلي وإسـرافي في أمـري ، وما أنت أعلم به مـــني ، اللهم اغفر لي خطـــأي وعمـــدي**

---

[1] **(?) النمل : 46.**

وهــزلي وجــدي ، وكل ذلك عنــدي ، اللهم اغفــرلي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير)) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

48- قـال تعالـى: **((هَـلْ يَسْـتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُـونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ))**[1]

كلا أبـداً لا يسـتوون ! كيف يسـتوي العـالمُ والجاهل ، يل كيف يسـتوي المسـلمُ والمشـرك ، ومن رغب فيما عند الله ، والمتبع لهواه ؟ !إنما يتذكر أولوا الألباب .

فلا يـدرك فـرق ما بينهما ، واختلاف حاليهما إلا ذوو العقـول السليمة والألباب الزكية ، الـتي اسـتنارت بنـور الوحـيين فمـيزت النور من الظلمة والهدى من الهوى ، والأبيض من الأسود .

وإنها لنعمة عظيمة أن يمن الله على بعض عبـاده بشـرف العلم الشرعي ، فيفقهـوا دينه ، ويحفظـوا سـنة نبيه ، ويقومـوا بها في الناس ، فأولئك هم الفائزون ، وأولئك هم المفلحون .

وهم الذين لا يساوون بالجهلة ولا بالعصاة ولا بالغـافلين كما قـال تعـالى مبينـاً شـرف المـؤمن الموحد ، ويـدخل فيه شـرف العلم والفقه في الدين **(قل هل يستوي الذين يعلمون والـذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب) .**

فالعلم نور لصاحبه ، ينـير له قلبه ، ويحي نفسه ، ويوضح له دربه ، ويسـوقه للنجـاة ، والجهل ظلمة شـديدة ، يتخبط فيها صـاحبها فيعبد الله على جهالة ، ويتقرب ببـدع وأخطـاء ومخالفـات ! وكل ذلك بسبب الجهل.

قال ابن الجـوزي رحمه الله في كتابه المفيد (تلـبيس إبليس) : ((اعلم أن البـاب الأعظم الـذي يـدخل منه إبليس على الناس هو (الجهل) ، فهو يـدخل منه على الجهـال بأمـان ، وأما العـالم فلا يـدخل عليه إلا مسـارقة ، وقد لبس إبليس على كثير من المتعبدين لقلة علمهم ! لأن جمهـورهم يشـتغل بالتعبد ، ولم يحكِّم العلم .

وقد قـال الحسن رحمه الله : **(لا يـزال العبد بخـير ما علم الـذي يفسد عليه عمله)** فـالواجب على كل مسـلم تحـري العلم والبصـيرة في طاعته وعبادته ، وألا يكـون كالجهلة الـذين يكتفون بحسن النية ، بعيدين عن الحرص والتفقه والسؤال .

---

[1] **(?) الزمر : 9**

وقد قال تعالى **(فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)** .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

49- قال تعالى : **((لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ))**[1]

هذا قسم من الله تعالى أكيد ، وإعلام منه صريح بأن من شكر نعمته ، زاده منه أضعافاً وأكرمه أرباحا ، قال تعالى **(وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ، ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) .**

وهذا ما ذكَّر به موسى عليه السلام بني إسرائيل ، وقد منَّ الله عليهم بالنجاة من كيد فرعون الذي ذبح أبناءهم واستحيا نساءهم ، فذكرهم بنعمة الله ، وإن من حقوقها شكر الله تعالى الذين أنعم بها وتفضل ، وأمتع بها وأحسن . وقد قال تعالى **(واشكروا لي ولا تكفرون) .**

وقال تعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام **(بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) .**

فالشكر عبادة عظيمة ومنزلة رفيعة ، **قواعدها كما قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين (خضوع الشاكر للمشكور ، وحبه له ، واعترافه بنعمته ، وثناؤه عليه بها وأنه لا يستعملها فيما يكره) .**

والمؤمن التقي يشكر الله على ما هداه ، وعلى نعمة الإسلام ، ويشكره على نعمة الرزق والمال والولد ، ولن يؤدي حقها ولكن حسبه أنه اعترف بمنعمها وشكره عليها . **وفي شعب الإيمان للبيهقي قال صلى الله عليه وسلم (التحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير) حسنه الألباني رحمه الله** .

---

[1] **(?) إبراهيم : 7**

وشـــكر النعم طريق المؤمـــنين والـــرابحين وهو مفتـــاح الزيـــادة والكرامات ، ويتأتى بالقلب واللسان والجوارح كما قال صلى الله عليه وسلم لما قام حـتى تفطـرت قـدماه **قال : (أفلا أكـون عبداً شكورا**) .

قـال بعض الحكمـاء : من أُعطي أربعا ، لم يمنع أربعا : من أعطي الشـــكر لم يُمنع المزيد ، ومن أعطي التوبة لم يُمنع القبول ، ومن أعطي الاستخارة لم يُمنع الخير ، ومن أعطي المشورة لم يُمنع الصواب .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

50- قـــــال تعالـى : **((إِنَّ الَّذِينَ قَـــالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا))**[1]

لا نعمة أجلّ في هذه الحياة الدنيا من الإيمـان والاسـتقامة على دين الله ، فمن أعطيها فقد أعطي الكرامة ، ونـــــــال الرفعة والســـلامة ، وقد قـــال الله لرســـوله صـــلى الله عليه وســـلم **(فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا) .**

والاســتقامة هي انتهــاج الإســلام ولــزوم الطريق بلا انحــراف أو معصـية ، وقد قـال عمر رضي الله عنه الاسـتقامة : أن تسـتقيم على الأمر والنهي ، ولا تروغ روَغانَ الثعالب .
وقـال ابن القيم في المـدارج (سـمعت شـيخ الإسـلام ابن تيمية ، قــدس الله روحه يقــول : اســتقاموا على محبته وعبوديته فلم يلتفتوا عنه يمنةً ولا يسرة)) .
وصدق الله فإن من عـرف الإسـلام ، وذاق حلاوة الإيمـان ، رغب فيما عند الله ، وتلذذ بذكره ، ولزم شرعه وهدايته فهو المستقيم حقا ، والمؤمن صدقاً .
وفي الحديث (قل آمنت بالله ، ثم استقم) .
وهــؤلاء المســتقيمون كما قــال **(تتــنزل عليهم الملائكة ألا تخـــافوا ولا تحزنـــوا)** وذلك حين الاحتضـــار لا تخـــافوا مما

---

[1](?) فصلت :3 ، الأحقاف : 13

تقـدمون عليه ، ولا تحزنـوا مما خلفتم في الـدنيا من مـال وولد ، فإنا نخلفكم فيه ونرعــاه لكم **(وأبشــروا بالجنة الـتي كنتم توعدون) .**

والمســتقيمون في الآية الأخــرى **(فلا خــوف عليهم ولا هم يحزنـون ، أولئك أصـحاب الجنة خالـدين فيها جـزاء بما كانوا يعملون) .**

والاسـتقامة مسـلك تحفّه المعاصي والشـهوات ، فهو يحتـاج إلى صبر وجهاد ومصـابرة ، وليس من فـارق السـيئات مسـتقيما، بل كـــان الســـلف رضي الله عنهم يـــرون من همَّ بالمعاصي ليس بمســتقيم ، إذن فالاســتقامة ليست دعــوى يــدعيها كل أحد ، أو يريـدها كل إنسـان . قـال أبو سـفيان بن الحـارث رضي الله عنه ابن عم النبي صـلى الله عليه وسـلم لما احتضر (لا تبكـوا على ، فإني لم أتنطف _ أي أتلطخ _ بخطيئة منذ أسلمت) .

ورُوي عن البخـاري إمـام المحـدثين رحمه الله قوله **(أرجوا أن ألقى الله ولا يحاسبني إني أغتبت** أحداً).

والحافظ الفذ أبو القاسم ابن عساكر صاحب التصانيف المذهلة ، قال عنه ابنه القاسم : كان يحاسب نفسه على لحظة تـذهب في غير طاعة .

نسأل الله حسن الاستقامة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

51- قال تعالـى : ((وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ المَاءِ بَشَراً)) [1]

أيها الإخـــوة : هل تفكر ابن آدم من أي شي كـــان خلقه ؟! وما مــادة تكوينه وحياته ؟! لقد خلق البــاري تبــارك وتعــالى هــذا الإنسان المسـتوي في خلقته . خلقه من مـاء مهين مسـتقذر كما قــال في الآية الأخــرى **(اَلم نخلقكم من مــاء مهين ، ثم جعلنـاه نطفة في قـرار مكين)** ثم جعل تعـالى هـذا المـاء وهو النطفة ، ينتقل إلى أطـوار ومراحل ، ذكـرت في غـير موضع من كتاب الله ، ودلت عليها السنة الصـحيحة وهى أولاً من نطفة وهي الماء ، ثم جُعلت علقة ، ثم مضغة، ثم عظاما ، ثم كسا الله تعالى العظام لحماً ، وأنشأه خلقا آخر ، ونُفخ فيه الـروح ، وصـار بعد كونه جمـــــاداً ، صـــــار حيوانا **(فتبـــــارك الله أحسن الخالقين)** .

ثم جعل تعـالى من هـذا البشر **(نسـباً وصـهراً)** فهو في أول أمره ولد نَسيب ، ثم يـتزوج فيصـير صـهراً ، أي يصـير له أصـهار وأختان وقرابات .

وكل ذلك تم وتقدر (من الماء المهين) ، فسبحان من لا يعجــزه شئ في الأرض ولا في السـماء ، له القـدرة المطلقة ، والتـدبير التــام . وقد خُتمت الآية بقوله **(وكان ربك قـديرا)** وفي ذلك إرشــاد إلى أنه الإله الحق ، المسـتحق للعبـادة ، لأن مثل ذلك لا يفكر فيه أحد فضلاً عن تقليده ومساواته .

ومثل هـذه الآية العجيبة جـديرة أن تـربي في الإنســان خضـوعَه وانكسـاره لربه جل وعلا فلا يطغى ولا يسـتكبر ، ولا ينسى مـادة خلقه ، ومراحل تكوينه ، بل يســـتحلي التواضع والمســـكنة في سائر حركاته وسكناته .

وفي الحديث الحسن الذي رواه الترمذي والـبيقهي وغيرهما **عن أنس أن النــبي صــلى الله عليه وســلم كــان يقــول ((اللهم أحيني مسكينا ، وأمتـني مسـكينا ، واحشـرني في زمرة المساكين))** .

---

[1] (?) الفرقان : 54

وفي ذلك إشـارة إلى فضل هـذا المقـام وشـرفه ، انتهى ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

52- قال تعالـى : **((إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ))** [1]

قضى الله تعـالى أن يكـون قيـام الـدعوة وظهـور الرسل على أعـدائهم ، على أيـدي الأتبـاع والأعـوان من أهل الإسـلام ، وحين يحصل التخلف والضعف والتشاغل ، يتولى الله وحده نصر أنبيائه ، وتأييد أوليائه . فحين تخلف أقوام عن نصـرة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم في بعض المـواطن ، أنكر الله عليهم ذلك وعـاتبهم ، وأخـبر أنه وليه وناصـره وكافيه من كل عـدو وخطر ، ومن ذلك نصره له يوم الهجـرةِ ، عنـدما هم المشـركون بقتله أو حبسه أو نفيه ، فخرج عليه الصلاة والسـلام هاربـاً يصـحبه رفيقه أبي بكر رضي الله عنه ، فلجأ إلى غـار ثـور ثلاثة أيـام ، حـتى اختفى الطلب عنهم ، ورجع المشـركون خـائبين . قـال تعـالى **((إلا تنصـروه فقد نصر الله إذ أخرجه الـذين كفـروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، اِ ذ يقول لصاحبه لا تحـزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيـده بجنـود لم تروها)) .**

وفي الصحيحين قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله لو أن أحـدهم نظر إلى قدميه لأبصـرنا تحت قدميه ، فقال رسـول الله : ((يا أبا بكر ، ما ظنُّك بـاثنين الله ثالثهما)) .

وهـذا أصح وأحسن ما ورد في بيـان حماية الله لهما في الغـار ، وأما أخبـار نسج العنكبـوت ، والحمـامتين الوحشـيتين ، واتصـال البحر بالغـار ووجـود سـفينة مشـدودة إلى جانبه ، فيما لو خلص

[1] **(?)** التوبة : 40

إليهما المشــركون ، فهــذا كله مع شــهرته في الســيرة إلا أنه لا يصح ولا يثبت . وبعضــها ليس بمنكر من حيث القــدرة العظيمة ، ولكن ليس له إســناد قــوي ولا ضــعيف ، فيُقتصر على الثــابت الصحيح ، والعلم عند الله ، **وفي هذه القصة من الفوائد** :

عناية الله وحفظه لأنبيائه وأوليائه الصالحين ، وأن هـذا الـدين هو الغالب والظاهر ، وفيها ضعف كيد المشـركين وهـوانهم على الله ، وفيها مشــــروعية اســــتخدام الوســــائل المادية لتحقيق النصر والسـلامة ، وعظم توكل النـبي صـلى الله عليه وسـلم وصـبره ، وفيها إثبات معية الله الخاصة بالمؤمنين والمتقين . وفيها شــرف أبي بكر وفوزه بهذه الصحبة ، فبإجماع المسلمين أن صـاحبه في الغار أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، انتهت الموعظة .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

53- قال تعالى : **((وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ))** [1]

عنـدما تقصّـر الأمة في حمل الرسـالة ، أو تضـعف عن القيـام بواجبها ، أو تنشـغل بـدنياها ، يقيض الله أمة أخـرى ، مؤمنـة، مطيعة ، همها دينها وخالقها ، وليس نفسها ودنياها .

إن هـذا الـدين العظيم ليس (كلمة) تقـال دون برهنة بالعمل والجد والإخلاص ! فهـاهم المليـار المسـلم مقصـرون في حمل دينهم ! غثـاء كغثـاء السـيل ، لا ينفع منهم إلا من أخذ هـذا الـدين بقوة وعزيمة ، وأثبت للنـاس صـدقه بعمله وجهـاده ، وإلا فـالأمر كما قيل :

من تحلَّى بغير ما هو فيه فضحته شوا هدُ الامتحانِ

*فـأعظم صـفات أهل الإيمـان الطاعة والانقيـاد دون تقـاعس أو تفلت ، وضد ذلك التـولي والفـرار والركـون إلى زهـرة الـدنيا ، فمتى تخلت الأمة عن دينها ، تخلَ الله عنها واستبدل عنها آخرين **(فـإن يكفر بها هـؤلاء فقد وكلنا بها قومـاً ليسـوا بها بكـافرين)** يقيض الله أقوامـاً مؤمـنين ، متـوكلين ، وصـادقين ومجاهدين لا يخافون في الله لومة لائم ، يـدركون أن عـزهم في طاعة الله ومرضاته ، وذلهم في معصيته والبعد عن هداه .*

***(ثم لا يكونـوا أمثـالكم)** ليسـوا كالسـابقين في التخلف عن الطاعة والتقصـير في حمل الـواجب ، وأخذ الشـرع بسـهولة وتضاعف . بل هم أهل الطاعة والاستقامة ، وأرباب العمل والجد والمثابرة .*

---

[1] **(?)** محمد : 38

*قــال تعــالى **(وإن تتولــوا يســتبدل قومــاً غــيركم ثم لا يكونوا أمثالكم)** عند ما قصّر العرب في بعض حقب التــاريخ ، فيّض الله أمماً عجما ، يحملون هــذا الــدين ، ويجاهــدون في الله حق جهاده كان منهم المظفر قطز ، والظاهر بيبرس ، ونورالدين ، وصـلاح الـدين ، الـذي قهر الصـليبين وأعـاد للمسـلمين عـزتهم ومكانتهم ، وأثبت هؤلاء القادة والمصلحون، أن الدين ليس حكراً على العــرب ، بل من حمله بجد وقــوة كــان الإســلام له ومعه ، والمعتبر الإيمان الصـحيح وليس الشـعار أو الجنس ، قـال تعـالى **(يا أيها الذين آمنــوا إن تنصــروا الله ينصــركم ، ويثبت أقدامكم)** وقال تعالى **(ولينصرن الله من ينصــره إن الله لقوي عزيز) .***

ربنا أعنا ولا تعن علينا ، وانصرنا ولا تنصر علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

54- قال تعالـى: ((بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)) [1]

أيها الإخــوة : هــذه كرامة الشــهداء، ومــنزلتهم الســامية عندالله تعالى . إنهم وإن ماتوا في الدنيا، وتمـزقت أجسـادهم، وانهمـرت دمــاؤهم، إلا أن أرواحهم حية ، تســرح في الجنــة، هنية بــالنعيم المقيم، وبالدرجات العالية، فلا يظن بعض النـاس أن المجاهـدين في سبيل الله قد انتهت حيـاتهم بمـوتهم ، وأنه فـاتهم من الخـير والفرح ما فاتهم قـال تعـالى **(ولا تحسبن الـذين قتلـوا في سبيل الله أمواتا ، بل أحياء عند ربهم يرزقون) .**

روى مســلم في صـحيحه عن ابن مســعود رضي الله عنه ، أنهم سألوا رسول الله عن هذه الآية فقال :

---

[1] **(?)** آل عمران : 169

((لا، أرواحهم في جـوف طـير خُضْـرٍ لها قناديل ملعقة بالعرش ، تسرح من الجنة، حيث شـاءت ، ثم تـأوي إلى تلك القناديل ، فـاطلع عليهم ربهم اطلاعة فقـال: هل تشتهون شيئا ؟ فقالوا : أي شيئ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شـــئنا ؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مـــرات ، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسـألوا قـالوا : يـارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى ، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تُركوا)) .

وقد قيل إن هـــذه الآية نـــزلت في شـــهداء أحد ، وروى أنها في أصـحاب بـئر معونة ، وهي على كل حـال عامة لجميع الشـهداء الصادقين .

وهـــؤلاء الشـــهداء **(فـــرحين بما آتـــاهم الله من فضـــله ويستبشـــرون بالـــذين لم يلحقـــوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .**

فهم في نعمة وغبطة وفرح بما وجدوه عند ربهم ، ومستبشـــرون بإخوانهم الذين يُقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقـدمون عليهم ، وأنهم لا يخـــافون مما أمـــامهم ، ولا يحزنـــون على ما تركـــوه وراءهم فأي نعيم يضاهي نعيم الشهداءِ الذي علا وارتفع وتسامى ، نسـأل الله من فضـله ، **وفي صحيح البخـاري في حـديث سمرة الطويل قال صلى الله عليه وسلم :**

((رأيت اللية رجلين أَتَيـــاني فصـــعَدا إلى الشـــجرة ، فـــأدخلاني داراً هي أحســـنُ وأفضل ، لم أرَ قط أحسن منها ! قالا : أما هذه الدار فدار الشهداء))

نسأل الله تعالى من فضله وإنعامه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

55- قال تعالـى : ((بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ))[1]

لقد بذل الشهداء أنفسَ شئ عنـدهم في حيـاتهم ، وهي أرواحهم لله تعالى ، وزهدوا في الـدنيا ، واحتملـوا انقطـاع اللذائذ وفـراق

(?)[1] آل عمران : 169

الشهوات ، فعوضهم الله بما هو ألذ وأنعم وأكرم . قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري:

((إن في الجنة مائة درجة أعـدها الله للمجاهـدين في سبيل الله ، ما بين درجتين كما بين السماء والأرض)) .

وجعل الله تعـالى ميـدان القتـال أنسـاً وبسـتاناً لهم ، لا يخشـون شدته ، ولا يخافون ناره وجعل آلام القتل والشهادة خفيفة عليهم .

روى الترمذي عن أبي هريـرة رضي الله عنه قـال : قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم **: ((ما يجـدُ الشـهيد من مسِّ القتل إلا كما يجد أحـدكم من مس القرصة)). قـال الترمذي : حديث حسن صحيح**

فـأي رحمة وفضل للشـهداء بعد ذلك ؟! إن الشـهداء ليهنـؤون بحياة الجنة الطيبة **(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خلدون) .**

ثبت في الصـحيح أن أم حارثة بن سـراقة أتت النـبي صـلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا رسول الله ألا تحدثني عن حارثة- وكـان قتل يوم بدر – فـإن كـان في الجنة صـبرتُ ، وإن كـان غـير ذلك اجتهـدت عليه في البكـاء ، فقـال **: (يا أم حارثة إنها جِنـانٌ في الجنة ، وإنَّ ابنك أصابَ الفردوس الأعلى)) .**

لم تكن جنة فحسب بل جنانـاً كثـيرة ، وأصـاب منها الفـردوس الأعلى ، وحَيا بها الحياة الكاملة البهيجة التي لا تعرف الشـقاء ولا البؤس ولا النكد ، بل سعادة دائمة ، وفرح غامر واطمئنان رغيد . نسأل الله تعالى من فضله ورحمته .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

56- قال تعالى : **((زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الحَيَاةُ الدُّنْيَا))** **(1)**

لم تكن الحيــاة الــدنيا داراً يســكنها أهل الإيمــان ليخلــدوا إليها ، ويطمئنوا بها ، وإنما كانت طريقاً إلى الآخرة ، وممراً إلى الحيــاة الأبدية ، فلا ضــير حينئذ أن يفــوت المؤمنــون ملاذها وشــهواتها ، لأنها ليست لهم ، وإذا ابتلــوا بها أدو حق الله فيهــا، ولم تغلبهم على دينهم وإيمانهم .

أما الــذين كفــروا فإنها كــانت فتنة لهم ، ركنــوا إليها ، وأحبوها ، وعاشــوا لها ، فزينها الله لهم بما عمــروه فيها من مســاكن ومعايش وأموال ، وغفلوا عن سرّ وجــودهم وخلقهم ، فـالتهتمهم الدنيا بما أقاموه فيها من حضارات وتقدم وازدهــار ، وظنــوا أنهم على السبيل القويم . وما علموا أن ذلك امتحــان لهم وزيــادة في تعــذيبهم ، فهــاهي دنيــاهم لم تصــرف عنهم النكبــات ، ولم تــدفع عنهم البلايا والأسقام !!

والذين آمنوا فــازوا برضــوان الله ، واســتمتعوا بحقــائق الإيمــان ، وما ضرهم بُعدُ الدنيا عنهم ، وقد أيقنــوا فناءها وزوالها ، وطعمــوا فيما وراء ذلك من الفوز والنجاح والسلامة في جنات عدن .

قال صلى الله عليه وسلم كما عند الترمذي وهو حديث صحيح : ((مــالي وللــدنيا ؟ ما أنا في الــدنيا إلا كــراكب استظل تحت شجرة ثم راحَ وتركها)) .

وفي المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه قــال صــلى الله عليه وســلم : **((اللهم لا عيشَ إلا عيشُ الآخــرة))** . فــالعيش الباقي والحياة الدائمة هي في الآخرة وليس الدنيا ، والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** البقرة : 212

57- قال تعالى : **((وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا))** [1]

امتنَّ الله تعالى على عباده بالمطاعم والمشارب يأكلون ويشربون مما لذ وطاب ، وأوجب عليهم حمده وشكره والمحافظة على هذه النعم ، وفي صحيح البخاري كان صلى الله عليه وسلم يقول بعد الفراغ من طعامه **((الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفي ولا مودَّع ولا مستغنى عنه ربُّنا)) .**

وإن العبد لينال رضي الله وثوابه بمثل هذه الكلمات المباركات . ومن حق الله تعالى في هذه النعم القصد والاعتدال في استعمالها والتمتع بها ، وهو المعني في هذه الموعظة **(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، إنه لا يحب المسرفين) .**

والإسراف هو مجاوزة الحد في استعمال هذه المطعمومات والمشروبات ، بحيث يصنع الإنسان أكثر من حاجته ، ويؤول ما بقي إلى القمامة والله المستعان .

قال ابن عباس رضي الله عنهما **(كُلْ ما شئت والبسْ ما شئت ، ما أخطأتك خصلتان سَرَف ومخيلة) .**

فاحفظوا يا مسلمون هذه النعم ، ولا تكونوا كمن أكل وأسرف ، وتمتع وبطر ، وضيع حق هذه النعمة ، وانتهى أمره إلى الزوال والحرمان . نعوذ بالله من زوال النعم ، واندفاع النقم .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

[1] (?) الأعراف : 31

58- قال تعالـى : **((قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا))** [1]

ليس الفلاح والفــوز هو جمع الأمــوال ، أو نيل المناصب !! ولكن الفـوز الحقيقي هو خضـوع النفـوس الإنسـانية لباريهـا، وانقيادها لطاعته وشـــرعه ، ومجانبتها للرذائل والقبـــائح ، وذا هو تزكيتها وتهـذيبها **(قد أفلح من زكاها)** . زكاها بالأعمـال الصـالحة ، والأخلاق الرضـــية حـــتى صـــارت غضة طرية بمحبة الله وذكـــره ودوام التوجه إليه ، فلا تبدي إلا خيراً ، ولا تقول إلا طيبـاً مباركا . وبفضل تزكيتها بالطاعات ، استنارت واهتدت ، ورفضت كل سوء وقبيح .

وهذه الموعظة المباركة وقعت جواباً لأحد عشر قسـماً متتاليـاً ، قـــال تعـــالى **(والشـــمس وضـــحاها ، والقمر إذا تلاها ، والنهـــار إذا جلها)** إلى أن قـــال : **(قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دسها) .**

فأكد سبحانه أن الفلاح والنجاح منوط بتزكية النفـوس وصـلاحها ، وأن الخيبة والخسار منوط بتدسية النفوس وإغوائها ، وإنما يدُسُّ العبد نفسَـه ، أي يخفيها ، ويضـرها بخـذلانها عن الهـدى والخـير ، وزجُّها في ركب المعاصي والآثام .

وتزكية النفس هي شرف العبد وعلوه ، وهي جماع دعوة الرسل بعد التوحيد ، قـال موسى عليه السـلام لفرعـون **(هل لك إلى أن تـزكى ، وأهـديك إلى ربك فتخشـى)** وكـان من دعـاء النـبي صـلى الله عليه وسـلم كما في صـحيح مسـلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه **(اللهم آت نفسي تقواها ، وزكِّها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها) .**

ومن ثمار تزكية النفس أنها حاملةٌ على تقـوى الله ومراقبته على كل حال ، فإن لم يكن ، ففي الطريق حينئذ غبش وخلل ، وتحتاج النفس إلى مراجعة ومحاسـبة ، والاسـتغفار والتوبة يمحـوان كل مكدرات الطريق ومؤثراته .

---

[1] **(?)** الشمس : 9

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

59- قال تعالـى : **((وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ))** [1]

عنـــدما يُبتلى المســـلم وتشـــتد به الكـــروب ، لا يجد ملجـــأً له إلا الـدعاء واللجـوء إلى الله عزوجل ، وحينما تتـوالى عليه الأسـقام والأدواء ، لا يجد ترياقا ولا شفاء لها إلا الدعاء والانكسار بين يدي الله تعـــالى ، وحين يتعسر الـــرزق ويتطـــاول الظلمة ، لا يجد المسلم نصيراً ولا عضيداً إلا الدعاء وتفويض الأمر إلى الله وحده ، تبارك وتعالى .

(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) .

الـدعاء قربة جليلـة، يعظُم فيها توحيد العبد وعبوديتُه ، وافتقـاره إلى ربه ، وتبرؤه من الحول والقوة، ويحصل للمـؤمن به انشـراح النفس ، وضـــياء القلب ، ودوام التوفيق والتســـديد. وفي هـــذه الموعظة يمتن الله على عباده بالدعاء ، ويعدهم بالإجابة مباشرة ، ويخبرهم أن الدعاء (عبادة) لا يضيعها إلا مستكبر .

(إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين) .

وعند الترمذي وأبي داود بسـند صـحيح عن النعمـان بن بشير رضي الله عنه ، أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قـال (الـدعاء هو العبـادة) وهـذا الحـديث أصح وأحسن من الحـديث الآخر (الـدعاء مخ العبـادة) رواه الترمـذي وغـيره لكنه ضعيف.

وروى أحمد والبخـاري في الأدب المفـرد ، قـال صـلى الله عليه وسلم : (ليس شئٌ أكرم على الله من الدعاء) .

فينبغي على أهل الإسـلام المحافظة على هـذه العبـادة العظيمة لأنها مـــدَدُ التوحيد واليقين .وليتحـــروا فيها مـــواطن الإجابة ، والكلمات النافعة مع مراعاة الآداب والفضائل فيه وهنـاك رسـالة مفيـدة لطيفة في الـدعاء للشـيخ محمد بن إبـراهيم الحمد ننصح

[1] **(?)** غافر : 60

المسـلمين بقراءتها ، وكتـاب ضـخم في تصـحيح الـدعاء للشـيخ العلامة بكر بن عبد الله أبو زيد وفقه الله تعالى .

اللهم إنا نسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفرلنا وترحمنا وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنا إليك غير مفتونين .

60- قال تعالـى : **((وَمِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كَالأَعْلامِ))** [1]

سبحان من سـخّر لعبـاده البحر ينتفعـون به , وجعل الجـواري أي السفن ، تجري فيه بأمره كـالأعلام أي الجبـال كما قـال في الآية الأخرى **(وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام) .**

وفي هـــذا آية عظيمة دالة على قدرته البـــاهرة وعلى ســـلطانه العظيم ، تبارك وتعالى .

ومن رحمته تعــالى أنه ســخر لنا الــريح فتحــرك هــذه الســفن الجواري ، وجعلها لطيفة معتدلة ولو شاء لسكن الريح ، فــوقفت الســـــفن ولم تتحــــرك ، وفي ذلك تعطيل لمكاسب النـــــاس ومصالحهم .

ولو شاء لجعل الريح ، قوية عاتية ، تأخذ بالسـفن يمينا وشـمالاً ، ولا يتجه لها مقصد ، فتُهلك وتشـــــــــرِّد وتوبق ، ولكن من لطفه تعـــالى أنه يرســـلها بحسب الحاجة ، كما أنه يـــنزل الغيث من السماء بقدر الكفاية ، ولو أنزله كثيراً لهلك الناس، وتهدم البناء ، والله المستعان .

قال تعالى مبيناً هذه القضية**(إنْ يشأ يسكن الــريح فيظللن رواكد على ظهره)** أي واقفة على وجه المـاء لا تتحـرك **(إن في ذلك لآيــات لكل صــبار شــكور) (أويــوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير)** أي ولو شاء لأرسل الـريح قوية تأخذ

---

[1] **(?)** الشورى : 32.

بالسفن في كل الجهات وتحيلها عن سيرها المستقيم ، وفي ذلك الهلاك لها .

وقيل المعـنى **(أويـوبقهن بما كسـبوا)** أي ولو شـاء لأهلك السفن ، وغرقها بذنوب أهلها الذين يركبونها **(ويعف عن كثير)** أي يتجاوز عن كثير من ذنوبهم ، ولو آخذهم بجميع ذنوبهم لهلك كل من ركب البحر . فسبحانك ربنا ما أكرمك ، وما أحلمك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، إنك على كل شيءٍ قدير .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

61- قال تعالـى : **((تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ))** [1]

هل مس أحدكم الماء إذا اشـتد غليانه ؟! وهل توضأ بعضـنا بمـاء سـاخنٍ لم يجد سـواه ؟! إننا لنُنكر حـرارة المـاء إذا التهبت ، ونضـيق منه إذا لامسـناه ! فكيف بمن لا يجد إلا المـاء السـاخن الآني ، يشربه ويتحساه عياذاً بالله من ذلك ؟!!

إن هذا صنف من شراب أهل النـار يشـربون من عين حـارة ، قد اشـتد حرها وغليانها كما قـال تعـالى **(وسـقوا مـاءً حميمـاً فقطع أمعـاءهم)** والحميم هو المـاء الحـار الشـديد شـربوه فقطع أمعاءهم وأحشاءهم .

لقد كان هذا العذاب المؤلم لمن قـال الله فيهم **(وجوهٌ يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى نـاراً حامية ، تسـقى من عين آنية) .**

لقد كانت عاملة ناصـبة ، ولكن في غـير طاعة الله ، ملأت الـدنيا عملاً وكسـباً وكـدحاً ، ولكن في المعاصي والقبـائح والضـلالات ، وقد جعلها ابن عبـاس رضي الله عنه في النصـارى وقيل عاملة في الدنيا بالمعاصي ، ناصبة في الآخرة في النار .

وقـال الحسن البصـري رحمه الله : لم تعمل لله في الـدنيا ، فأعملَها وأنصبَها في النار بمعالجة السلاسل والأغلال ، وهذا قول قتادة وهو رواية عن ابن عباس .

فهذه النفوس الناصبة تتجرَّع من هذه العين الآنية ، الـتي أُوقـدت عليها جهنم منذ خُلقت ، وقد قيل لو وقعت منها قطرة على جبال الـدنيا لـذابت ، فيأتيها أهل النـار عطاشـاً ملهـوفين ، قد أمضـهم طـول الجـوع والانتظـار ، وأرقهم شـدة النكد والبلاء ، والله المستعان .

اللهم أجرنا من النار ، وأدخلنا الجنة مع الأبرار.

وصلى اله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الغاشية : 5

62- قال تعالى : **((وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا))** [1]

الإمامة في الدين ليست بالعلم الكثـير، ولا بالشـهادة العاليـة، ولا بالـدعاوى المجـردة عن الـبراهين العمليـة، والشـواهد التطبيقية التي تثبت صدق الولاء لهذا الـدين ، والإخلاص في حمل قضـاياه، والصبر على شدة المسئولية ولأوائها .

إن الله تعالى يصطفي لدينه أئمة آمنوا به حق الإيمـان ، واهتـدوا بهديه ، واعتصموا بشـرعه **(وكـانوا بآياتنا يوقنـون)** . ثم هم صابرون في دينهم يمتثلون أوامره ، ويجتنبون نواهيه ، ويتحملون في سبيله كل الأذيات والأخطار . فلا جزع من الطاعة والانقيـاد ، ولا تضجر من تمام الاتباع ، ولا استيآس من تأخر الفرج والنصر ، بل موقنـــون بوعد الله ومستســـلمون لســـنته ، وصـــابرون على تبعاتِ ذلك كله .

فهذه مقدمة الإمامة الصبر واليقين **(لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنـــون)** قـــال ابن تيمية : بالبصر واليقين تُنـــالُ الإمامة في الدين .

وسـئل سـفيان رحمه الله عن قـول علي رضي الله عنه : الصـبر من الإيمـان بمنزله الـرأس من الجسد ألم تسـمع قوله **(وجعلنا منهم أئمة يهـدون بأمرنا لما صـبروا)** قـال : لما أخــذوا برأس الأمر صاروا رؤوسا .

لا تحصل الإمامة لأهلها إلا بـاليقين الصـادق ، والصـبر الشـديد ، فبهما صحة الاستقامة وحسن التدين ، وبهما كسر نفـوذ الباطل ، ومواجهة البلايا واحتمال طول الطريق . لن يجدَ المؤمن الصـادق ، أنفع لصـلاحه من اليقين ، ولا أدوم لثباته من الصـبر والتحمل . أما اليقين فهو مدد الروح ، وأما الصبر فهو مدد الجسد .

قال تعالى **(وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شـيئا) .**

---

[1] **(?)** السجدة : 24

والله ربنا الموفقُ والهادي لكل خير .

63- قال تعالـى : ((أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُـرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُـوبٍ أَقْفَالُهَا)) [1]

محرومٌ غاية الحرمـان ، ذلك الـذي حيل بينه وبين تـدبر القـرآن ، والتلـذذ بمعانيه وأسـراره !! كيف يحلو القـرآن بلا تـدبر؟! وكيف تُستطاب تلاوته وهو لا يلج قلوب التـالين ، ولا يمرها ولا يطهرها ، بل تحول دون دخوله أقفالُها المحكمة ، وسدودها المنيعة !!

ما أُنـزل القـرآن إلا ليتـدبر ويتعظ بما فيه ، فتلك ثمرته البانعة ، وحلاوته البهيجة **(كتـاب أنزلنـاه إليك مبـارك ليـدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) .**

ليس العبرة التوفيق للقراءة فحسب ، بل العـبرة التوفيق للتـدبر ونيل ثمرات التلاوة. ورب قارئ لآية واحدة بتدبر وتأمل ، خير من صاحب الأجزاء والأوراد ، وهو يهـذها هـذاً لا يـدريها ولا يعيها ، قد فاته الخير الكثير وحُرِمَ فضلاً عظيما .

قـال تعـالى : **(وقرآنا فرقنـاه لتقـرأه على النـاس على مكث ونزلناه تنزيلا) .**

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت :

((كـان النـبي صـلى الله عليه وسـلم يقـرأ السـورة فيرتلها حتى تكون أطولَ من أطولَ منها))

وفي الصحيحين قال ابن مسـعود رضي الله عنه : (**إن أقوامـاً يقـرؤون القـرآن لا يجـاوز تـراقيهم ولكن إذا وقع في القلب فرسخَ فيه نفعَ) .**

[1] **(?)** محمد : 24.

(أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ما لهؤلاء الغـافلين لا يتـدبرون كتـاب ربهم ؟! هل غرقـوا في الغفلة ؟! أم احتــوتهم المعصــية ؟! أم التهمتهم الــدنيا ؟! فصــارت القلــوب مطبقة لا يصل إليها نــور القــرآن ، ولا يهزها وعيــده وتخويفه ولا يحـدوها تبشـيره ونعيمه ؟!! هل اطمـأنت نفـوس هـؤلاء بـانغلاق القلوب ، وغيابها عن كتاب ربها ؟!!

نعوذ بالله من الغفلة ، ومن قفل القلوب عن الخير .

اللهم املأ قلوبنا بالإيمان ، ووفقنا لتدبر الذكر والقرآن . آمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

64- قال تعالـى : **((قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ))** [1]

لما استشعر عيسى عليه السلام الكفرَ من قومه ، والإصرارِ على الضلال ، أحب أن يتخذ منهم أنصاراً إلى الله ، ليحملـوا معه الهمّ ، ويعينـوه على الـدعوة ، ويصـبروا معه على الأذى ، ويـرى فيهم معـاني الصـدق والإخلاص والإخـاء . قـال تعـالى **(فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله) .**

وهكذا كلُّ داعيةٍ ومصـلح ، لا بد له من أعـوان وأنصـار ، يَشُـدّون من عزمه ، ويعلـون من همته ، ويزيـدون في نصـرته ، وفي ذلك ضـمان سـلامة الـدعوة ، وطـول مـدتها ، وعظم تأثيرها ، وسـبب لبقائها وصـــمودها ، وفي ذلك أيضا صـــناعة للأتبـــاع ، وتهـــئيتهم للقيادة والمواصلة ، حين غياب الداعية ، ووفاة العالم المصلح .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم يقـول في موسم الحج قبل أن يهاجر **(من رجل يؤويني حـتى أبلـغَ كلام ربي ، فـإن قريشاً قد منعـوني أن أبلغ كلام ربي)** حـتى فيض الله له الأنصـار رضي الله عنهم فـآووه ونصـروه ، ومنعـوه من الأسـود والأحمر ، وحصل بهم للإسلام مفـاخر عظيمة ، ومكاسب جليلة ، رضي الله عنهم وأرضاهم .

---

[1] **(?)** آل عمران : 52

وعيسى عليه السـلام حين سـمع قومه خطابه ونـداءه **(قـال الحواريـون ، نحن أنصـار الله ، آمنا بالله واشـهد بأنا مسلمون)** . هيأ الله له هؤلاء الحواريين وهم الأنصار ، فعاونوه ، ونصروه وقاموا بالدعوة معه ، وحملوا رسالته من بعده ، وكـان من قـولهم **(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسـول فاكتبنا مع الشاهدين) .**

قال ابن عباس **(فاكتبنا مع الشاهدين)** مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، رواه ابن أبي حاتم بسند جيد .

اللهم أعنّا ولا تعن علينا ، وانصرنا ولا تنصر علينا ، وامكرلنا ولا تمكر علينا واهدنا ويسر الهدى لنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

65- قال تعالـى : **((ومَنْ يُهِنِ اللهُ فماله من مُكرِمٍ)) (1)**

تبارك وتعالى ربنا ، رفع أولياءه ، ووضع أعداءه ، وأكرم المؤمنين ، وأهـان الكـافرين . يعز الله أهل الإيمـان لإيمـانهم وصـدقهم ، ويـذل أهل الكفر والفسـوق لظلمهم وانحـرافهم ، فمن يـرفعهم بعد الله ، ومن يكـرمهم بعد الإهانة الدائمة ، والإذلال المسـتمر ؟!!

(ومن يهن الله فماله من مكرم)

إنَّ الذلة والمهانة على رؤوس الكافرين والظـالمين ، ولو زهـرت حضارتهم ، وانتفخت شعاراتهم وكـثرت أمـوالهم ، أبى الله إلا أن يذل ويهين من عصاه .

في صحيح مسلم قال صـلى الله عليه وسـلم (إن الله يرفع بهذا القرآن أقواماً ، ويضع به آخرين) فكل معرض عن هـدى ربه تعـالى مقبل على سـواه ، محكـوم عليه بالذلة

---

[1] **(?)** الحج : 18

والمهانــة. قــال عمر رضي الله : (نحن قــوم أعز الله بالإســلام ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله) .

فمن أين يكــون الإعــزاز بعد إذلال الله لهم ؟! ومن أين يكــون الإكــرام بعد الإهانة والتســفيه ؟! **(ومن يُهن الله فماله من مكرم) .**

قــال الحسن البصــري رحمه الله : **(إنهم وإن هملجت بهم البراذين، أي أسرعت، وطقطقت بهم البغال ، ووطئت أعقـابهم الرجـال ، إن ذل المعاصي لا يفـارق رقـابهم يأبى الله إلا أن يذل من عصاه**) .

قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم كما في المسـند بسـند صـــحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما **((بُعثتُ بين يـــدي الساعة بالسيف ، حتى يُعبد الله تعالى وحده لا شــريك له ، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجُعل الــــــذلُ والصغار على من خالف أمري ، ومَنْ تشـبه بقـومٍ فهو منهم)) .**

اللهم أعزَّنا بطاعتك ، ولا تذلنا بمعصيتك

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

66- قال تعالـى : **((أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ)) (1)**

أيها الإخوة : لا يزال من تبعات المال الوافر ، والأرزاق الغزيـرة ، الافتتانُ بالمظاهر والمفاخر ، عبثاً ولعباً وطغيانا . وهـذا كـان من آفات (عاد) قـوم هـود عليه السـلام ، فلقد وهبهم الله قـوة في الخلق والبطش الشـديد ، ووسع عليهم في الـرزق والمعـاش ، حتى جاوزت الأموالُ حدَّ الكثرة . وضيعوا حقَ الله في ذلك كلـه، إذ كفـروا به وكـذبوا رسـولهم ، وجعلـوا هـذه الأمـوال مسـلكاً للتفاخر والتجبر والتعالي ، فوعظهم هود عليه السـلام ، وحـذرهم بأس الله ونقمته ، فكان من موعظته وإشـفاقه عليهم هـذه الآية الكريمة **(أتبنـــون بكل ريع آية تعبثـــون)** أي يبنـــون في المكـــان المرتفع المشـــهور بنـــاء محكمـــاً هـــائلاً ، ليس للحاجة والمصلحة ، وإنما يفعلونه عبثاً ، وإظهاراً للقـوة والصـلابة . وفي هذا تضييع للزمان , وإتعاب للأبدان , وتبذير للمال .

وقـال لهم أيضـاً **(وتتخـذون مصـانع لعلكم تخلـدون)** قيل المصانع هي البروج المشيدة ، والبنيان المخلد ، وقيل مآخذ الماء ، تتخـــذون ذلك طمعـــاً في الخلـــود ودوام الإقامة ، وليس ذلك بحاصل لكم ، بل ستزولون كما زال من كان قبلكم.

ثم قال لهم **(وإذا بطشتم بطشتم جبـارين ، فـاتقوا الله وأطيعـون ، واتقـوا الـذي أمـدكم بما تعلمـون ، أمـدكم بأنعام وبـنين وجنت وعيـون ، إني أخـاف عليكم عـذاب يوم عظيم) .**

ومع هذا النصح التام ، والتصريح المؤثر ، كذبوا هوداً عليه السلام ، وســخروا منه ، وادعــوا أن كفــرهم هو دين الأولين وخُلُقهم ، وأنهم تابعون لهم ، سـالكون طـريقهم ، وأنكـروا أن يصـلهم شئ من العذاب والنكال ، كحال كل كافر مكذب ، فســلط الله عليهم ريحاً صرصراً عاتية أي شديدة الهبوب ، ذات برد شديد ، فكـانت سبب إهلاكهم وتدميرهم .

وكان من المناسب إهلاكهم بشي من جنسهم في القوة والشــدة ، فأرسل الله عليهم هذه الريح التي كانت أعتى منهم وأشد قــوة ، فحصدتهم ، وجعلتهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، وصـاروا أبداناً بلا رؤوس ، حيث إن الريح كانت تـأتي الرجل منهم فتقتلعه وترفعه في الهــــواء ثم تنكسه على أم رأسه ، فتشـــدخ دماغه وتكسر رأسه وتلقيه كــأنهم أعجــاز نخل منقعر . نعــوذ بالله من

---

[1] **(?)** الشعراء : 128

سـوء العاقبة , **وجـاء في الحـديث ((نصـرت بالصـبا , وأهلكت عاد بالـدبور))** هو نـوع من الـريح قيل الغربية , ولم يأتهم إلا اليسير منها , ومع ذلك فعلت فعلها العقيم .

اللهم توفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

67- قال تعالى : **((وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ))** [1]

إنه ليومُ كربٍ شديد يوم قيام السـاعة ، وبعث النـاس ورجـوعهم إلى ربهم تعـالى للحسـاب والجـزاء، وحينها يفتضح المجرمـون ، وتغشـاهم الكآبة الشـديدة ، ويحـلُّ بهم الأسف واليـأس ! فلا ثمة إجرامٌ لهم ، ولا نفوذ ولا تسلط . صار أمرهم إلى الدمار والتبـاب ، جزاء كفرهم بالله وتكذيبهم برسله ، ومحاربتهم لأوليائه .

فأين آلهتهم لتدفع عنهم ؟! وأين قوتهم لتجابه عنهم ؟! بل كفروا بكل ذلك وتبرؤوا واستسلموا!!

قال تعـالى **(ولم يكن لهم من شركائهم شـفعاء وكـانوا بشـركائهم كـافرين)** آلهتهم الـتي عبـدوها من دون الله لم تشفع فيهم ، ولم تغن عنهم شيئا ، بل كفروا بهم وخانوهم أحـوج ما كانوا إليهم .

ثم قـال تعـالى **(ويـوم تقـوم السـاعة يومئذ يتفرقـون ، فأما الـذين آمنـوا وعملـوا الصـالحات فهم في روضة يحبرون ، وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخـرة فأولئِك في العذاب محضَرون) .**

وهـذا والله هو التباعد والفرقة الـتي لا اجتمـاع بعـدها ! يمضي المؤمنون منعمين إلى عليين ، ويمضي المجرمـون مكـروبين إلى أسفل سافلين ، وذلك آخر العهد بينهم والله المستعان .

اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة , والنجاة من النار

---

[1] **(?)** الروم : 12

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

-68 قال تعالى : ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ)) [1]

رسولنا صـلى الله عليه وسـلم هو أسـوة الأمة ومعلِّمها وهاديها ، وهو منـارة الاتبـاع والاقتـداء ، ولا يـدخل أحد الجنة إلا من طريقه وبابه .

من رامَ جنةً من غير نهلِهِ فهو أضل من حمار أهلِهِ

فمع شرط الإيمـان والإخلاص ، لا بد من شـرط المتابعة لرسـولنا صلى الله عليه وسلم ، فهو أسوة لنا في كل الأحوال والشـؤون. نهتدي بهديه ، ونمتثل أقواله ، ونترسم أفعاله .

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخرَ وذكر الله كثيرا)

أسـوة لنا في الإيمـان والتوكل ، وأسـوة في الانقيـاد والطاعة ، وأسـوة في الصـبر والجهـاد . نتعلم منه حقـائق الإيمـان وصـدق العبودية ومكارم الأخلاق ، وحسن السيرة والمعاشرة ، فلقد كان صلى الله عليه وسلم أكمل الخلق دينا ، وأعلمهم وأخشـاهم لله ، وكان أكثرهم ذكراً وعبادة وأليَنهم خلقاً ومعامله .

وكـان في الجهـاد والمعـارك رمز التضـحية والصـبر والمرابطة . يصـمُد للمواجهة , ويثبت حين فـرار النـاس وتقهقـرهم . **وفي هذه الآية الكريمة إشادة بمقامه** صلى الله عليه وسـلم في الأحـزاب وماكـان منه من الصـبر والجهـاد والمرابطة والثقة بموعود الله ونصره ، ليعتبر به المتخلفون عن الغزاة والمعوقون لغـيرهم من الشـهود والمشـاركة ، علهم يتوبـوا وينتفعـوا بـذلك ، وتحيا فيهم الشجاعة ، ويهتز فيهم الصمود والإقدام **(لمن كـان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) .**

قال على رضي الله عنه : (كنا إذا أحمـرّ البـأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم) .

---

[1] (?) الأحزاب : 21

69- قال تعالى : **((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ))** [1]

إتماماً لما سلف من الموعظة حول (الأسوة الحسنة) هل تأمل أحـدنا حاله تجـاه سـنة نبينا صـلى الله عليه وسـلم ، فهي منهج الاتبـاع لمن بغى الخـير والسـعادة ، وبها ينكشف المحب من المعـرض ، فهي معيـار الحكم ، وأسـاس التمـيز ، فثمة كثـيرون يدعون محبة النبي صلى الله عليه وسلم وهم بُعـداء عن سـنته ، لا يقتفـون هديه ، ولا يحرصـون عليه ، بل يتجاسر بعضـهم على مخالفته ، والعياذ بالله .

(قل إن كنتم تحبون الله فـاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) فمحبته ليس دعوى تقـال ، ولا شـعاراً يُرفع ، ولا عيداً يجتمع فيه ، وإنما هي أعمال وسلوك ، فمحبته تكـون باتبـاع سـنته ، وقفو طريقته ، والمدافعة عن منهاجه ، عليه الصـلاة والسـلام . **(وما آتـاكم الرسـول فخـذوه وما نهيتكم عنه فانتهوا) .**

ويظن أصحاب الأعيـاد والموالد ، أنهم يعظمـون رسـول الله بعيد المولد وما شابهه ، إذ يجتمعون على ذكره وينشدون المدائح فيه ، وما علموا أن ذلك ليس حقيقة الحب والاتبـاع ، فمع ما فيه من الابتداع والمخالفة ليس إحياؤهم مسلكاً للطاعة والاقتداء، بل هو غلو في رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم ويجر إلى مخالفـات ومحرمات مشهورة .

وهذا العيد المحدث لم يصنعه السـلف الصـالح رضي الله عنهم ، مع حبهم الشديد لرسول الله ، ولو كان خـيراً سـبقونا إليه ، لكن أيقنوا أن محبته باتباعه والاقتداء لسنته ، فكانوا أشد الناس اتباعا ، وأحرصهم على هديه وسنته .

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)

---

[1] (?) الاحزاب : 21

70- قال تعالى : **((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً))** [1]

طـوقت المدينة النبوية بجمـوع الأحـزاب الحاقـدة ، بإيعـاز من اليهود المجرمين، فباتَ الناس في رعب شديد وفي قلق واغتمام . لقد اعتقد هؤلاء الكفـار أنهم بحـدهم وحديـدهم سيقضـون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبيدون خضـراء المسـلمين ، ولكن هيهـات ! إن الله كـافٍ عبـده وناصـرٌ أوليـاءه ومـاحقٌ كيد المشركين . فحينما وصلوا المدينة فوجئوا (بالخندق) الذي وضع لصد زحوفهم ، فمكثوا مدة لا يدرون ما يصنعون ولم يحصل قتال ، وإنما تراشـــقوا بالنبل ، وأرسل الله عليهم ريحـــاً شـــتت بها شملهم ، ومزق تحزبهم ، ووقعت فيهم الفرقة ، فرجعـوا خـائبين منكســرين ، ردهم تعــالى بغيظهم خاســرين ، وردهم بحقــدهم مفضوحين **(لم ينالوا خيرا)** لم يحصل لهم ظفر ، ولم يصيبوا مـــالاً ولا غنيمة ، وإنما عـــادوا بالخيبة والخســـار **(وكفى الله المؤمنين القتال)** لم يحتج المسلمون إلى حربهم ومنــازلتهم ، بل كفاهم الله تعالى شرهم وعدوانهم ، **ولهـذا كـان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقول :**

((لا اله الا الله وحـده ، وصـدق وعـده ، ونصر عبـده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحـده ، فلا شئ بعـده)) . أخرجاه في الصحيحين .

فكانت نهاية غزوة الأحزاب خيبة المشركين ، وسلامة المؤمــنين ، وآلت نهاية من عاونهم من اليهـود إلى القتل والسـبي والأسر ، جزاء نقص العهد والعذر والخيانة . **(وكان الله قويـاً عزيـزا)** بحوله وقوته ردهم خـائبين وسـلّم المسـلمين ، وأعــزهم وأنعمَ عليهم ، فله الحمد والمنة ، تبارك وتعالى .

---

[1] **(?)** الأحزاب : 25

71- قال تعالى : **((وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْراً))** [1]

إن هـذا الـدين محفـوظ بحراسة الله تعـالى له ، ومكلـوء برعايته وحفظه . فمن يجـــرؤ على حربه ؟! ومن يعمد للنيل منه ؟! ومن ذا الذي يتمنى تدميره والقضاء عليه ؟!

إنَّ كل من تسـوِّل له نفسُـه محاربة الإسـلام ، فمصـيره آيل إلى الهزيمة والفشل . لأن الله له بالمرصـاد ، يمكر بمكـره ، ويفـني قوته ، ويـرد كيـده في نحـره ، فلما ذا يتعب نفسه ؟! **(إن ربك لبالمرصاد)** .

إن هذا الدين هو الدين الخاتم ، وهو المهيمن على سائر الأديان ، وقد قضى الله له الظهور والتمكين والفلاح ، فكل مناوئ له معتد آثم سيبوء بلعنة الله وغضبه **(ألا لعنة الله على الظالمين)** .

فهاهي جمـوع الأحـزاب لم تُغن عنها قوتها ، ولم تنفعها أحقادها ، ولم يجمعها عـدوانها بل بـاءت بالفشل والإذلال ، ورجعت بالعـار والهزيمة ، جزاء عـدوانهم وغطرسـتهم **(كتب الله لأغلبن أنا ورســلي)** غلبهم الله مع تحــزبهم الكبــير ، وغلبهم مع غيظهم الدفين ، وغلبهم مع عظرستهم الشديدة **(لم ينالوا خيرا)** .

وفي هـــذه الموعظة من الفوائد : أن النصر بيد الله ، وأنه هو القـــــــــوي العزيز ، وأن العاقبة للمتقين . وفيها ابتلاء الله للمؤمــنين ليعلمهم ويمحصــهم ، وفيها رعايته ســبحانه لأوليائه ، وفيها هــوان الكــافرين عليه . وفيها تثبيته لجنــوده المؤمــنين ، وتحـول الخطـوب والملمـات إلى مصـالح ومكاسب للمسـلمين ، **فقـال صـلى الله عليه وسـلم كما في صـحيح البخـاري عنــدما رجع الأحــزاب وتفرقــوا ((الآن نغــروهم ولا يغروننا نحن نســير إليهم))** وفيها فضــيلة الصــبر والتوكل على الله ، فهما بابان عظيمان للنصر وتفريج الكروب .

نسأله سبحانه أن ينصر دينه ، وأن يعز أولياءه ، ويقمعَ أعداءه ، إنه هو القوي العزيز .

---

[1] (?) الأحزاب : 25

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

72- قال تعالـى : **((وَمَنْ نعمِّرهُ ننكِّسْهُ في الخلقِ أفلا يعقلون))** [1]

من عجائب خلق الله في ابن آدم تنقله من طَـورٍ إلى آخر ، ومن مرحلة إلى أخرى، فحين يبتدئ حياته يبدأ وليداً ضعيفا ، ثم ينتقل إلى مرحلة الفتوة والشـباب ، فيظل فيها مـدة إلى أن يصـير إلى مرحلة الشيخوخة والهرم ، وهي الضعف بعد القــوة ، والعجز بعد النشاط . فليتذكر العبد نشاطه حال الشـباب وشـدته ، كيف آلت في الهرم إلى ضعف وسقم وتعب، والله المستعان.

فهي كما قـال تعـالى **(ومن نعمـره ننكسه في الخلق)** أي من نطيل عمره ونزيد في حياته ، نـرده إلى الضـعف والعجز كما قـال تعـالى **(الله الـذي خلقكم من ضـعف ، ثم جعل من بعد ضعف قـوة ، ثم جعل من بعد قـوة ضـعفا وشـيبة ، يخلق ما يشاء ، وهو العليم القدير)** .

فيتغير هذا الـذي نكِّس في الخلق إلى حالة عجيبة ، إذ يصـير من تذكر إلى نسيان ، ومن صـحة إلى سـقم ، ومن قـوة إلى ضـعف وخَـرف كما قـال تعـالى **(ومنكم من يـرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا)** .

وفي هــذه الآية العجيبة موعظة للعبد أنه ليس بــدائم في هــذه الحياة ، وأنه منتقل إلى دار الجزاء والخلـود ، فليعمل لها وليتعظ بمن سبقه ، وليبادر أيـام القـوة والنشـاط ، فإنها أخصب للعمل ، وأبرك للطاعة ، وأشد في المحافظة **(أفلا يعقلون)** من كــان له عقل متميز سـيعلم أن وراءه دار عظيمة هي الجـديرة بالعمل والاستعداد . وسيتفكر في مراحله هذه لأنها واعظ له من حياته ، منبهة له على غفلته ونسيانه .

(وفي أنفسكم أفلا تعقلون)

فخليق بما وعى هــذه الحالة أن يُعد لنفسه تقواها ، وأن يأخذ بها للخـيرات . **قـال صـلى الله عليه وسـلم ((اغتنم خمسـاً قبل خمس : حياتَك قبل موتك ، وصحتَك قبل سقمك ، وفراغَك قبل شُـغلك ، وشــبابَك قبل هرمك ، وغنــاك قبل فقـرك)) . رواه الحـاكم في المسـتدرك ، وأحمد في الزهد ، وهو حديث صحيح .**

[1] (?) يس : 68

وقد قالت حفصة بنت سـيرين رحمها الله **(يا معشر الشـباب اعملوا فإني رأيت العمل في الشباب**) .

اللهم إنا نعوذ بك من الجبن ونعوذ بك أن نرد إلى أرذل العمر ونعوذ بك من فتنة الدنيا ونعوذ بك من عذاب القبر.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

73- قال تعالـى : **((وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً))** [1]

إن الرجل الصالح لتشرق بركة صلاحه على أهله وذريته وأمواله ، فيأمنون الأخطار ويسلمون من الأعداء والأشرار . وهذا من بركة الإيمـــان والـــدين ، فـــإن الله يحفظ لأوليائه حقـــوقهم وأهليهم وأموالهم ، ويجعلهم في رياض زكية ، ومنازل طيبة .

وهـــذه الموعظة تحكي قصة لقـــاء موسى عليه الســـلام بالعبد الصالح والنبي العالم الخضِر عليه السـلام . فكـان مما جـرى لهم أنهما أتيا أهل قرية لئاما بخلاء ، فـــــأبوا أن يضـــــيفوهما ثم رأى الخضر جـــداراً مـــائلاً ، فأقامه وأحسن بنيانه ، فاســـتنكر عليه موسى ذلك لسوء أخلاق أهل القرية ، وأنهم لا يسـتحقون ذلك إلا بالأجر **(لو شئت لاتخذت عليه أجرا)** .

فحينها فارق الخضر لاتفاقهم على ذلك ، ونبأ الخضر موسى عليه السلام بما خفي ولم يستطع عليه صبرا ، فكان من شأن الجــدار المسوى ، أنه لم يصلحه إكرامـاً لهـذه القرية ، وإنما إكراما لوالد هذين اليتيمين ، **(وكان أبوهما صالحا)** .

قـــال تعـــالى : **(وأما الجــدار فكـــان لغلامين يــتيمين في المدينة ، وكان تحته كنزلهما، وكان أبوهما صـــالحا)** أي إنما أصلحت الجدار لأنه كان ليتيمين في المدينة ، وتحته كــنزلهم . قيل إنه مـــال مـــدفون ، وقيل كـــنز علم وموعظة . وإنما حصل ذلك ببركة صـلاح والـدهم وإيمانه وحسن دينه . وقد روي أن هـذا الرجل الصـــالح كـــان الأب الســـابع لهما وفي ذلك فضل الـــدين والصـــلاح وامتـــداد أثرهما وبركتهما ، وفيه حفظ الله لعبـــاده الصالحين ، وعدله سبحانه بعودة الحقوق إلى أهلها.

---

[1] **(?)** الكهف : 82

قال ابن عباس رضي الله عنهما : حفظا بصلاح أبيهما ، ولم يذكر صـــلاحا . قـــال تعـــالى **(فـــأراد ربك أن يبلغا أشـــدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) .**

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

74- قال تعالـى : **((وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ))** [1]

انطلق أصـحاب الجنة البهية الممتلئة بـألوان الثمـار والفواكه إلى جنتهم وبستانهم ، جـادين مسـرعين مغتـاظين من المسـاكين أن ينالوا منها شيئا ، قد أزمعوا منع الفقراء وحرمان السائلين . قـال تعـالى **(إذ أقسـموا ليصـرمنها مصـبحين)** أي حلفـوا فيما بينهم ليجـــذنّ ثمرها ليلا ، لئلا يعلمَ بهم فقـــير ولا ســـائل **(ولا يستثنون)** أي فيما حلفوا فيه ، فعاملهم الله بنقيض قصـــدهم ، وأرسل على جنتهم آفة دمرتها وجعلتها كالصـــــــــريم أي كالليل الأسود .

(فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون ، فأصـبحت كالصريم ، فتنادوا مصبحين ، أن اغدوا على حـرثكم إن كنتم صـــارمين ، فـــانطلقوا وهم يتخـــافتون ، أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ، وغدوا على جرد قادرين ، فلما رآوها قالوا إنا لضالون) .

لما رأوا بسـتانهم الجميل قد تحـول إلى هشـيم خَـرب يـابس ، أنكـروا ذلك وقـالوا لعلنا أخطأنا الطريق ، ليست هـذه جنتنـا. ثم رجعوا لأنفسهم وتيقنوا إنها هي **(بل نحن محرومون)** إنها هي الجنة ، ويلكم لاحظ لنا فيها ولا نصـــيب . ثم أمـــرهم خـــيرُهم وأعدلهُم بتسبيح الله ، وشكره على النعمة فقالوا **(سبحان ربنا إنا كنا ظالمين)** .

---

[1] **(?)** القلم : 25

جــاءوا بالطاعة حيث لا تنفع ، ثم تلاومــوا فيما بينهم واعــترفوا بالخطيئة **(قــالوا ياويلنا إنا كنا طــاغين)** أي اعتــدينا وبغينا **(عسى ربنا أن يببـدلنا خـيراً منها إنا إلى ربنا راغبـون)** أي احتسـبوا ثوابها في الـدار الآخـرة ، وقد كـانت هـذه الجنة من قبل لأبيهم ، وكــان فيها ذا ســيرةٍ حســنة ، يأكل فيها ويــدخر ، ويتصــدق بالفاضل . وهم في اليمن وقيل الحبشة . وبعد وفــاة الأب ، طمع الأبناء في جمع كل الحصاد والثمر ، فكان عذابهم ما كان .

(كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون).

قــال صــلى الله عليه وســلم كما في المتفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه ((ما من مسلم يغرس غرساً أو يـزرع زرعا ، فيأكل منه طـير أو إنسـان ، أو بهيمة ، إلا كان له به صدقة)) .

وقد بوب له الإمام البخاري بقوله : باب فضل الزرع والغـرس إذا أُكل منه .

(اللهم إنا نعوذ بك من الهم والحزن ، والعجز والكسل ، والجبن والبخل) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

75- قال تعالـى : **((قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا))** [1]

إنَّ أهلَ الإيمان ليؤمنون بالقضاء والقدر ، وأن الله قد قدَّر أحوالَ الخلائق وأرزاقهم ومصـائبهم ، وما من شئ في الوجـود إلا بقــدر وحكمة **(إنا كل شئ خلقناه بقدر)** فلمـاذا الخـوف والوجل ؟! وقد **(رفعت الأقلام وجفت الصحف) !**

لمــاذا نخشى الأعـداء ، ولن يصـيبنا إلا ما كتبَ اللــهُ لنا ؟! لما ذا نتأخر عن الجهاد ولن يَحدُث إلا ما كتب الله لنا ؟!

---

[1] **(?)** التوبة : 51

إن ما يصـــيبنا مقـــدرٌ مكتـــوب ، فلا ثمة حـــزن ولا أسى . وإنما الرضى والصبر فالحمد الله على كل حال .

لقد كانت هذه الموعظة البليغة جوابَ رسول الله صلى الله عليه وسـلم للمنـافقين الـذين يسـتاءون بنصـره ويفرحـون بمصـابه **(ويتولـوا وهم فرحـون)**. **(قل لن يصـيبنا إلا ما كتب الله لنا)** أي نحن تحت مشيئة الله وقدره ، يصـرفنا كيف يشـاء **(هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون)** .

ومع كل ذلك فنحن متوكلـون عليه ، مفوضـون إليه أمورنا ، فهو حسبنا ونعم الوكيل . قال تعالى **(ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** أي كافيه من كل شئ .

اللهم إنا نعوذ بك من جهد البلاء ، ودرَك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

- قال تعالـى: **((وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ))** [1]

هكذا يعلن إبـراهيمُ الخليل عليه السـلام براءتَه من هـذه الأصـنام المعبـــودة من دون الله ، ويضج من ســـفاهة قومه ، وســـخافة عقولهم . وتسوقه غيرَته العظيمة على التوحيد ، أن يقسم قسماً لا يحنث فيه ، أن يكيد لهـــذه الأصـــنام ، وأن يطهر المجتمع من مضارها ، وينقّي العقول من تفاهاتها .

وهو بهذا يجابه الخطر ، ويتحدى المجرمين بقوة الإيمـان ، ونفـوذ الحجة ، ومضـاء العزيمة . ولما حـانت سـاعة الكيد ، لإزالة هـذه الأوثـان الجاثمة على هـؤلاء الضـالين . خـرج قومه إلى عيد من أعيـادهم ، وقـال له أبـوه المشـرك : يا بـني لو خـرجت معنا إلى عيــدنا لأعجبك ديننا . فخــرج معهم ، فلما كــان ببعض الطريق ، ألقى نفسه إلى لأرض وقــال **(إني سقيم)** ، فجعلــوا يمــرون عليه وهو صــريع فيقولــون له . فيقــول إني ســقيم ، فلما جــاز عــامتهم وبقي ضـعفاؤهم ، قــال **(تالله لأكيــدن أصــنامكم)** فسمعه أولئك .

ومضى إليها إبراهيم عليه السـلام فقضى منها حاجته ، إذ كسـرها تكســيرا ، ودمرها تــدميرا ، وصـدَع بالوحدانية لله تعـالى ، قــال عزوجل **(فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم يرجعــون)** أي جعلها حطامـــاً ، إلا كبـــيرَهم وســـيدَهم تركه وقيل إنه جعل القــدّوم في يــده ، لعلهم يعتقــدون أنه هو الــذي كسر إخوته من الأصنام غَيرةً لنفسه أن تُعبدَ معه .

ولما رجع قومه ، وشــاهدوا هــذه الفجيعة في آلهتهم المعظمة ، وما حــاط بها من الإهانة والإذلال ، الــدال على عــدم كونها آلهة **(قالوا من فعل هـذا بآلهتنا إنه لمن الظـالمين)** فقـال بعضهم **(سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم)** .

وإنها لشـجاعة عظيمة أن يقــوم هـذا الفـتى بمثل هـذه البطولة والفدائية ، دون خوف أو حسبان لأحد ، معتمداً على اللــه، واثقــاً بحفظه وتأييــده **(ولينصــرن الله من ينصــره)**. فتـآمر قومه وتشــاوروا أن يحضــروه للمحاكمة أمــام النــاس ، وهـذا ما أراد إبـــراهيم عليه الســلام , ليكشف للنـــاس جهلهم وغبــاوتهم في تعلقهم بهـذه الأصــنام ، وهي حجــارة لا تضر ولا تنفع ، وســوف نكمل الموعظة في المجلس القادم .

---

[1] **(?)** الأنبياء : 57

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

77- قال تعالى : **((وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ))** [1]

أيها الإخوة : لما أقام الخليلُ عليه السلام عدالةَ الله تعالى في هذه الآلهة المزعومة، وحقق التوحيد الصحيح بتحطيمه لها وإراحة العقول والنفوس من أوزارها ، تواطأ قومه على إحضاره أمام أعين الناس ، للمحاكمة والتحقيق ، قال تعالى:

(قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون) ثم بدؤوا في المحاكمة بقولهم **(أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم)**. فأجابهم **(بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون)** وأراد بهذا الجواب أن يبادرهم بأن هذه الأصنام لا تنطق ، وأن الكلام لا يصدر من جماد .

فرجعوا على أنفسهم بالملامة في عدم حراستهم للآلهة ، وتركهم لها مهملةً بلا حافظ **(ثم نكسوا على رؤوسهم)** أي أصابتهم حيرة سوء ، وقالوا **(لقد علمت ما هؤلاء ينطقون)** .

أي كيف تقول : سلوهم ، وأنت تعلم أنها لا تنطق ولا تتكلم !! فحينئذ اشتد نكير إبراهيم عليه السلام عليهم بقوله **(أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم)** . أي إذا كانت هذه الأصنام لا تنطق ، ولا تضر ولا تنفع فلما ذا تعبدونها ؟! إن هذا لشئ عجيب !!

ثم تضجَّر منهم بقوله وأنكر عليهم بشدة **(أفٍ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون)** فأقام عليهم الحجة ، وغلبهم في هذه المناظرة ، ولكنهم كفروا وعاندوا ، وانتقلوا لأسلوب آخر ، مناقض لحقوق المناظرة وآدابها .

(قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين) فجمعوا له ناراً عظيمة ، وحملوه من على المنجنيق وألقوه فيها ، فرد الله كيدهم في نحورهم ، وأبطل شرهم **(قلنا يا**

---

[1] **(?)** الأنبياء :57

نــاركوني بــرداً وســلاماً على إبــراهيم وأرادوا به كيــداً فجعلنا هم الأخسرين) أي المغلوبين الأسفلين .
وقال إبراهيم عليه السـلام وهو في النـار **(حسـبي الله ونعم الوكيل)** فكــان فيها نجاته وكفايته **. وفي صـحيح البخـاري عن ابن عبــاس رضي الله عنهما قــال : (حســبي الله ونعم الوكيل ، قالها إبــــراهيم حين ألقيَ في النــــار ، وقالها محمد عليها الســلام حين قــالوا إن النــاس قد جمعوا لكم فاخشـوهم فـزادهم إيمانا ، وقـالوا حسـبنا الله ونعم الوكيل) .**
ومن فوائد هــذه القصة : شــجاعة إبــراهيم عليه الســلام ، وحرصه على إعلان التوحيد ، وفيها مشــروعية منــاظرة الكفــار وإقامة الحجة عليهم لمن يملك ذلك ، وأيضـــــــاً فيها حفظ الله لعباده المؤمنين وتسـليمهم من الأخطـار وفي المعـاريض مخـرج ومندوحة عن الكذب ، وفيها وجوب تكسير الأصنام ، وأن هذا من صميم دعوة المرسلين إلى أممهم . والله تعالى أعلم .

78- قال تعالـى : ((**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ**)) [1]

لا تزال سُنةُ الله تعالى جاريةً في الأمم الكافرة المكذبة ، الحائدة عن منهج الله ، والراغبة في المعصية والبعد عنه . يجري فيهم أمره بالتدمير و العقوبة ، بعد الإنذار والإمهال قال تعالى (فلا تعجل عليهم إنما نعدلهم عدا) **.**

وهذه السنة الإلهية تجري وفق نظام حكيم متقن ، لا يتخلفُ عنها كاذب كفار ولا يفوتها متكبِّرٌ جبار . أجراها الله تعالى على فرعون وقومه ، عندما كذبوا وكفروا وبغَوا في الأرض بغير الحق .

وأجراها الله تعالى قبل على قوم نوح عليه السلام (فأخذهم الطوفان وهم ظالمون) **وقضى الله سنة التدمير والإبادة على قوم هود وصالح وشعيب ولوط ، عندما حصل الموجب وحانت الساعة** (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) **.**

وفي هذه الموعظة **تهديد لقريش قوم النبي صلى الله عليه وسلم أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبلهم وقد كانوا أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض ، وما أغنت غنهم آلهتهم ولا قواهم ، ولا دفعت أموالهم وآثارهم . قال تعالى** (وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مردله) **.**

وهذه السنة الإلهية دائمة منتظمة مع الكافرين والمجرمين (فلن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلا) **لا يمكن أن تغيب أو تخطئ ، وكذلك لا يستطيع أحدٌ دفعها أو كشفها ، فالله ربنا لا معقب لحكمه ، ولا راد لأمره ، وهو على كل شئ قدير .**

---

[1] **(?)** فاطر : 43

وفي عصرنا الحالي حقّت هذه السنة على طوائف وشعوب ظالمة كإخوانهم الذين سبقوهم بالإجرام فمحقت شعوباً وأفراداً وعتاة ، ومن أظهرها سقوط (الشيوعية) التي أذاقت الناس المرارة والحرمان ، وحكَمتهم بالحديد والنار ، أصابتها سنة الله لمخالفتها المنهج الرباني ومنابذتها الفطرة الإلهية ، والجزاء من جنس العمل , ولا يظلم ربك أحدا . وستقع هذه السنة على إخوانهم من اليهود والنصاري والوثنيين والظالمين ، كتاباً مرصوداً ووقتاً مضبوطا ، والله عزيز ذوانتقام .

79- قال تعالـى:(يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ)[1]

رفع الله تعالى أهل الإيمان ببركة إيمانهم, وحُسْنِ دينهم , وطيب أخلاقهم وتواضعهم ، وجعلهم فوق سائر العالمين ، وفي المؤمنين العلماء بالله وبدينه ، رفعهم الله للمنازل السامية وبوأهم الدرجات العالية بما حملوه من معرفة وخشيه وفقه ودعوة ، قال صلى الله عليه وسلم (إن العلماء ورثة الأنبياء **) رواه أبو داود والترمذي بسند حسن .**

وإنما استحقوا أن يكونوا ورثة الأنبياء وأتباعهم لشرف حملهم العلم ، وقيامهم بالدعوة ونشرهم للسنة ، وقمعهم للبدع وصبرهم على لأواء الطريق .

فليس ثمة أحدٌ يضاهي شرفَهم أو يضارع مجدَهم وسموهم . قال عليه الصلاة والسلام : (الدينا ملعونة ، ملعونة ما فيها إلا ذكرَ الله وما والاه وعالماً ومتعلما).

ولا تكمُل رفعة أهل العلم إلا بقيامهم بهذا العلم من التبليغ والعمل والموعظة به ومراقبة الله تعالى فيه :

---

[1] **(?)** المجادلة : 11

قال الفضيل بن عياض رحمه الله (عالمٌ عاملٌ معلِّم يُدعى كبيراً في ملكوت السموات **).**

وقال الإمام أحمد رحمه الله : (الناس محتاجون إلى العلم أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب لأن الطعام والشراب يُحتاج إليه في اليوم مرة أو مرتين ، والعلم يُحتاج إليه بعدد الأنفاس) .

وفي مسند أحمد وصحيح مسلم أن نافع بن عبد الحارث لقي عمر بن الخطاب بعُسْفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر : مَن استخلفت على أهل الوادي ؟ قال : استخلفت عليهم ابن أبزى _ رجل من موالينا _ فقال عمر: استخلفت عليهم مولى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله ، عالم بالفرائض ، فقال عمر رضي الله عنه : أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال : ((إن اللهَ يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين **)) .**

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

80- قال تعالـى : ((فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ)) [1]

في هـــذه الحيـــاة الـــدنيا تتجلى الابتلاءات , وتكشف الرزايا , وتشتعل المعركة بين الحق والباطل ، وبين الإيمـان والكفر . ولن يسلمَ أهل الإيمان من عدوان ظـالم ، ومكـابرة مجـرم أو صـدود فاسق ، تورث الغم والحزن والنصَب ، وتجاه ذلك لابد من التهاب الإيمان في القلب ، وامتطاء الصبر في الحياة كما قال تعـالى : **(فاصبر إن وعد الله حق)** .
ليصبر أهل الإيمان والدعاة إلى الله ، على ما يلا قونه في ســبيل دعـوتهم ، ليصـبر المـؤمن فإنه على درب النجـاة ، وليصـبر فـإن نهاية الظـــالمين حتمية والعاقبة للمتقين ، وليصـــبر مهما طـــال الطريق واشـتد العنـاد وتعـاظم الخطر **(فـإن وعد الله حـق)** شرعه هو الحق ، ودينه هو الظـاهر ، وملته الغالبة ، وأوليـاؤه هم

[1] **(?)** الروم : 60

المنصـــورون ، فلمـــاذا يغشـــانا الخـــوف أو ينتابنا الحـــزن؟!!
(فاصـــبر إن وعد الله حق ولا يســـتخفنك الـــذين لا يوقنون) .
لقد كانت هذه الآية موعظة لتثبيت النـبي صـلى الله عليه وسـلم وتصبيره على الطريق ، فإنه ظاهر ، محكـوم له بالنصر والتمكين ، وهي تحذير له أن يستخف حلمَه ورأيهَ هؤلاء المشـركون الـذين لا يوقنـون بالمعـاد والبعث ، فيحصل له الانزعـاج والضـعف عن البلاغ والقيام الرسالة .
وهـــذه الموعظة لأمته وأتباعه أن يكونـــوا صـــابرين في دينهم ودعوتهم ، وألا بستجهلهم أهل الباطل الـذين لا يوقنـون ، فيقعـوا في متــابعتهم ، فــإن الله وعــده لا يتخلف في النصر والتمكين ، وغلبة المؤمنين وظهورهم ، فـالمُهِم الصـبرُ واليقين بموعـود الله عزوجل .
وهي أيضـاً سـلوة للـدعاة إلى الله في احتمـال كيد المجـرمين ، والصبر على سموم المفسدين ، وعـدم اسـتبطاء النصر والفـرج، فإن الله مع عباده ما اتقوه وصبروا ، وتوكلوا عليه .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

81- قال تعالـى : **((وَصَرَّفْنا فيهِ من الوَعيْدِ))** [1]

هذا القرآن العظيم المجيد ، أنزله الله تعالى بلسان عربي مبين ، وصـرَّف فيه أنـواع الوعيد لكي ينفذ إلى نفـوس هـولاء الكـافرين والفاسقين ، فيكفوا عن كفرهم فسقهم ويعودوا إلى عبـادة ربهم وطاعته **(وكـذلك أنزلنـاه قرآنا عربيـا، وصـرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا)** .
والقـارئ المتـدبر للقـرآن يشـاهد ضـروباً من وعيد الله تعـالى وتخويفه للنـاس ، ومن ذلك تحـذيره من صـرف العبـادة لغـيره سبحانه وتعالى وإيعاده بالنار ، وهن مثـوى المشـركين ، وتهديـده

[1] **(?)** طه : 113

للمتجرئ على معصيته ، والمتجاسر على العظائم والكبائر بالنار ، وترتيب الخسار والهلاك على فاعليها ، والتوعد بالويل والعقاب الشديد والعذاب الأليم لأرباب المعاصي . قال تعالى **(فويل يومئذ للمكذبين)** وقال **(فويل للمصلين ، الذين هم عن صلاتهم ساهون)** .
ومن ذلك تحذيره تعالى من مخالفة شرعه ، والنكوص عن سبيل رسله ، وحكايته للأمم المكذبة وما كان بها من الدمار والهلاك ، والصور الفظيعة في تدميرها والخلاص عليها كقوله **(فجعلنا عاليها سافلها)** وكقوله **(دمرناهم وقومهم أجمعين)** .
ومن الوعيد الوصف المفصل الدقيق عن المجرمين في النار ، وحال عيشهم وطعامهم وشرابهم فيها كقوله **(لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزي كل كفور)** .
وكقوله **(يتجرعه ولا يكاد يُسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ)** في آيات كثيرة في هذا الكتاب العزيز .
كل هذا التصريف من الوعيد للذين كفروا ومن شايعهم أو قلّدهم **(لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكرا)** . ومن أصابته الغفلة من المسلمين ينفعه هذا الوعيد ، ويزجره عن غفلته ،ويذكِّره بخوف الله ومراقبته **(لعلهم يتقون أو يحدث لعلهم ذكرا)** لعلهم يتوبون إلى الله فيأتون طاعاته ويجتنبون معاصيه ، ويكون هذا القرآن تذكرةً لهم بسنن الله في المكذبين الضالين ، وسائقاً للجد في الطاعة والقربات ، وفي ذلك ذكرهم وشرفهم .
اللهم اجعلنا لكتابك من التالين المتعظين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

82- قال تعالى : **((وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ))** [1]

أيها الإخوة : كان كل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض داعياً إلى الله ومذكراً بعبادته. فالدعوة إلى الله وظيفة الرسل الكبرى ، ومهمتهم العظمى وبها يشرفون ويعظمون . ونبينا صلى الله عليه وسلم كان أمثلَ هؤلاء الدعاة وأزكاهم ، جعل الله تعالى

---

[1] (?) الأحزاب : 46

الــدعوة مطيته في كل الأحــوال وجعل مِن وصــفه في القــرآن قيامه بالدعوة ، قال تعالى :
(يا أيها النــبي إنا أرســلناك شـاهداً ومبشــراً ونــذيرا ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا) .
فكان النبي صلى الله عليه وسـلم داعيـاً إلى عبـادة الله وحـده ، مظهراً للوحدانية ، ومنابذاً لكل صور الوثنية . وهذه قمة الــدعوة أن يــدعو الداعية إلى توحيد الله ، إلى شــهادة أن لا إله إلا الله ، حاضاً عليها ، ومعظماً حقها ، وآمراً بأسبابها من فعل الخــيرات ، وناهياً عما يضادها من المعاصي والمخالفات .
قــال تعـالى **(ولقد بعثنا في كل أمة رســولاً أن اعبــدوا الله واجتنبوا الطاغوت)** .
وخليقٌ بأتباعه صلى الله عليه وسلم أن يحملوا ميراثه من بعده ، وينشــروا دعوته ويســلكوا منهاجه ويحرصـوا على هداية النـاس ، ويسعَوا في تطهير المجتمعـات من كل صـور الشـرك والإلحـاد ، بالدعوة إلى التوحيد وإفراد الله بالعبـادة **(وأن اعبدوني هـذا صـراط مسـتقيم)** فهـذا غاية الشـرف والفضل لهم إن كـانوا يعقلون .
قال صلى الله عليه وسلم (بلغـوا عـني ولو آية) رواه البخاري في صحيحه .
وروى الترمذي في سننه وهو حديث صحيح عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملةَ في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلمي الناس الخير)) .**
جعلنا الله وإياكم منهم
.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

83- قال تعالى : ((ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَراًّ ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً)) [1]

أنزل الله تعالى الغيث فزَهت الأرض ونمَت ، وأخرجت حباً نباتاً خضراً مكتملا ، ثم يصفر ويطيب ، ثم تحين عليه ساعة الفناء ، فييبس ويتلاشى ويكون حطاما .
هذا مثل عظيم بيّن ، ضربه الله تعالى ليبين للناس حقارة الحياة الدنيا وهوانها ، وأنها وإنْ غـرت وفتنت بلهوها ولعبها وأموالها ومفاخرتها ، فهي كعمر هذا النبات الذي أعجب الكفارُ أي الزراع نباته ، ففرحوا ، واطمأنوا إليه ، وما هي إلا مدة معينة ، ويدبّ الهلاك والفساد إلى هذا النبات . وهكذا الحياة الدنيا تبدا أولاً شابة ثم تكتهل ثم تكون عجوزاً شوهاء , وكذلك الإنسان فإنه يمر بهذه المراحل , فإما أن يتعظ بنفسه أو يتعظ بهذا النبات الذي هو ضرب من ضروب المتاع في هذه الدنيا ،ولكن ما دام له البقاء والخلود **(كل شئ هالك إلا وجهه)** .
قـال تعـالى **(كمثل غيث أعجب الكفـار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاما)**.
إنه لمثل رائع مؤثر لمن تدبره وتأمله ، وعرف الحياة الدنيا وهوانها ، كمعرفته بهذا النبات المتلاشي ! إن كثيراً من الناس تغـرهم الـدنيا بحلاوتها وأموالها وزينتها ،فينصـرفون إليها بكل أحـوالهم ، وربما أثـرت على دينهم وأخلاقهم ، وكأنهم خُلقـوا للإقامة فيها !!
وما هذا بمسلك من يؤمن بالدار الآخرة ، وأنها التجارة الرابحة والزينة الدائمة ، وما الدنيا إلا متاع زائل ذاهب ، ولهذا قال تعالى عقبها **(وفي الآخـرة عـذاب شـديد ومغفـرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ، سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض ، أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم)** .
وفي صحيح مسلم والمسند قال صلى الله عليه وسلم يوم بدر (قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض) فقال عُمير بن الحُمام الأنصاري رضي الله عنه : يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض ؟! قال : نعم ، قال : بخٍ بخٍ ،

---

[1] الحديد : 20

فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : (ما يحملك على قولك بخٍ بخٍ) ، قــال : لا والله يا رسـول الله ، إلا رجاءة أن أكون من أهلها ، قال : (فإنك من أهلها).
فــأخرج تمــراتٍ من قَرَنه ، فجعل يأكل منهن ،ثم قــال : لئن أنا حيَيتُ حتى آكلَ تمراتي هذه إنها لحياة طويلة . قـال : فـرمى بما كان معه من التمر ، ثم قاتلهم حتى قُتل ، رضي الله عنه .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

84- قــال تعالـى : **((فَجَاءَتْـهُ إِحْـدَاهُمَا تَمْشِـي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ))** [1]

هكذا تكون المرأةُ المسلمةُ الصـالحة حييـةً مسـتترة ذاتَ عفـاف وحشمة ، تعتز بدينها وتفخر بحجابها ، ولا تتعرض للرِيَب والفتن ، وليُعلم أنه متى سقط حياء المـرأة ، فقد سـقط حجابها ، وتلـوث دينها ، ولم يبق لديها أخلاق !!
قال صلى الله عليه وسلم (الحياء من الإيمان) وقــال (الحياء لا يـأتي إلا بخـير) . وقـال أيضا (إذا لم تسـتحِ فاصنع ما شئت) وكل هذه الأخبار ثابتة صحيحة .
لما أحس موسى عليه السـلام بــالخطر من فرعــون وملئه أن يقتلــوه ، خــرج فــاراً من مصر إلى مَــدْين ، ونجــاه الله من كيد الظـالمين ، وهنـاك في مـدين ورد المـاء فوجد أمـةً من النـاس يسقون ، ووجد من دونهما امرأتين تـذودان أي تكفكـان عنهما أن تــرِدَ مع غنم أولئك الرعــاء لئلا توذيا ، وقيل لا يطيق السـقي من البئر إلا جماعة من الرجال ، فرقَّ لهما موسى ورحمهما فسألهما فقالتا **(لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير)** .
ثم قام عليه السلام فسقى لهما وأحسن فيهما غاية الإحسـان وذهبتا ، وذهب موسى عليه السلام يسـتظل تحت شـجرة فقـيراً محتاجا ، لا يعرف أحداً وليس عنده شئ .
ورجعت المرأتان إلى أبيهما الرجل الصـالح ، فاسـتغرب عودتهما مبكراً ، فأخبرتاه الخبر ، وذكرتا لأبيهما صلاح موسى عليه السلام وقوته وأمانته ، فاستدعاه الرجل الصـالح ليثيبه على ما صـنع من الإحســـان ، وانطلقت إليه إحـــداهما كما وصف الله **(تمشى على استحياء)** قال علي رضي الله عنه : مسـتترة بكُمِّ دِرعها . وقــال عمر رضي الله كما عند ابن أبي حــاتم بســند صــحيح :

[1] (?) القصص : 25

جـــاءت تمشي على اســـتحياء ، قائلة بثوبها على وجهها ليست بسَـلفَعٍ من النسـاء ولاجة خرّاجـة. والسـلفع من النسـاء الجرية السـليطة . فكلمه الرجل الصـالح أن يزوجه إحـدى ابنتيه هـاتين بشـرط أن يـرعى غنمه ثمـاني سـنين ، وإن زدتَ سـنتين فمن عندك تكرما ، فوافق موسى عليه السلام وأكمل أتم الأجلين .
فما أحـوج النسـاء المسـلمات إلى خلق الحيـاء ليـتربين على الفضـيلة ، ويلـزمن الحشـمة ، ويتحلين بالحجـاب , ويبتعـدن عن موارد الشبه والتهم ، والله الموفق .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

85- قال تعالـى : ((لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا)) [1]

أيها الإخوة : لقد كانت ليلة الإسـراء أعظم ليلة في حيـاة رسـول صلى الله عليه وسلم ، رأى فيها الآيات الباهرات ، والمخلوقـات العظيمـات الدالة على عظم قـدرة الله وبـديع صـنعه، كما قـال تعالى في موضع آخر **(لقد رأى من آيات ربه الكبرى)**.

وارتقى به الإيمان واليقين رقياً عظيماً لم يحصل لأحد من الناس ، هنأتِ الروح ، وسعِدت النفس ، واندفعت سائر الغموم والهموم ، وكان رحمة من الله ومنـةً على رسـوله صـلى الله عليه وسـلم وتثبيتاً له وتقوية لعزمه ، حيث جاء هذا الإسراء أعقـاب التكـذيب والعناد والأذى الذي يلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من قومه .

كان هذا الإسراء من بيت أم هاني من الحـرم إلى بيت المقـدس بفلسطين ، معدن الأنبياء ، وهناك جمع الله له الأنبياء وصلى بهم ، ليدل على أنه إمامهم الأعظم ، ورئيسـهم المقـدَّم عليه الصـلاة والسلام ، قال تعالى :

(سبحان الـذي أسـرى بعبـده ليلاً من المسـجد الحـرام إلى المسجد الأقصى الـذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، إنه هو السميع البصير) .

وفي هذه الحادثة العظيمة والمعجزة الكبيرة ، عُرجَ به صلى الله عليه وســلم من بيت المقــدس إلى الســموات العلى ، والتقى هناك بالأنبياء على مراتبهم ورأى الجنة والنـار ، وفـرض الله عليه الصــلوات الخمس ، مما يــدل على شــرفها وأهميتها ، فكل العبادات في الأرض إلا هذه الصلوات العظيمة .

ورأى سدرة المنتهى وورقها كآذان الفيلة ، وثمرها كـالقلال ورأى جبريل عليه السلام في صـورته ، وسـمع صَـريفَ الأقلام ، فيا لله ما أجلَّ هذه الليلة ، وما أعظمها في حياة رسـول الله صـلى الله عليه وسلم .

وقد افتتح الله تعالى سورة الإسـراء بالتسـبيح **(سبحان الـذي أسرى)** ولا يكون هذا إلا مع الأمور العظام الجليلة .

ومع هــذه الآية العظيمة البــاهرة فقد قابلها قومه من قــريش بـالكفر والتكـذيب ، وما ازدادوا إلا عتـواً ونفـورا . وتزعـزع بعض النــاس وصــدق بها المؤمنــون كــأبي بكر رضي الله تعـالى عنه وأمثاله من الخيار .

وهذا الإسراء قد وقع للنبي صـلى الله عليه وسـلم مـرة واحـدة ، وأسري به بروحه وجسده يقظةً في الليل ، وكان في وقت يسير

---

[1] (?) الإسراء : 1

، فسـبحان من بلّغه هـذا المكـان ، وأتم عليه النعمة ، وأراه من آياته الكبرى . إنه على كل شئ قدير .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

86- قـــال تعالـى : **((اللَّهُ لاَ إِلَـــهَ إِلاَّ هُـــوَ الحَيُّ القَيُّومُ))** [1]

هذه الآية الكريمة إلى آخرها هي (آية الكرسي) ، أعظم آية في كتاب الله تعالى وأجلُّ وأكرم ، لِما حوته من أنواع التوحيد ودلائله ، وعظيم الأسـماء والصـفات . **(الله لا إله إلا هو الحي القيـوم)** إخبـار بأنه المتفـرد بالإلهية لجميع الخلائق ، **(الحي القيـوم)** الحيُّ في نفسه الـذي لا يمـوت أبـداً ، القيم لغـيره ، فجميع الموجـودات مفتقـرة إليه وهو غـني عنها ، ولا قـوام لها بـدون أمـره كما قـال تعـالى **(ومن آياته أن تقـوم السـماء والأرض بأمره)** .
هـذه الآية الجليلة خليـقٌ بكل مسـلم حفظها وتعلمها وتـدبرها والعناية بها ، فهي أجلُّ كلامٍ وأحسنُه ، **ففي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أُبيَ بن كعب (أيُّ آية في كتـاب الله أعظم ؟) قـال : الله ورسـوله أعلم ، فرددها مرتين ثم قال : آية الكرسي ، فقال : ((لِيَهنِكَ العلمُ أبا المنذر)) .**
وهذه الآية الكريمة يُستحبُّ قراءتها عند النوم ، وهي عاصمة من الجن ، مانعة من البلايا والأخطـار . ففي صـحيح البخـاري معلقـاً بصيغة الجـزم في قصة أبي هريـرة رضي الله عنه ، عنـدما وكله النـبي صـلى الله عليه وسـلم بحفظ زكـاة رمضـان فأتـاه فيها شيطان ، قال في آخرها : دعـني أعلمك كلمـات ينفعك الله بها ، قلت : وما هي ؟
قال الشـيطان : **إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي (الله لا إله إلا هو الحي القيـوم) حـتى تختم الآية ، فإنك لن يـزال عليك من الله حافظ ، ولا يقربك شيطان حـتى تصـبح ، وقد قـال النـبي صـلى الله عليه وسلم عقيب ذلك (أما إنه صدقك وهو كذوب) .**

---

[1] البقرة : 255

ويستحب قراءة هـذه السـورة دُبـرَ كل صـلاة مكتوبة ، وهـذا من أبواب الخير الفاضلة لا يضيعه إلا مغبون .
روى النسائي في سننه بسند جيد عن أبي أمامة أن النـبي صـلى الله عليه وسلم قـال : **(من قـرأ دبر كل صـلاة مكتوبة آية الكرسي ، لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت) .**
قال أبو الحجاج المزي : إسناده على شـرط البخـاري ، ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه ما تركه عقب كل صـلاة إلا نسـياناً أو نحـوه ، وقد زعم أبو الفـرج ابن الجـوزي أنه موضـوع ، وهـذه مجازفة شديدة ، رحم الله الجميع .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .
وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

87- قال تعالـى : **((إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ)) (1)**

أيها الإخوة : لقد كان الترفُ والانغمـاس في الملـذات صـفةَ أهل النار وحليتهم ، الذين نعتهم الله تعالى **(بأصحاب الشـمال)** ، وكـان هـذا الـترف حـائلاً لهم عن دخـول الجنة والفـوز بنعميها الشائق ، وكان هذا الترف سبباً في كفرهم وعنادهم ، وكان سبباً لانغلاق نفوسهم من دعوات الرسل ومواعظهم !
رَكَن أصحابُ الشمال لزهرة الـدنيا ، وتمتعـوا بنعميها ، وغاصـوا في ملاذها ، وغـــرتهم الأمـــاني والشـــهوات ، فصـــاروا من طلاب الدنيا ، لا من طلاب الآخرة **(إنهم كانوا قبل ذلك مترفين)** .
واعتقـدوا أن موعظة الرسل سـتقطع عنهم نعيمهم وأفـراحهم ، إن هم آمنوا وأصغوا وكانوا منتهين . فحـاربوا الـدعوات ، وصـدّوا الناس عن السماع لهم ، وكثّروا حولهم الأتباع والضعفاء .
فكان المترفون هم طليعة المكذبين الضالين قال تعالى **(وقال الملأ من قومه الـــذين كفـــروا وكـــذبوا بلقـــاء الآخـــرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم)** .
وهم الساعون دائماً لإشاعة المعاصي والفواحش ، والمســابقون إليها قـال تعـالى **(وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها)** . وإذا كثر فسادهم واشتد تسلطهم ، كان ذلك

---
(1) الواقعة : 45

أمــارة العــذاب والعقوبة **(فحق عليها القــول فــدمرناها تدميرا)** .
وانفتاح العبد على الـدنيا وزهرتها ،مع تضـييعه للواجبـات ، وإتيانه للشهوات هو نوع من الترف المحـرم المـذموم ، المـوجب لمزيد اللهو والتنعم ، السائق للخسارة والهلكة .
في المتفق عليه من حـديث أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **((إنَّ مما أخـاف عليكم من بعدي ما يُفتَحُ عليكم من زهرة الدنيا وزينتها)) .**
ولبعد الفقـراء عن أسـباب الـترف ومفاتحه ، وقـربهم من الله كـانوا هم أكـثر أهل الجنة كما في الصـحيحين قـال عليه الصـلاة والســــلام : **((اطلعت في الجنة فــــرأيت أكـــثر أهلها الفقراء**)) .
اللهم وفقنا للخيرات وجنبنا الغفلة والحسرات .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

88- قال تعالى : **((آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا))**[1]

أيها الإخوة : قبيحٌ والله ذلك الذي علّمه الله الذكر ، وبصَّره الهدى ، وأراه النور ، ثم انحاز للدنيا ، فأعجبته زهرتها ومال إلى لذتها واغتر بمعايشها ومكاسبها ، ونسي ما علمه الله ولم يعمل به في حياته !! ما أشدَّ قبحَ هذا الرجل !! وما أعظم حسرتَه وخيبتَه !!

هذا مثل شديد ، ضربه الله تعالى (لعالم السوء) الذي حمل الآيات وقصد المتعة واللذات ولم يقم بواجب هذا العلم ! أمر الله تعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقصَّ هذا المثل على بني إسرائيل المكذبين لعلهم يتعظون وينتفعون . وهو موعظة ورسالة حيّة لكل علماء هذا الأمة وقرائها ودعاتها الذين حملوا العلم والقرآن ، أن يحذروا أن يقعوا في شَرَك هذه المعصية العظيمة من نسيان العلم والتنكر للآيات ، والسلوك للحياة الفانية كما قال تعالى **(ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفرلنا)** .

ينسلخ العالم من علمه لأجل منصب ، والقاضي لأجل مصلحة ، والداعية يتراخى بغيةَ مالٍ ومنفعة !! ويحفظ كثيرون القرآن ويقع في صدورهم ، ثم لا يُرى لهم القرآن في قولٍ ولا خلق ، بل ينسلخون منه إذا شخصت الدنيا وبانت الزينة , ولمَع المال ، والله المستعان .

قال تعالى **(واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون)** .

قال بعض السلف : إنها نزلت في عالم من بني إسرائيل اسمه (بلعام بن باعوراء) وهذا المشهور ، وقال بعضهم إنها نزلت في أمية أبي الصَّلت الذي آمن لسانه وكفر قلبه ، وعلى كلٍ فهي عامة في كل من نحا هذا المسلك ، وصنع في علمه صنيعة اللاهين المنسلخين ، عياذاً بالله من ذلك .

ولو شاء الله لرفع هذا وأمثاله من التدنس بقاذورات الدنيا بما آتاه من الآيات ، ولكنه مال إلى الحياة الدنيا ، وأخلدَ للذاتها ونعيمها وغرته كما غرت غيره والله المستعان .

نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن

---

[1] (?) الأعراف : 175

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

89- قال تعالـى: **((وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ))** [1]

يضيق بعضُ العلمـاء الـدعاة ويحزنـون من طـول الـدعوة وكـثرة المواعظ والخطب ، في حين تقل الاستجابة ، ويضعف التـأثير ولا ينتفع إلا القليل !!
وقد يكون الجهد المبـذول والـوقت المخـزون للـدعوة **(أضعافاً مضاعفة)** على حصيلة الإنتاج وثمـرة العمل والمجاهـدة ، وهـذا مسلك التفت إليه عدد غير قليل من الـدعاة المصـلحين ، وباعثه قلة الفقه والجهل بـدعوات الأنبيـاء والصـالحين المقصوصة علينا في القرآن .
فهـذا نـوح عليه السـلام ، أول نـبي إلى أهل الأرض ، من أجـلِّ دروس قصته قوله تعالى : **(وما آمن معه إلا قليل)** هل تأملنا الزمان الـذي مكثه نـوح عليه السـلام في قومه ؟! **(ألف سنةٍ إلا خمســين عاما)** وهل فكرنا في الجهد والـدأب لأجل هداية قومه وإنقاذهم من النار ؟! **(قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا)**. ثم ما هي الوسائل والطـرق الـتي اسـتنفدها هـذا العبد الصالح للتأثير في قومه ؟!
ومع ذلك كله كانت النتيجة الربانية **(وما آمن معه إلا قليل)** .
يحـرص كثـيرون على الثمـار والنتـائج في مـدة وجـيزة ، وعمل ضـعيف ، ويغفلـون عن هـذا الملحظ للداعية . ينبغي للداعية إلى الله ألا يفكِّر في نتائج عمله ، ولا في قلة المسـتجيبين أو كـثرتهم **(إن عليك إلا البلاغ)** وقـال تعـالى **(ليس عليك هداهم)**.
والأب في بيته ما ينبغي أن يستعجل هداية ابنه أو زوجه في شهر أو شهرين ، بل ينبغي الصبر وكثرة المعـاودة وكـذلك الشـاب مع إخوانه وزملائه ، لا يستعجل هدايتهم بل يصبر صبراً جميلا ، وينوع الوسائل ويحرص على دوام النصح والتبليغ .
ومن أخطار التفكير في النتائج : الحزن والإحباط ، وضعف العمل بل ربما تركه في بعض الأحيـان لاسـيما إذا كـانت الثمـار ليست بحسنة .
وما يؤكد عدم حرص الداعية على النتائج ويسـليه ويقـوي عزمه ، **كقوله صـلى الله عليه وسـلم كما في الصـحيحين من حديث ابن عبـاس رضي الله عنها ((عُرضت على الأمم ، فـــرأيت النـــبيَ ومعه الرُهَيط والنـــبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد)) .**
فهل هناك أحد أشرف على الله من هؤلاء الأنبياء ؟!!
اللهم ارزقنا الفقه في دينك وأيدنا بتأييدك وتوفيقك .

[1] (?) هود : 40

صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

90- قال تعالى : **((وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا))** [1]

أيها الإخوة : مهما اشتد خلافنا مع الأعداء ، وامتدت بغضاؤنا لهم ، فإن الله تعالى يأمرنا بالعدل فيهم ، وإنصافهم منا وعدم بخس حقوقهم .
(ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا) .
لا يحملنا البغضُ والعداء لقومٍ على ترك العدل فيهم ، واستعمالهم بالظلم والتجاوز والمعاداة ، فان ذلك ليس بخلق سليم ولا منهج مستقيم .
وفي حياة المسلمين المعاصرة تشتد الخلافات ، وتشيع الخصومات ، ويغيب من ذلك كله (نظام العدل) ، وخلق الإنصاف فيصبح الكلام والنقد والتأليف ، منصباً على كيل التجريح والشتائم وتعديد المساوئ والنقائص !! ويتجرد هؤلاء من صفة العدل في الأقوال والأفعال والأحكام ، مع أن الله أرشد إلى حسن هذا المسلك وطيبِه بقول **(هو أقرب للتقوى)** .
أي هذا العدل مع الآخرين أمر يُعظِّم به الله ، ويُتّقى ، لأن ضده الظلم والجور ، والله لا يحب الظالمين ، وإنما يحب المتقين ، والتقوى سبب لمحبة الله ورضاه وبها تُستجلب الأرزاق والخيرات ، وتندفع الأرزاء والابتلاءات .
ثم إن هذا النوع من العدل نشرٌ لسماحة الإسلام العالية ، وإظهار لنظامه السامي ، الذي لا يضاهيه نظام في تطبيق مبدأ الأخلاق ، وحسن التعامل ، وحفظ حقوق الناس ، ولو كانوا من الأعداء ، وممن استوجب بغضَنا وغضبنا . ومن القصص العجيبة التي يحفظها التاريخ في سمو مبادئ الإسلام ، قصة القاضي الصالح (جُميع بن حاضر الباجي) عندما أمر بإخراج المسلمين الفاتحين من سمرقند ، حيث اشتكى أهلها بأنهم غزوهم بلا دعوة أو كلام .
فحكم هذا القاضي العادل ، ببطلان الفتح وخروج المسلين ، وبقاء سمرقند لأهلها . وهذه عجيبة لم يحصل مثلها في تاريخ الحياة البشرية ، وكانت سبباً في إسلام أهالي سمرقند ، فالحمد لله على تمام شريعته واستقامة نهجها ومبادئها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** المائدة : 8

91- قال تعالى : (الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ)[1]

ما أكــثرَ ما تُقــام العلاقــات في الــدنيا ، وتترابط الصــداقات ، ويحصلُ الوئام والتفاني، لكنه لم يكن في ذات الله تعـالى ، وإنما هيأته المصالح والمنافع والرغبات الشخصية .
فهـؤلاء الأخلاء الأصـدقاء من أجل الـدنيا وزهرتها ، لا تنفعهم يـوم القيامة ، بل يصبحوا (أعداء) ويلعن بعضهم بعضا، والعياذ بالله .
خفي عليهم معنى الحب في الله وثواب المودة والتآخي ، وغـاب عنهم **(إنما المؤمنـون إخـوة)** ! فلم تكن الإخــوة في الله ، وما كان الحب في دين الله ، فكأنهم ما قـدموا طاعة ولا باشـروا خيراً ، يجدون ثمرته يوم الحساب والجزاء .
أما المتحابون في ذات الله فقد اسـتثناهم الله من ذلك ، وجنبهم حسرةَ البلاء يوم القيامة ، لأنهم تـآخوا وتحـابوا في الله اجتمعـوا عليه وتفرقوا عليه . كما قال تعالى : **(الأخلاءُ يومئذ بعضـهم لبعض عدو إلا المتقين)** .
فأصحاب التقوى جمعهم الإيمان ، ووحّدهم القـرآن ،وألّفهم محبة الخــير وصــناعة المعــروف . فلم يتحــابوا لمصــالح دينوية وإنما لعقيدة إيمانية هي (الحب في الله) .
وهـذه العقيـدة عمل صـالح ، وقربة يتقـرب بها المسـلم إلى ربه تعـالى ومنها يجـني عظيم الأجر والثـواب ، ويسـتطعم بها حلاوة الإيمان .
ففي الصــحيحين من حــديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قــال : ((ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمــان : أن يكـون الله ورسـوله أحب إليه مما ســـواهما ، وأن يحب المـــرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكــره أن يعـود في الكفر بعد أن أنقـذه الله منه ، كما يكره أن يُقذف في النار)) .
وعند الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن معـاذ رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسـلم يقـول: **((قال الله عزوجل : المتحـــابون في جلالي ، لهم منـــابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء))** .
والأحاديث في هذا الباب كثيرة ومفيدة ، جعلنا الله تعالى منهم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الزخرف : 67

92- قال تعالى : (**(فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)**) [1]

أيها الإخوة : إنَّ القولَ الليّن والخطاب السهل الطيب مفتاح القلوب ، والنافذة المؤثرة في الأنفس الطاغية ، والأفئدة المتعنتة ، إن مقتضى رحمة الداعية تجعله يؤثر اللين على الشدة ، والسهولة على التعنت ، والتودد على التجافي والانزواء .
إنَّ لين الخطاب ورقّته في دعوة الناس جزء من الحكمة الدعوية ، التي قد يُهملها كثير من الناس . إن هذا الدين دين الرحمة واللين والسهولة ، فلا يُدعى إليه بشدة وغلظة ، وإنما بالرحمة والتيسير والإشفاق ، قال تعالى **(ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)** .
وفي هذه الموعظة الشريفة يرشد الله تعالى نبييَه موسى وهارون عليهما السلام أن يتلطفا في القول مع فرعون مصر الطاغية الجبار ، وأن يَلينا في الكلام ، وأن يتجنبا كل قول فيه غلظ أو عنف أو شدة ، لأن ذلك مضر بهما وبدعوتهما ، وضرره على الدعوة أشد وأفتك ، لأنه ينفر الناس عن الدين والخير ، ويزهدهم فيه ، ويقيم الحواجز بين الناس والدعوة ، وربما صنع مباغض شديدة وتصورات سيئة عن الدين وأهله . وكم من دعوة قاسية ، ونصيحة جارحة ، حطمت جسوراً، ومحقت خيرات !!
فالمطلوب من كل مسلم تمثّل منهج اللين والسهولة في دعوة الناس ، وفي توجيه الأهل والأبناء فإن ذلك مفتاح قلوبهم للسماع والانتقاع ، وحصول الرغبة والانشراح لموعظة والتوجيه وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم متقلداً هذا المنهج في حياته كلها وهو كما وصف ربه **(رحمة للعالمين)** وكان **(بالمؤمنين رءوف رحيمٍ)** .
ولما بعث معاذاً وأبا موسى رضي الله عنهما للجن داعيين قال لهما (يسرا ولا تعسرا ، بشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا) أخرجاه في الصحيحين .
فالقول الليّن يا مسلمون علامة الحكمة والفقه والترفق بالمدعوين ، وهو دليل على طيب خلق الداعية وسلامة معدنه ، واستشعاره لرحمة الإسلام وسماحته ، ومن اللين في الدعوة رقة الكلام ووضوحه ، وخفض الصوت والتبسم والتودد ، وعدم المجاهرة والإغلاظ واجتناب القسوة والغلاظة ، فتلك هي (الرسالة الدعوية المؤثرة) المؤذنة بالرجوع عن المعصية ،

---

[1] (?) طه : 44

والإقبـــال على الخـــير والطاعة **(فقـــولا له قـــولا لينا لعله يتذكر أو يخشى)** .

رزقنا الله وإياكم الفقه في دينه وجعلنا من عباده الرحماء .

93- قال تعالى : **((فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى))** [1]

يشهد واقع الدعوة ، وتبرهن الحياة الاجتماعية ، أنه لا بقاء إلا للكلمة (الطيبة اللينة) ، ولا نفاذ إلا للموعظة السهلة الرحيمة ، التي تحوط المدعو بسياج الرحمة وتغشاه بالرفق والشفقة ، وتقصده باللين والحرص . وأن استعمال العنف والشدة في النصيحة لا رصيد له في حياة الناس ، فالحذرَ الحذرَ من الجناية على الدعوة بالكلمات النابية ، أو المواعظ الصارمة المجانية للمسلك الشرعي الحميد ، قال تعالى **(فقولا له قولاً لينا)** .
إن القول اللين قد ينفع في طاغية كفرعون ، وإن القول اللين يجذب الأرواح ، ويخترق كلَّ قاسٍ وجبار ، فهل ثمة أعتى وأفتك من فرعون الذي طغى وتجبر ، واستكبر في الأرض وعلا علواً كبيرا ؟! ومع ذلك فقد أمر الله موسى بالقول اللين السهل .
دخل رجل على الخليفة هارون الرشيد ، فوعظه وشدَّ عليه ، فقال له الرشيد : إن فرعون كان شراً مني وموسى بن عمران كان خيراً منك ، وقد قال له الله **(فقولا له قولاً لينا)** .
إنّ المدعو وإن لم يستجب للخطاب اللين في الحال إلا إن أثره سيبقي في نفسه ، عنواناً لهذا الخير ، ورحمته ، وعظة بطيب الخلق والأدب ، مما هو طريق إلى حب هذا الدين وأهله والتأثر به في ساعة من الساعات ، وهذه ثمرة جليلة لا يدركها أهل السرعة والاستعجال .
وفي القول اللين إعلام للمنصوح بمحبتنا له ورحمتنا به ، وأنه ليس لنا إليك إلا الكلمة الشفافة الرقيقة ، فمتى تصغِ لها؟! ومتى تتأثر بها ؟!
إن إحساس المدعو برحمة الداعية به ومحبته له مقدمة للإصغاء ولفت الانتباه ، وهو نوع من الخطاب اللين الممدوح ، فأين نحن من خلق الرحمة ، وارتدائه في دعوتنا وتعاملنا وسائر سلوكياتنا وفي الحديث قال صلى الله عليه **وسلم (من لا يَرحم لا يُرحم)** أخرجاه في الصحيحين وفي رواية أخرى **(من لا يرحم لا يرحمه الله**) وهو في الصحيحين أيضا.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] **(?)** طه : 44

94- قال تعالـى : **((تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الغَيْظِ))** [1]

أيها الإخـوة : هـذا منظر مـرعب شـديد ، يكشف عن هـول جهنم وحرّها وشدتها ، فإنها لتحتشي غيظـاً وحنقـاً على أهلها وروادها ، حتى يكاد ينفصل بعضها عن بعض **(تكاد تميز من الغيظ)** .
ما أشد هـــذا الغيظ ، وما أعظم هـــذا الحنق ! إنه لمنظر مفـــزع مخيف . فمن يعي هـــذه الموعظة ، ويتقي هـــذه النـــار الحانقة المتلظية ، ويتقي أهوالها وأنكالها ، ويتقى مقامعها وسلاسلها ؟!!
قال تعالى **(فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة)** .
وقال تعالى **(إذا رأتهم من مكان بعيد سـمعوا لها تغيظـاً وزفـيرا)** إنها لا تحنَق عليهم إذا وضـعوا فيها ، بل تحنق عليهم من مكان بعيد سحيق ، قيل من مسـيرة مائة سـنة !! فما ظنكم بنار هكـذا حنقها وحقـدها ، وتوعـدها للكفـرة والمجـرمين ، نعـوذ بالله منها ، قال تعـالى **(يا أيها الذين آمنـوا قـوا أنفسـكم وأهليكم نارا)** .
وإن الوقاية منها تكـــون بالأعمـــال الصـــالحة والمســـارعة في الخـــيرات ، والبعد عن معصـــية الله ومحارمه ومن الوقاية منها ، تذكرها وتأمل وصف الله لها في كتابه القـرآن ، فـإن ذلك يُـرهب منها ومن فعائل أهلها ، وقد كـان صـلى الله عليه وسـلم يسـتعيذ بالله كثيراً من النار .
ففي الصحيحين من حديث أبي هريـرة رضي الله عنه أن النـبي صلى الله عليه وسلم قال :
((إذا تشـهد أحـدكم فليسـتعذ بالله من أربع ، يقـول : اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القـبر ومن فتنة المحيا والممـــات ، ومن شر فتنة المســـيح الدجال)) .
وفي صـحيح مسـلم عن ابن عبـاس رضي الله عنهما **أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم كـان يعلمهم هـذا الـدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن ، قـال مسـلم بن الحجـاج : بلغني أن طاووساً قال لابنه : أدعوتَ بها في صلاتك ؟ فقال: لا ، فقال: أعد صـلاتك ، لأن طاووسـاً رواه عنه ثلاثة أو أربعه أو كما قال** .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] **(?)** الملك : 8

95- قال تعالى : **((لاَ يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ))** [1]

أيها الإخوة : كم ينصَب المرءُ في الدنيا ، وكم يتعب ، وكم يؤذى ؟! ولا يجد خلاصاً من هذه المتاعب , ولا المشكلات !!
أما في الآخرة وكان من أهل النجاة والسعادة ، فهنيئاً له الفوز المقيم ، والنعيم العظيم في جنات عدن ، جنات تجري من تحتها الأنهار فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين ، لا تعب فيها ولا نصب ، ولا هم ولا سقم ، ونعيمها دائم خالد ، لا يقربه نقص ولا خلل كما قال تعالى **(عطاءً غير مجذوذ)** أي غير منقوص .
وفي هذه الموعظة يبشر الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم خالدون منعمون في جنات النعيم ، تردون عيونها وبساتينها ، وتُحبَرون فيها ، دون أن يصيبكم شئ من التعب أو النصب ، أو يُخالجكم الأذى والبلاء **(لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين)** .
وقبلها يقول تبارك وتعالى :
(إن المتقين في جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين، لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين) .
أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دخل أهل الجنة الجنة ينادي منادٍ : إنَّ لكم تحيَوا فلا تموتوا أبداً ، وإن لكم أن تصِحّوا فلا تسقَموا أبداً ، وإن لكم أن تَشبّوا فلا تهرَموا أبداً ، وإن لكم أن تنعَموا فلا تبأسوا أبداً)) .
نسأل الله تعالى من فضله ورحمته إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الحجر : 48

96- قال تعالى : **((قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى))** [1]

ما ينبغي لصاحب الحق أن يخاف ، ولا لحامل الذكر أن يهاب ، إذا تعاظم الباطل ، أو تضخم لونه ، وفتنت أشكاله ومظاهره ، فإن صاحب الحق هو الأعلى ، وهو الغالب الظاهر بعون الله تعالى وتوفيقه ، فمن يغالب الله يُغلب ، والعاقبة للمتقين ، والدائرة على الكافرين ، ولينصرنّ الله من ينصره .
ومن هؤلاء الذين أيدهم الله ونصرهم ، وأظهر حجتهم كليمُه موسى عليه السلام ، فلقد جعل فرعون - لعنه الله -يوماً معيناً وهو يوم الزينة والعيد لكي يناظر سحرته موسى عليه السلام ، عندما رأوا منه آية كبرى ، وهي تحول العصا إلى ثعبان عظيم مبين ، ونزع يده من تحت جناحه فخرجت بيضاء من غير سوء آية أخرى .
كل ذلك جرّ فرعون والسحرة إلى مواعدة موسى عليه السلام للمناظرة وإقامة البرهان في يوم ظاهر عظيم ، ليجتمع له الناس ليبين الحق من الباطل . فلما حضر الميقات العظيم :
((قالوا يا موسى إما أن تلقى وإما أن نكون أول من ألقى ، قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة موسى ، قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى ، وألق ما يمينك تلقف ما صنعوا)) .
لم يكن مع السحرة حجة صحيحة , ولا برهان حق ، وإنما كان معهم الدجَل والتلبيس ، والحيلة والخداع ، حيث أودعوا ما معهم من الحبال والعصي شيئاً من الزئبق ، فصارت تتحرك وتضطرب بسببه ، فعند ذاك خاف موسى عليه السلام كطبيعة البشر ، وقيل خاف أن يُلبس الأمر على الناس ، فيشكوا في أمره فلا يتبعوه فأوحى الله تعالى إليه **(قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى)** .
وذلك أن موسى عليه السلام لما ألقى عصاه صارت حيةً عظيمةً حقيقة كالتنين الهائل ، له قوائم وعنق ورأس وأضراس ، فجعلت تتبع تلك العصي والحبال فتلتقمها وتتبلعها ، والسحرة والناس ينظرون ، في مشهد مذهل رهيب ينظرون لذلك عيانا جهرة بهاراً ضحوة ، فقامت المعجزة وسطعَ البرهان ، ووقع الحق

[1] **(?)** طه : 68.

وبطل ما كـانوا يعملـون ، فغلبـوا هنالك وانقلبـوا صـاغرين . قـال تعالى **(وألق ما يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد سـاحر ، ولا يفلح السـاحر حيث آتى)** والمعـنى أن كيـدَه وحيلتَه مـــــردودة عليه ، لا تغلب الحق ولا تظهر عليه ، فهو ليس بنـــاجح ولا فـــالح في كيـــده وتلبيسه ، وإنما مآله إلى الهزيمة والفشل والخسران ، انتهت الموعظة .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

97- قال تعالى : **((لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ))** [1]

الإيمان بالله تعالى وتقواه مفتاح البركات ، وزيادتهما زيادة للخير والرزق وحصول النعمة والبهجة ، وما حُرِم الناس الـرزق والبركة إلا بسبب كفـرهم ومعاصـيهم . **قال صـلى الله عليه وسـلم كما في المسند (إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصـيبه) .**
وفي هـذه الآية الشـريفة يخـبر تبـارك وتعـالى عن الأمم من أهل القرى ، الذين بعث إليهم الرسل ، أنهم لو آمنوا واتقوا لكان ذلك سـبباً لـنزول البركـات من غيث السـماء ونبـات الأرض ، فتنمو الحياه ، وتخصب المعايش ، وتزيد التجارات والمكاسب ، ولكنهم كذبوا واستكبروا فأذاقهم الله جزاء ذنوبهم ومعاصيهم .
قـال تعـالى **(ولو أن أهل القـرى آمنـوا واتقـوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذنهم بما كانوا يكسبون)** .
وقد روى ابن ماجة في سـننه بسـند حسن من حـديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النـبي صـلى الله عليه وسلم قال: ((ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا مُنعـوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا)) .
فالمعاصي سـبب لحرمـان البركـات والأرزاق ، وحصـول التعاسة والشـقاء ، وتـدهور الحيـاة بالكلية . وما صـلحت حيـاة الأمم إلا بالإيمان ولا طـابت إلا بارتـداء لبـاس التقـوى ، ومراقبة الله على كل الأحـوال . فيا من أحسَ بنقصـان رزقه وخفـاء البركة منه ، راجع إيمانَك وتقواك ، فإن في السفينة خللاً ، وفي النفس أمـور وحاجات .
اللهم املأ قلوبنا بالإيمان والتقوى ، وجنبنا الضلال والهوى .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

[1] الأعراف : 96

98- قال تعالى : **((فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ))** [1]

هذه دعوات مباركات لهَجَ بها إبراهيم الخليل عليه السلام بعد بناء الكعبة ، فقد سأل ربه تعالى أن يجمع أفئدة أهل الإسلام على هذا البيت ، وأن يصرفهم إلى حبه وتعظيمه وكثرة التردد عليه للطاعة والعبادة ، وهذا ما نراه وما نشاهده فلا يكاد يخلو هذا البيت من زائر أو مصلٍ أو طائف ، بل تجتمع إليه الملايين للحج والعبادة ، وتحصل برؤياه والسكون إليه ، الراحةُ النفسية والطمأنينة القلبية ، وتُضاعفُ عنده الأجور والخيرات ، رحمةً من الله وفضلا .

وفي قول إِبراهيم عليه السلام **(أفئدة من الناس)** إشارة إلى خصوصية المسلمين ، فلو قال (أفئدة الناس) لازدحم عليه فارس والروم واليهود والنصارى والناس كلهم ، ولكن كان شرفه خاصاً للمسلمين ، يستطيبون زيارته والعبادة عنده . ويا قبح من أهمله وتغافل عنه ، ومكث السنين الطوال ، لا حج ولا عمرة ولا زيارة !!

وبعض هؤلاء قد يكونون من سكانه وجيرانه ، ومع ذلك تقاعسوا في الوصول إليه ، وحالت دنياهم وذنوبهم عن تعلقهم بشرفه ، أو الفوز بفضله وبركته .

وهو أجلُّ المساجد التي تشد إليها الرحال للعبادة **، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لبعض من سأله (حُجَّ عن أبيك واعتمر) . وقال كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ((صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)) .**

فلا ينفك مسلم عن قصد هذا البيت وزيارته إلا لصاحب عذر عذره الله تعالى .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] إبراهيم : 37

99- قال تعالى : **((فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ))** [1]

هكــذا كل من حُكم عليه بــالخلود الــدائم في النــار من الكفــرة والمكذبين والمعاندين ، فإنهم لا يُخرجــون منها ، ولا ينفكــون من عــذابها ، ولا يجــدون متنفســاً من أهوالها وأنكالها ، فهم خالــدون مخلـــدون في النـــار ، والنـــار مطبقة عليهم **(كلما نضــجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب)** .
وليست هذه النار كنار الدنيا في شـكلها ولونها وعظمتها وبقائها ، فإنها نــار عظيمة لا طاقة لأحد بها وهي تقــول **(هل من مزيد)** ؟! ويكـاد ينفصل بعضــها عن بعض من شــدة غيظها على أهلها المجرمين .
في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صـلى الله عليه وسـلم قـال : ((نـاركم هـذه الــتي يوقد ابن آدم ، جــزء من ســبعين جــزءاً من حر جهنم)) قالوا : والله إن كـانت لكافية يا رسـول الله ! قال : ((فإنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءا ، كلها مثلُ حرِّها)) .
وزيـادة في عـذاب أهل النـار وشـقائهم فـإنهم لا يُخرجـون منها ، أعـني الكفـرة والملحـدين ، وإنها لا تفـنى ولا تبيد بل دائمة أبــدا الآباد ، فالخلاص ممنوع ، والفرار منقطع ، والله المستعان . ومن شـــقائهم فيها أنهم لا يســتعتبون ، كما قـــال تعـــال : **(ولا هم يستعتبون)** أي لا يُطلب منهم العتبى ، بل يُعذبون بغير حساب ولا عتاب . نسأل الله السلامة والعافية من ذلك .

اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

---

[1] **(?)** الجاثية : 35

100- قال تعالى : **((وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً))** [1]

جرت سنة الله وحكمته البالغة أن يُسلِّط الظالمين بعضهم على بعض ، فينتقم من الكافرين بالكافرين ، ومن المنافقين بالمنافقين **(بما كانوا يكسبون)** أي بسب ظلمهم وبغيهم .
والظلم في هذه الآية الشريفة تشمل كل أنواع الظلم والحَيف ، فالعبد إذا ظلم نفسه واعتدى على حرمات الله سُلِّط عليه من يظلمه **(جزاء وفاقا)** ، والتاجر إذا ظلم وغش ابتلي بظالم أشد منه ، والرعية إذا ضيعت حقوق الله وانصرفت لدنياها سلط الله عليها رعاة ظلمة ، لا يرقبون فيها إلاًّ ولا ذمة ، كما قال **(وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)** .
إذ الأخيار أولياؤهم الأخيار ، والأشرار أولياهم الأشرار (ولا يظلم ربك أحدا) .
قال ابن عباس رضي الله عنهما :
إذا رضي الله عن قوم ولى أمرهم خيارهم ، وإذا سَخِط الله على قوم ولّى أمرهم شرارهم ، ويشتهر على الألسنة حديث (كما تكونوا يولى عليكم أو يُؤمر عليكم) روا الحاكم والبيهقي والديلمي ، ولا يصح وتغني عنه هذه الموعظة المفيدة من الآية الشريفة **(وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً)** ، وقال تعالى **(وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم)** وقد قيل **(أعمالكم عمّالكم)** .
وفي هذه العصور تشكو أمتنا تفككها وهوانها ، وكثرة المصائب عليها وتسلط البغاة من كل النواحي عليها !! ولو فكرت وحاسبت نفسها لعرفت مكمن الخطأ والبلاء ، وأننا ما أتينا إلا من قبل أعمالنا ! هان عندنا ديننا وضعفت صلتنا بربنا، واختلفت قلوبنا وأكل بعضنا بعضا ، والله المستعان.
اللهم اجمع كلمتنا، ووحد صفوفنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا ، إنك على كل شي قدير.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) الأنعام : 129

101- قال تعالى : ((وَيَأْتِيهِ المَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ)) [1]

يتمنى المجرمون والأشرار في نار جهنم لو يقضى عليهم فيموتوا ، ويستريحوا من أليم العذاب !! ولكن هيهات هيهـات **(ذلك بما كنتم تفرحـــــون في الأرض بغـــــير الحق وبما كنتم تمرحون)** . ومن فظاعة العذاب الشديد يوم القيامة أن الكـافر العنيد يـرى المـوتَ من كل مكـان ويظن أنّه هالك ، ولكنه ليس بميت ولا هالك ، يتـــألم جســـده من جميع أطرافه وأعضــــائه وأعصابه حـتى من أطـراف شـعره ، وكل ألم لو قُـدر له المـوت لمـات به ولكن ما هو بميت **(ومن ورائه عـذاب غليظ)** وله بعد هذا العذاب المؤلم عذاب آخر أشد وأغلظ .

قال تعالى **(واستفتحوا وخاب كل جبـار عنيد ، من ورائه جهنم ويُسقى من ماء صـديد ، يتجرعه ولا يكـاد يسـيغه ويأتيه المـوت من كل مكـان وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ)** .

هذه هي الحياة النكدة الشقية التي يـؤول إليها كل متجبّر عنيــدٍ ، عاندَ الحق ، وكابرَ عن طاعة الله ، لا يجد أمامه إلا النار ، مسكنه ومكان إقامته ، وفيها يسـقى الصـديد وهو شـراب من قيح ودم ، وقيل هو ما يســيل من لحمه وجلـــده . والمهم أنه بلغ الغاية في القذارة والبشاعة فلا يُسيغه ولا يستطيع شــربه ، لكنه يتغصصه ، أي يشـربه قهـراً وقسـرا ، لا يضـعه في فمه حـتى يضـربه الملك بمطران من حديد **(ويأتيه الموت من مكـان وما هو بميت ، ومن ورائه عذاب غليظ)** نعوذ بالله من أهل الشقاء .

اللهم أجرنا من النار ، اللهم أجرنا من النار ، اللهم أجرنا من النار

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) إبراهيم : 17

102- قال تعالى : **((فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً))** [1]

أيها الإخـوة : مهما كـثرت ذنـوب العبد وتعـاظمت خطايـاه ، فـإنّ ماحيها وغاسلها هو الاسـتغفار ودوام التوبة إلى الله تعـالى ، فإنه الغفـار وهو الغفـور الـرحيم . وبالاسـتغفار حصـول الخـيرات والبركات ، والتلـذذ بالحيـاة الحسـنة الطيبة ، وهو من دعـوة الله تعـالى لعبـاده قـال تعـالى **(وأن استغفروا ربكم ثم توبـوا إليه يمتعكم متاعاً حسـناً إلى أجل مسـمى ، ويـؤت كل ذي فضل فضله)**.

وهو من مواعظ الأنبيـاء لأقـوامهم فهـذا نـوح عليه السـلام قـال لقومه **(استغفروا ربكم إنه كان غفـارا ، يرسل السـماء عليكم مـدرارا ، ويمـددكم بـأموال وبـنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا)** .

وقال هود عليه السلام **(ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبـوا إليه يُرسل السـماءَ عليكم مـدراراً ويـزدكم قـوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين)** .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسـتغفر الله في اليوم أكـثر من سـبعين مـرة ، وصح نحـواً من مائة كما في الصحيح ، وعند النسـائي بسـند جيد من حـديث ابن عمر أنه سـمع النـبي صـلى الله عليه وسـلم يقـول ((أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيـوم وأتـوب إليه في المجلس قبل أن يقوم مائة مرة)) .

وأرشد صـحابته إلى الاسـتغفار والإكثـار منه بل علمهم **(سـيد الاستغفار)** الـذي حـوى من جليل المعـاني وجميل الألفـاظ ما يستحق أن يكونوا (سيداً رئيسا) ، يُقصد في الحوائج ويُرجع إليه في الأمور ، ولفظه كما في صحيح البخاري من حـديث شـداد بن أوس ، عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم قـال **: ((سـيد الاسـتغفار أن تقـول : اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتـني وأنا عبـدك ، وأنا على عهـدك ووعـدك ما اسـتطعت ، أعـوذ بك من شر ما صـنعت ، أبـوء لك بنعمتك علي ، وأبـوء لك بـذنبي ، فـاغفرلي ، فإنه لا يغفر الـذنوب إلا أنت . قـال : ومن قالها من النهـار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل**

---

[1] **(?)** نوح : 10

الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة)) .

ومعنى أبـوء لك : أعـترف وأقر ، ومعـنى موقنـاً بها : أي مخلصـاً بقلبه ، مصدقاً بثوابها .

نسأل الله أن يجعلنا من أهلها ، الموقنين بها .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

103- قال تعالى : **((أَذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرِينَ))** [1]

أيها الإخـوة : ما أعظم تواضع أهل الإيمـان بعضـهم لبعض ! يلين المـــؤمن لأخيه ، ويرحمه ، ويحسن إليه ، ولا يـــرى لنفسه عليه فضلاً ولا منّة ، ولا يظهر عليه التعالي والتفاخر ، بل يرق له رقــةً سـامية ، تنـبئ عن صـفاء قلبه ومحبته ، وامتلائه بالإيمـان قـال تعالى **(واخفض جناحك للمؤمنين)** .
قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم ((إن الله تعالى أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخرَ بعضكم على بعض)) .
وهذا الخلق النبيل هو خلق قــوم مؤمـنين ، وعد الله أن يقّيضـهم لحمل هـذا الـدين وإيصـاله للنـاس ، إذ نكص أهله ، وارتـدوا على أعقابهم ، قـال تعـالى **(يا أيها الـذين آمنـوا من يرتد منكم عن دينه فسـوف يـأتي الله بقـوم يحبهم ويحبونه أذلـةٍ على المؤمــنين أعــزةٍ على الكــافرين يجاهــدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)** .
فهـؤلاء المؤمنــون البــدلاء القــائمون بشــريعة الله ، **وصــفهم تعالى بخمس صفات حميدة** :
الأولى : محبتهم لله ، والمحب يتفــانى في خدمة محبوبه ، وقد أحبهم تعــالى على ذلك . **والثانية** : أنهم أذلة رحمــاء وأرقـــاء بــــإخوانهم المســـلمين . **والثالثة** : أنهم ذوعــــزة وغلظة على الكــافرين ، فمع لينهم مع المؤمــنين إلا أنهم أشـداء أعــزة على الكافرين ، لا يذلون ولا يهونون . **والرابعة** : يجاهدون في سـبيل الله ، فهم رافعون للجهاد ، ولإعلاء كلمة الله .
والخامسة : ولا يخافون لومةَ لائم ، فمع جهادهم وقيامهم بشــرع الله وتـأديتهم حق الله من الحـدود والأمر بـالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يصـدهم عن ذلك صـادٌ ، ولا يهـابون لومة اللائمين ولا عذل العاذلين ، قد شمخوا بالعزة وأظهروا الشجاعة والجلادة .
استشـــعروا عظمة الله تعــالى , فهــانت عنـــدهم كل القـــوى والأراجيف والتحـــديات ، وما ذاك إلا بما غمـــرهم من الإيمـــان واليقين والتوكل على الله ، فهم جند الله وحزبه . والله ناصــرهم ومؤيدهم .

---

[1] (?) المائدة : 54

ربنا أعنا ولا تعن علينا ، وانصرنا ولا تنصر علينا ، وامكر لنا ولا تمكر علينا وانصرنا على من بغى علينا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

104- قال تعالى : **((النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُواًّ وَعَشِياًّ))** [1]

هــذه الآية الكريمة أصل عظيم لأهل الســنة في إثبــات عــذاب الـبرزخ في القبـور, وذلك إن الله ذكر أن آل فرعـون المجـرمين بعد إغراقهم ، تُعرَضُ أرواحهم صباحاً ومساء على النار إلى قيـام السـاعة ، فـإذا كـان يـوم القيامة ، اجتمعت أرواحهم وأجسـادهم في النار لملاقاة ما هو أشد وأنكى مما سبق والعيـاذ بالله . قـال تعالى **(وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النـار يعرضـون عليها غـدواً وعشـيا ، ويـوم تقـوم السـاعة أدخلـوا آل فرعون أشد العذاب)** .

وفي مســـند أحمد من حـــديث عائشة رضي الله عنها قال الرسول صـلى الله عليه وسـلم ((وإنه أوحي إلي أنكم تُفتنون في قبوركم)) .

وقد تـواترت الأحـاديث الصـحيحة عن النـبي صـلى الله عليه وسـلم في إثبـات عـذاب القـبر ونعيمه وحصـول الســؤال من الملكين ، ولا ينكر ذلك إلا كـــافر جاحد . وقد كان صلى الله عليه وسلم يسـتعيذ بالله كثـيراً من عذاب القبر ، وما صلى صـلاةً إلا تعـوذ فيها من عـذاب القبر .

وفي صـحيح مسـلم قـال : ((إنّ هـذه الأمة تُبتلى في قبورها ، فلولا أن لا تـدافنوا لـدعوت الله أن يُسـمعكم من عـذاب القـبر الـذي أسـمع منه ، تعـوذوا بالله من عذاب النار ، تعوذوا بالله من عذاب القبر ، تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، تعـــــوذوا بالله من فتنة الدجال)) .

فهل تأملنا هـذه الفتنة الشـديدة وهي أولُ منـازل الآخـرة ، وكل العباد مصيرهم إليها ، وقد ذكر أهل السنة أن عذاب القبر ونعيمه يصل لكل عبد سواء دفن أو احترق أو تمـزق ، أو أكلته السـباع ، بكيفية لا يعلمها إلا الله وحده ، فهو من الأمور الغيبة الـتي نـؤمن بها وإن لم نرها .

فنسأل الله العصمة من الفتن ، وأن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

---

[1] **(?)** غافر : 46

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

105- قال تعالـى : **((وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ القَوْلِ))** [1]

أيها الإخوة : لم يكن شاقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفةُ المنافقين والمندسين ، الذين يبثون الفتنة ، ويخـذّلون في الصف ، ويُلبسون الحق بالباطل ! لم يكن ذلك شـاقاً عليه ، وهو يسـمعُ كلامَهم ويصـغي لخطبهم ، ويـرى أفعـالهم وممارسـاتهم ، فلقد كشـفهم الله تعـالى له **(في لحن القـول)** فكل ما في ضمائرهم تكشفه ألسنتهم الكاذبة الـتي صُـبغت بمعسـول الكلام وطيّبه ولطيفه ، فيـبين للسـامع الفطِن مقاصـدُهم من معـاني كلامهم ومغازيه وإشـاراته وهـذا هو لحن القـول ، كما روي عن عثمان رضي الله أنه قال :

(ما أسرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفَحات وجهه وفلتَات لسانه).

وقد كان بمقدور الله تعالى تعيين هؤلاء المنافقين لرسوله صـلى الله عليه وسـلم بأعيـانهم وأسـمائهم ، ولكنه لم يفعل ذلك في جميعهم ستراً منه على خلقه ، وحملاً للأمور على ظاهر السلامة ،ولا مفر لكل منـافق وعلمـاني ومخـادع من لحن القـول في كلامهم ومحاضراتهم وأشعارهم ومقالاتهم . قال تعالى :

(أم حسب الذين في قلـوبهم مـرض أن لن يخـرج الله أضغانهم ، ولو نشاء لأرينـاكهم فلعـرفتهم بسـيماهم ، ولتعرفنهم في لحن القول ، والله يعلم أعمالكم) .

فيجب على أهل الإيمان التيقظ والانتباه لهذا الصـنف من البشر ، فإنهم كُـثر ، وفيهم يُخـدع السـذج ، ومن لا معرفة له ولا تميـيز ، وضـررهم أشد من الكـافرين ، فيجبَ الحـذر منهم ، وكشف بـاطلهم للنـاس ، قـال تعـالى فيهم **(هم العـدو فاحـذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون)** .

وقد لاقى الإسـلام منهم ملاقي شـديدة ، ولا يزالـون في تـربص للإسلام وأهله ، وقانا الله شرهم ، ورد كيدهم في نحورهم .

اللهم إنا نعوذ بك من شرورهم وندرأ بك في نحورهم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** محمد : 30

106- قال تعالى : **((وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ))** [1]

إذا وقعت الطامة الكبرى وأُخذ المكذِّبون يوم القيامة ، يودّون أن لو كـانوا مؤمـنين، فيحـاولون تنـاول الإيمـان في الآخـرة فلا يسـتطيعون !! فقد حيل بينهم وبين حلاوة الإيمـان لتكـذيبهم في الدنيا كما قال تعالى **(إنهم كانوا في شك مريب)** .

ويُحال بينهم أيضـاً وبين شـهواتهم في الـدنيا ولذائـذهم فلا رجعة إليها ولا سـبيل للحصـول عليها ، فقد انتقلـوا إلى دار الحسـاب والجزاء **(من عمل صالحاً فلنفسه ، ومن أساء فعليها)** . وقد كانوا دُعوا في الحياة الدنيا إلى لذة الإيمان وحلاوة التوحيد ، دعتْهم رسـلُهم ، وتُلي عليهم كتـاب ربهم ، ولكنهم كـذبوا واسـتكبروا ، وسـخروا واسـتمتعوا ، فما أغنت عنهم آلهتهم الـتي كـانوا يـدعون من دون الله ، وذهبت أمـانيهم أدراجَ الريـاح ، وتفرقت جماعتهم شذَر مذَر ، وجاءت كل نفس بما كسبت رهينة ، اليوم تجزون ما كنتم تعملون .

فيالها من مصـيبة عظيمة ، أن يُحـالَ بين العبد وطريق النجـاة !! ولا يُسـمح له بولـوج بر الأمـان والإيمـان !! إن العبد ليتوجع في دنياه من فوات بعض الشهوات والخـيرات لمـدة يسـيره ، فكيف إذا فاتت هذه الخـيرات والشـهوات أبد الآبـدين ، وانقطعت دونها الأمـاني والآمـال ؟! وكُتبت الحسـرة والإيـاس على المجـرمين المكـذبين **(قـالوا فـادعوا وما دعـاء الكـافرين إلا في ضلال)** ؟!

واحسـرتاه على أنفس عـاينت الإيمـان ، ورأت نـوره ومزاهـره ، كيف ضـلت عن طريقه وعميت عن نـوره وهـداه ؟! إن هـذا لهو الخسران المبين !!

اللهم أحينا مؤمنين ، وتوفنا مؤمنين ، وألحقنا بالصالحين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** سبأ : 54

107- قال تعالى : **((وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ))** [1]

هذه الآية الشريفة سيقت في بيان صفة عيسى عليه السلام، وأنه (عبدالله ورسوله)، وأن خروجه في آخر الزمان من علامات الساعة ، فعيسى عليه السلام لم يمت ، ولم يُصلب ، بل رفعه الله إليه ، وسينزل إذا حان موعده، واقترب أوانه وقد تواترت أحاديث نزوله قيل يوم القيامة إماماً عادلاً، وحكماً مقسطاً ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
((والذي نفسي بيده ليوشكنَّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً عدلا ، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية، ويُفيض المال حتى لا يقبله أحد ، وحتى تكون السجدة خيراً له من الدنيا وما فيها)) ثم يقول أبو هريرة : اقرؤوا إن شئتم : **(وإن من أهل الكتاب ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا)** .
ويكون نزوله عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق ، ويقتل الدجال بباب لُدّ عند بيت المقدس كما صحت بذلك الأحاديث ، وفي نزوله لا يأتي بشرع جديد ، ولا ينسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم وإنما يقرر شرعه ، مصدقاً به وحاكماً به ، ولهذا ثبت في الصحيحين أيضاً ، **قال صلى الله عليه وسلم : ((كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم ، وإمامكم منكم)) .**
وفي قوله **(يكسر الصليب)** قال الحافظ ابن حجر : أي يبطل دين النصرانية ، بأن يكسر الصليب حقيقة ، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه .
وفي قوله **(ويضع الجزية)** أي يرفعها عن أهل الكتاب ويجعلهم على الإسلام ، ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتل ، فيصير الدين واحداً ، فلا يبقى أحد من أهل الذمة ليؤدي الجزية .
فإذا نزل المسيح عليه السلام كان ذلك علامة على قرب الساعة وظهور أهوالها ، قال تعالى **(وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون)** .
ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

[1] **(?)** الزخرف : 61

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

108- قال تعالى : **((ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا))** [1]

أيها الإخوة : إن الإنسان ليعجب من أناس ضربَ اللهُ عليهم الذل والخوف ، وألبسَهم لباسَ الصَغار والمهانة ، كيف يستأسدون في هذه الأيام ؟!! ويصبحون ساسة الناس في كل شئ في الحـروب والإعلام والاقتصاد وأكثر المجالات!!! إنهم أهل الكتاب ، لا سـيما (اليهود) عليهم لعائن الله المتتابعة لقد أعلنوا مجـابهتهم لأمتنا ، بحلولهم في فلسـطين ، وتدنيسـهم الأرض المباركة ، وغشـيانهم لــتراب الأقصى !! فهم العــدو الحــالي لهــذه الأمة ، والتحــدي المباشر على كافة الأصعدة .

إن سـنة الله تعـالى فيهم لم تتبـدل ولم تتغـير ، ولكن أمتنا هي الـتي بـدلت وتبـدلت ! فلم تعد هـذه الأمة ، أمة القـرآن ولا أمة الجهاد !! وانقطع حاضرها عن ماضيها المشرق بسبب خوائها من دينها ، وتضييعها لقرآنها ، ونكوصها عن ذروة سـنامها وهو الجهـاد في سبيل الله .

استرشد الغرب بالماضي فأرشده ونحن كان لنا ماضٍ نسيناهُ

قال صلى الله عليه وسلم كما في المسند بسند صحيح عن ابن عمر ((إذا تبـايعتم بالعِينة ، ورضـيتم بـالزرع ، وأخــذتم بأذنــاب البقر ، وتــركتم الجهــاد ، ســلّط الله عليكم ذلاً لاينزعه عنكم ، حــتى ترجعــوا إلى دينكم))

فأمتنا المنكوية اعتنت بدنياها، وضيعت دينها ، فأصـابها ما أصـابها من التفــرق والذلة والمهانة ، حـتى تسـلط عليها جبنــاء النــاس وشراذمهم ، الذين لا تزال تصـلاهم وتـرعبهم (حجـارة الأطفـال) البواسل ، الـذين تـدفق من حجـارتهم الإيمـان الصـلب، والعزيمة المتوهجة، التي هدهدت راجمات اليهود وصواريخهم .

ولم يبق من شرف لنا وعز ، سوى هـذه الحجـارة ، الـتي تُشـعل نــار الغضب في كل مــؤمن ، ليثــور على يهــودي ذليل فيقتله ، فيالله كم مـدت هـذه الحجـارة الانتفاضة المسـلمة !! وكم زادت من قلق ورعب في المجتمع اليهــــودي ! فهي عزنا حين نختفي العز ، وفخارنا عندما يشح الفخار ، فمتى تستيقظ أمتنا لتعود إلى دينها ، وتوحد صــفها ، فلقد انتكـأت الجــراح ، وطــال الصــمت والانتظـار ، **(ولينصـرن الله من ينصـره ، إن الله لقـوي عزيز)** .

---

[1] (?) آل عمران : 112

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

109- قال تعالـى : **((وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ))** [(1)]

أيها الإخوة : لو تأمل ابنُ آدم حقارةَ هذه الدنيا ، وهـوان ما فيها ، لَما جمعَ لها ، ولا التفتَ إليها !! فمع ما يحصل له من وفْرة النعم ، وكـثرة الأمـوال والتنعم بالملـذات ، إلا أنه يحضر يـوم القيامة (فرداً غريبا) مجرداً من المال والنعم ، بعيداً عن الزينة والمتاع !! **(وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم)** كل ما أعطينـاكم تركتمـوه وراءكم ، فما أنتم بحامليه ولو حملتـوه لما أغـنى عنكم شيئا ! فالمحاسبة حينئذ بالأعمال الصالحة وليس بغيرها ، والـدنيا تفـارق صـاحبها من حين وصـوله للمقـبرة ، ووضـعه في مسـكنه الجديد .
ففي المتفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : ((يتبع الميتَ ثلاثـةٌ أهلُه ومالُه وعملُه ، فـيرجع اثنـان ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله)) .
فهـــاهي الـــدنيا يا من جمعَتها ، واســـتجمعت لها عقلك وقوتك وأعوانك ! ها هي !! لا تغن عنك يـــوم القيامة شـــيئا ، إذا حضر الحســـاب وكنتَ ممن أســـرف وطغى ، ونسي الـــدار الباقية ، **(ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة , وتـركتم ما خولناكم وراء ظهـوركم ، وما نـرى معكم شـفعاءكم الـــذين زعمتم أنهم فيكم شـــركاء ، لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون)** .
ولقد أدرك الصالحون الأتقياء هوانَ الدنيا عند الله وتجــردهم منها عند الحســاب ، فعَمــروا حيــاتهم بذكرالله ، وغفلــوا عن حلاوتها وزينتها , وكـان مقـدَّم أولئك رسـولنا صـلى الله عليه وسـلم فقد تــوفي ، وما تــرك شـيئا من متـاع الـدنيا يُـذكر ، **ففي صـحيح البخـاري من حـديث عمـرو بن الحـارث رضي الله عنه قال : (ما ترك رسول الله صـلى الله عليه وســلم عند موته دينارا ، ولا درهما ، ولا عبداً ، ولا أمةً ، ولا شيئا ، إلا بغلته البيضاء الـتي كـان يركبها ، وسـلاحه ، وأرضـاً جعلها لابن السبيل صدقة)** .

اللهم إنا نعوذ بك من الفتن ما ظهر منها وما بطن

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الأنعام : 94

110- قال تعالى : ((وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ)) [1]

أيها الإخـوة : ما أشـدَّه من موقف وما أصـعبَه على الإنسـان ، إذا وقف في الدنيا موقفَ الوَجِلين الخاضعين !! وهو يَرهبُ عـدواً أو يخشى بليـةً أو بطشا !! فكيف بموقف أهل النـار وهم يُعرضـون عليها ، وقد تجلّلهم الخشـوع ، وارتـداهم الـذل ، وهم في موقف رهيبٍ عصـيب ، ما عـاينوا مثله ولا شـاهدوا شـبيهه ، وقد بلغت القلـوب الحنـاجر ، وطـارت البصـائر والقـوى !! والنـار تـرقبهم وتتربص بهم ، فقد زفَـرت والتهبت والله المسـتعان ، إنه لموقف صـعب خطـير. نسـأل الله السـلامة من النـار . قـال تعـالى **(وتراهم يُعرضون عليها خاشعين من الذل) .**

وإنهم في مثل هذه الحالة الذليلة الكئيبة ، لا يسـتطيعون تحـديق النظر في النـار من شـدة الكـرب والـذل ، وإنما ينظـرون إليها مسارقة ، بنظر ذليل مهين ، قال تعـالى **(خاشعين من الـذل ينظرون من طرف خفي)** . والنار واقعة بهم لا محالة جـزاء كفرهم وتكذيبهم في الحياة الدنيا ، وجزاء مظالمهم ، ومعاصـيهم الـتي طغت بهم ، وأنـزلتهم منـازل الظـالمين ، فما أغنت عنهم أموالهم ولا شهواتهم ولا صِلاتهم يومئذ ، بل حصل الفراق والعداء والنكال ، ولا حول ولا قـوة إلا باللـه. وفي تلك السـاعة الشـديدة يقول أهل الإيمان **(إن الخاسرين الذين خسـروا أنفسـهم وأهليهم يـوم القيامة)** نعم إنه لخسـارٌ ما بعـده خسـار ، وحسرةٌ ما بعدها حسرة !! أن يُفـرّق بين الإنسـان وأهله وأحبابه وأصحابه . وفي ذلك دليل على أن أهلَ الإيمـان يُجمعـون بـأهلهم وقرابـاتهم في الجنة كما قـال تعـالى **(ربنا وأدخلهم جنـات عـدن الـتي وعـدتهم ومن صـلح من آبـائهم وأزواجهم وذرياتهم)** .

وقـال **(والـذين آمنـوا واتبعتهم ذريتهم بإيمـان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتنـــــاهم من عملهم من شئ ، كل امرى بما كسب رهين)** .

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الشورى : 45

111- قال تعالى : **((لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ المُسْتَقِيمَ))** [1]

كـــذا يتوعد الشـــيطان ويتهـــدد بـــني آدم ، أنه لهم بالمرصـــاد **(لأقعــدن لهم صــراطك المســتقيم)** يحــول بينهم وبين طريق الحق ، ويصـــدهم عن ســـبيل النجـــاة ، ويمنعهم من نيل السعادة والفوز برضوان الله تعالى .
فـــإذا ما أراد العبد الهداية ، زين له طريق الغواية ، وأدنـــاه من الشهوات ، فالكفار يزيدهم في ضلالهم وطغيانهم ، وأهل الإسلام يحــول بينهم وبين التمتع بنــور الإســلام ، فيحــرص على تــذويب الإيمان في قلوبهم بشتى الفتن والمعاصي والسـيئات ، فيحـرص على تقاعسهم في الخيرات ، وينسيهم ذكر الله تعالى ، ويثبطهم عن الأعمال الصـالحة ، فـإذا صـلى العبد شـغله عنها ، وإذا صـام ذكّـره الطعـام والجـوع . وإذا جاهـدَ رهّبه وذكـره نفسه وماله ، وهكذا لا يـزال بـابن آدم حـتى يغريه عن ميـادين الخـير كما قـال **(لأقعدن لهم صراطك المسـتقيم , ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمـانهم وعن شـمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين)** .
روى أحمد والنســائي عن ابن مســعود رضي الله عنه قال : خطَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً بيــده ثم قال : ((هذا سبيل الله مسـتقيما)) وخط عن يمينه وشماله ، ثم قال : ((هذه السُـبل ليس منها سـبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه)) ثم قـرأ (وأن هـذا صـراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعـوا السـبل فتفـرق بكم عن سبيله) .
فاحذروا يا مسلمون الشيطان وخطواته ومكائده ، وحاربوه بـذكر الله تعالى ، واقمعوه بالعلم والهدى وأكـثروا من الاسـتعاذة منه ، فما دُحر الشيطان بمثل ذكر الله ، فواظبـوا على أذكـار المسـاء والصباح بخشوع وحضور ، فإنها كافية بــإذن الله ، حامية لكم من كيده وتربصه ، ولا يتسلط عدو الله إلا على ذي الغفلة ، السـاهي اللاهي ، وقانا الله وإيـاكم مكائـده ، وجنبنا طرقه ومصـائده ، إنه على كل شئ قدير .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

[1] **(?)** الأعراف : 16

112- قال تعالى : **((لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ))** [1]

أيها الإخوة : ما من خطيئة يقارفها المسلم إلا والشيطان باعثُها وصانعها ، إنه ليزين الشر ، ويحسِّن المعصية ، ويحلي القبيح ، ويساعد على الإيقاع في المفاتن والانغماس في الشهوات . لقد عَهِد عهداً وأقسم قسماً ، لا يزال يفتن بني آدم ويصدهم عن سبيل الله ، ويوقعهم في شَرَك الكفر والمعاصي .

(لأقعدن لهم صراطك المستقيم) وفي ذلك مكاشفة بالعداوة والكيد والتحدي لبني الإنسان ، فهل لذلك من مجابهة ومقاومة ؟!!

وإن الله تعالى ليخبر بعداوته لنا في مواضع من كتابه ،ويحذر من فتنته وخطواته ، وأن سلطانه لا يصل إلا إلى القلوب السقيمة ، والأنفس الغافلة .

وأما أهل الإيمان والذكر فليس له سلطانٌ عليهم ، وقد عصَمهم الله تعالى بإخلاصهم وبذكرهم الدائم ، قال تعالى **(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان)** ، وإنهم ليدركون عداوته الشديدة ، ويعدون لها العُدة الكاملة من صدق الإيمان ، وتمام التوكل وكثرة الضراعة والذكر .

ومن مستحسَن الأدعية التي يحافظ عليها أهل الإيمان والذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم في الصباح والمساء **((اللهم عالمَ الغيب والشهادة ، فاطرَ السموات والأرض ، ربَّ كل شئ ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أغترف على نفسي سوءاً ، أو أجره إلى مسلم))** رواه أبو داود والترمذي وهو حديث صحيح . وفي المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حِرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء إلا رجل عمل أكثر منه)) .

اللهم أعنا على ذكرك ، وشكرك وحسن عبادتك .

---

[1] **(?)** الأعراف : 16

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

113- قـال تعالى : **((وَنُنَـزِّلُ مِنَ القُـرْآنِ مَا هُـوَ شِفَاءٌ))** [1]

لا يزال هذا القـرآن العظيم روضة يانعة بهية ، يجتـني منها الـذين آمنوا ، فتشـفي أسـقامهم ، وتنـير بصـائرهم ، وتكشف غمـومهم وأحزانهم كما قال تعالى **(وننزل من القـرآن ما هو شـفاء ورحمة للمؤمــنين)** فهو شــفاء نــاجع لما في القلــوب من شــكوك وشــبه ، ويطهرها غاية الطهــارة ، وينقيها أحلى نقــاء وأصــفاه . فما رسَــخ القــرآن في قلب إلا انــزاحت الشــبهات ، وطــارت معه الأحقــاد والضــغائن ، فلله الحمد والمنة على نعمة هــذا القــرآن العجيب ، وهداية هــذا الكتــاب العزيز . فهو طِبُّ الأرواح ، وغذاء الأبدان . وقد ذكر بعض حذاق الرقاة تأثير القرآن في معالجة الأمراض العضـوية ، وهـذا شئ عجيب يـدل على سر عظمة هذا الكتاب ، قال تعـالى **(قل هو للذين آمنـوا هـدى وشفاء)** .

ومن فضل هـذا الكتـاب أنه رحمة للمؤمـنين ، بها يُنـال الإيمـان ، وتُحصَّل الحكمة ، ويُحاز الخير الهداية ، ولـولا وجـود هـذه الرحمة وما فيها من غيوث وفيـوض وبركـات لـذابت نفـوس الصـالحين ، وانتهت نهاية بئيسة ، والله المستعان .

وهــذا الفضل في القــرآن خــاص بأهل الإيمــان كما قــال تعــالى **(شفاء ورحمة للمؤمنين)** لأنهم آمنوا به ووعَوه وصــدقوه ، فــانتفعوا به ،وأما أهل الكفر والطغيــان فلا يزيــدهم ســماعه إلا كفــراً وعماية كما قــال **(ولا يزيد الظــالمين إلا خســارا)** وقــال **(والــذين لا يؤمنــون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى)** وما ذاك إلا بسـبب كفـرهم وعتـوهم وفسـادهم ، انقلب عليهم نفع القرآن ضرراً ، والعياذ بالله .

فــاقرأوا القــرآن معاشر الإخــوان ، وتــدبروه ، وتــداووا به ، فهو مفتاحُ السعادة وتِرياق الأسقام ، ولا يضيعه إلا هالك .

وللتنبيه لا يصح أبداً حديث (عليكم بالشفائين القرآن والعسل) . رواه ابن ماجة وغيره ، ومعناه صحيح , ويغني عنه هذه النصـوص الكثيرة ، وما عُلِمَ يقينا من بركة هذا القرآن .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] (?) الإسراء : 82

114- قال تعالى:**(وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِّنْهُمْ)**[1]

يرشد ربنا تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم إلى حقارة هـذه الـدنيا وزوالها ، بنهيه عن النظر إلى مترفيها وأشـباههم لِما في النظر إليهم وإلى زينتهم من فتنة النفس وقسـوة القلب ، وانشـغال الفكر ، وفي ذلك صـارف له عن رسـالته المنوطة به ، فلا تمدن عينيك إليهم يا محمد صلى الله عليه وسـلم فإنها زاهية زائلة ، ولا تنظرنَّ إليهم فإنهم في عمى وضـلالة ، ولا تنظر إليهم فـإنهم في بلـوى وامتحـان ، وما عند الله خـير لك وأنفع ، قـال تعـالى **(ولا تمـدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجـاً منهم زهـرة الحيـاة الـدنيا لنفتنهم فيه ، ورزق ربك خـير وأبقى)** .
وقد عمل النبي صلى الله عليه وسلم بنصيحة الله تعالى ، فكـان أزهد النـاس في هـذه الـدنيا وأبعـدهم عن ملاذها ومفاتنها ففي الصـحيحين في حـديث الإيلاء الطويل رأى عمر رضي الله عنه رسـول الله في حالة من الفقر شـديدة ، وقد أثر في جنبه الحصـير قـال : ((فبكيت ، فقـال : ((**ما يبكيك**)) فقلت : يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه ، وأنت رسـول الله ؟ فقـال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : ((**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ، ولك الآخرة**)) .
وفي رواية قال : (ادع الله يا رسول الله ، أن يوسِّع على أمتك ، فقد وسع على فـارس والـروم وهم لا يعبـدون الله) فاسـتوى جالسـاً ثم قـال : (**أفي شك أنت يا ابن الخطـاب أولئك قـومٌ عُجِّلت لهم طيبـاتهم في الحيـاة الـدنيا**) فقلت : استغفر لي يا رسول الله ...) وذكر الحديث .
وفي الصحيحين أيضـاً من حـديث أبي سـعيد رضي الله عنه ، أن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم قـال : ((عبـدٌ خـيره الله بين أن يؤتيه زهـرة الـدنيا ، وبين ما عنده ، فاختار ما عنده)) فبكى أبو بكر وبكى ، فقال : فدَيناك بآبائنا وأمهاتنا ، قال : فكان رسـول الله صـلى الله عليه وسلم هو المخيَّر ، وكان أبو بكر أعلمَنا به .
فاحذروا يا إخوان زهرةَ الحياة الدنيا ، واجعلوها بلاغاً إلى الآخـرة .

---

[1] **(?)** طه : 131

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد .

115- قال تعالى : **((قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ))** [1]

يغيب عن كثير من الناس آفاتُ النظر إلى الحرام ، فقد يؤتى أحدُهم في دينه بسبب نظرة حرام ، فتسلبه لذة العبادة أو تحرمه بصيرةً في قلبه ، أو تذهب بركة علمه وفقهه .
فلا يدري العبد المسكين أن ذلك بسبب النظر إلى المحرمات ، وعدم غض البصر عنها !
تطيشُ أعينُ كثيرين ، وتطالع مالذَّ وطاب ،ولا يبالي أصحابها بعواقب ذلك وآثاره السيئة ، متغافلين قوله تعالى **(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)** إن في النظر المحرم لبريداً إلى المعصية ، وتحسيناً لها ، لذا حذّر الله عباده من ذلك ، فيشمل هذا النظر إلى الأجنبيات ، والأحداث والمردان وكذلك المجلات الخليعة ، والصور الفاتنة ، بل قد يكون ما في الصور والمجلات ، أشد فتكاً ونكاية فكل ذلك من الحرام المنهي عنه ، المضر بصاحبه .
قال صلى الله عليه وسلم : ((إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم)) .
وفي الصحيح (العينان زناهما النظر) وقد جعل صلى الله عليه وسلم من حقوق الطريق (غض البصر) .
ومتى ما حصل للمسلم نظر للحرام بغير مقصد فليصرف بصره ، وليبتعد عنه ، وليعلم أن السلامة كل السلامة في غض البصر ، فهو علامة الطهارة ونقاوة الديانة ، قال تعالى **(ذلك أزكى لكم ، إن الله خبير بما يصنعون)** .

كل الحوادث مبداها من النظرِ ومعظمُ النار من مستصغَر الشررِ
كم نظرةٍ فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وترِ
والمرء ما دامَ ذا عين يقلبها في أعين الغيد مجبول على الخطرِ
يسر مقلتَه ما ضر مهجتَهُ لا مرحباً بسرور عاد بالضررِ

فليحذرِ المسلم النظر للمحرمات ، فإن فيها فتكه وإضراره ، وليعلم أن الله محيط به، ورقيب عليه، لا تخفى عليه خافية ، قال تعالى: **(يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور)** .
اللهم إنا نعوذ بك من شر ما عملنا ، وشر ما لم نعمل

---

[1] النور : 30

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

116- قال تعالى : **((إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ))** [1]

إن قلوب العباد لا تتآلف بالأموال ، ولا تتحاب بالعلاقات والمصالح ، ولو تمَّ شئ من ذلك لانقضى بانقضاء حاجته، أضِف إلى ما في القلوب من إحن وأحقاد ، يخفيها الظاهر المصطنَع ، وكم من اجتماع لهؤلاء وقلوبهم متفرقة ، وكم من تضامن ، والنفوس فيها غوائل ، وكم من بسماتٍ وتحتها نِيارٌ وثارات . **(تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)** .
إن قلوب الناس لا يؤلفها إلا الإيمان بالله وحده ، عقيدة واحدة ، ورب واحد ، وذكر واحد ، وكم من أجناس متباعدة ، وطوائف متناحرة ، تغشّاها الإيمان وجلّلها القرآن ، فجعل منها (أمة واحدة متآخية) .
وها هم الأوس والخزرج أنصار الإسلام ، كم كانت بينهم من حروب وويلات في يوم بُعاث وغيره ، فلما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءهم بهذا النور محا كل ظلمة أمامه ، وبدّد كل ضلال في طريقه ، فكانت النعمة عليهم مسبَغة ، والمنة فيهم بالغة ، وما ذلك إلا بفضل الكريم المنان ، ذي الجلال والإكرام .
قال تعالى **(واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا)** نعمة الله عليكم من الإيمان والهدى هو الذي جمعكم وجعلكم إخوانا متحابين ، وليس عزيمتكم ، ولا خطبكم , ولا أموالكم .
قال تعالى **(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم)** .
بنور الإيمان تنقلب العداوة إلى مودة ، ويصبح الجفاء إخاء ، ويعم الحياة المسلمة رخاءٌ وكرم وتواصل ، فلا شعار مرفوع سوى الإيمان والحب في الله ، قال تعالى **(إنما المؤمنون إخوة)** وإخوة الإيمان مقتضاها الحب والتراحم والتواد والتناصر ، مهما تباينت الأشكال والأجناس واللغات كما قال صلى الله عليه وسلم كما في المتفق عليه من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما **((مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى)) .** وهذه الإخوة السامية قد

---

[1] **(?)** آل عمران : 103

شبهها النبي صلى الله عليه وسلم بالبناء الشديد المتماسك فــإذا انحلَّ منه شئ وتساقط ، ولم يكن له منَعة ، ولم يُنتفع به ، قال : **(المـؤمن للمـؤمن كالبنيـان يشد بعضه بعضا) وشـبك بين أصابعه . أخرجاه من حــديث أبي موسى رضي الله عنه .**

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

117- قال تعالـى : ((وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ)) [1]

أيها الإخـوة : إنه لخـرقٌ في العقيـدة ، وانشـقاق في الصف أن يوجد في المسلمين من يوالي أعداء الملة من اليهـود والنصـارى وأشـباههم ، فـيزجي لهم التحيـات ، ويمد لهم يد العـون ويسـعى في نصرتهم ومساعدتهم !!
ما قيمة الإســلام حينئذ ؟! وما فائـــدة لا إله إلا الله ؟! إذا غـــدا المسلم ماشياً بلا تميز في دينه ومبادئيه وأخلاقه ، لا يـرده دينه ، ولا تنهاه تقواه ، وقد تلا قول الله تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أوليـاء بعضـهم أوليـاء بعض)** .
أما سـمع هـؤلاء بخطـورة مـوالاة الكـافرين محـرفي كلام الله ومنابذي ديننا ، وأعلام الفساد والضلال في كل مكان وزمان، وقد قـال الله فيهم **(ولن ترضى عنك اليهــود ولا النصــارى حتى تتبع ملتهم)** !! إنهم لأعدا أعـدائنا وأخبث مناوئينا فكيف يُتخـذون أوليـاء ؟!. **(ومن يتـولهم منكم فإنه منهم)** كـذا فليكن جـزاء من يـبيع عقيدته لأعدائه ، ويسـاوم في مبادئيه ، إنه ليجعل نفسه في مقاعد الكافرين المجرمين !!
(ومن يتولهم منكم فإنه منهم) ليكن يهوديـاً أو نصـرانياً ! فما هو بمؤمن ، يَرهبُ الله ويخشى عذابه ، ذاك الذي أحبهم من دون الله ووالاهم وناصرهم ، وهو يسمع **(ومن يتـولهم منكم فإنه منهم)** ، وإنها لجريمة شـنيعة أن يكـون في مـوالاتهم ، على مسلمين أخيار ، فيضم إلى معصيته ، معصية أعظم وأشنع ، والعياذ بالله من ذلك .
وقد قال عليه الصلاة والسلام في آل أبيه المشركين : ((ألا إن آل أبي (يعني فلاناً) ليسوا لي بأوليـاء ، إنما وليي الله وصالحُ المؤمنين)) أخرجاه .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] **(?)** المائدة : 51

118- قال تعالـى : **((بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))** [1]

لقد كانت بعثة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم رحمـةً للنـاس أجمعين ، حصَـلت بها الهداية ، وأضـاء لها الكـون ، وأشـرقت بها الدنيا . وكـان لأهل الإيمـان من هـذه الرحمة مزيـدُ الرأفة والعفو وعظيم الشفقة والرعاية كما وصـفه ربه تعـالى : **(بـالمؤمنين رءوف رحيم)** .
قال تعـالى **(لقد جاءكم رسـول من أنفسـكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)** .
لقد شرّف الله رسوله صـلى الله عليه وسـلم بـأن اشـتق له من أسمائه وصف الرأفة والرحمة فجعله بها رءوفاً رحيما ليس بفظ ولا غليظ ، ولا عَسِـــر ولا متعنت ، وإنما هو رءوف رحيم ، رءوف في معاملاته رحيم في أخلاقه ودعوته ، تفيض الرحمة في كلامه وخطبه وسائر شئونه وأفعاله عليه الصلاة والسلام .
ومن رحمته إحسانُه إلى الناس وتواضعه لهم ، بل احتماله لأذاهم ، وصـبره عليهم ، ومن رحمته معاشـرته للمسـاكين والضـعفة ، **وكـان يقـول عليه الصـلاة والسـلام (من لا يَـرحم لا يُرحم)** .
ومن رحمته إشـــفاقه على أمته وحزنه عليهم كما قـــال تعـــالى **(لعلك بـاخع نفسك ألا يكونـوا مؤمـنين)** أي قاتل نفسك ومهلكها حزناً عليهم .
وفي صـحيح مسـلم عن عبد الله بن عمـرو بن العـاص رضي الله عنهما ، أن النـبي صـلى الله عليه وسـلم تلا قـــول الله عزوجل في إبـــراهيم : (رب إنهن أضـــللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مـني) وقـال عيسى عليه السلام (إن تعذبهم فإنهم عبادك ، وإن تغفـرلهم فإنك أنت العزيز الحكيم) فرفع يديه وقـــال : (اللهم أمتي أمـتي) ، وبكى ، فقـال الله عزوجل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد ، وربك أعلم ، فاســــئله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فـأخبره رسـول الله صلى الله عليه وسلم بما قال : وهو أعلم ، فقـال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل ، إنا سنرضـــيك في أمتك ولا نســوءك . وفي الصـــحيحين أنه اختبأ دعوته شفاعةً لأمته يوم القيامة ، وهذا من بليغ حبه وشفقته .

---

[1] التوبة : 128

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

119- قال تعالى : **((إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ))**[1]

هــذا بــابٌ وســيعٌ من رحمة الله وفضــله ، أن جعل الصــالحات مكفـرات للـذنوب السـابقات ، فكل سـيئة تمحوها حسـنة ، وكل خطيئة يزيلها عمل صـالح ، ما عـدا الكبـائر فلا بد فيها من التوبة الصادقة ، وإن كان فعل الحسنات يشعر بالتوبة والنـدم والرجـوع إلى الله والكف عما مضى ، فهو علامة توبة وخير وصلاح .

قــال صــلى الله عليه وســلم : ((الصــلواتُ الخمس ، والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفـرات لما بينهنَّ ماجتُنبت الكبائر)) رواه مسلم في صحيحه .

وقد ورد في ســبب نــزول هــذه الآية ما وراه الشــيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً أصاب من امرأة قبله فأتى النبيَ صـلى الله عليه وسـلم فـأخبره ، فـأنزل الله **(وأقم الصــلاة طـرفي النهـار وزلفـاً من الليل ، إن الحسـنات يـذهبن السـيئات)** فقـال الرجل ألي هـذا ؟ قـال : **((لجميع أمـتي كلِّهم))** .

فالمسلم ينتابه الضـعف والتقصـير في هـذه الحيـاة ، وقد يلامس خطايا ، فـالواجب المسـارعة بالحسـنات ، وفعل الخـيرات ، لكي تكفِّر عنه ما سلفَ وقدَّم .

ثبت في الصــحيحين من حــديث أبي هريــرة رضي الله عنه عن رســول الله صــلى الله عليه وســلم قــال : ((ارأيت لو أن بباب أحدكم نهراً غمــراً يغتسل فيه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى من درَنه شئ)) قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ((كـذلك الصـلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا)) . والدرَن هو الوسَخ .

وفي وصــية النــبي صــلى الله عليه وســلم لمعــاذ وأبي ذر في المسند ، وهو حديث صـحيح **((اتقِ الله حيثما كنت ، وأتبـعِ السيئةَ الحسنةَ تمحها ، وخالقِ الناسَ بخلق حسن)) .**

فلا اغتمامَ ولا حزن حينئذ بعد هـذا الفضل العظيم من الله تعـالى ، أن تكون السـيئة مكفَّرة بما يعقبها من حسـنات وطيبـات ، وما يكتنف المســلم من أعمــال صــالحة كالوضــوء التــام والصــلاة والنوافل وذكر الله وقـراءة القـرآن . من أعظم خصـال التكفـير والمضاعفة . نسأل الله التوفيق والإعانة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** هود : 114

120- قال تعالى : **((وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى))** [(1)]

كذا يعظ الله تعالى عباده ، محذراً لهم من الزنا ، الكبيرة النكراء ، والعظيمة السوداء. **(ولا تقربوا الزنا)** أي لا تأتوه واجتنبوه ، ولا تقتربوا من أسبابه ووسائله . فالنهي عن الزنا متضمن للنهي عن تعاطي أسبابه وبواعثه ، وكل ما كان وسيله إلى الحرام فهو حرام ، ومن وسائله الخطيرة سماع الأغاني ، لا سيما ما فيه تشبيب بالنساء ، وإظهار لمحاسن المرأة ، **وقد قال الفضيل بن عياض رحمه الله (الغناء رقية الزنا**) فهو رقيته وبريده الموصل إليه ، ومنها إدامة النظر للنساء ومطالعة المجلات الخليعة ، وصحبة الأشرار الشهوانيين ، الذين ذاب الإيمان في نفوسهم ولم يراقبوا الله في حركاتهم وجوارحهم . **(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) .**
فالزنا يا معاشر الإخوان من أبشع المحرمات ، وهو كبيرة بإجماع المسلمين ، وويل لمن مات ولم يتب منه فهو على خطر عظيم **، فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث سمرة الطويل الزناة والزواني في مثل التنور قال فإذا فيه لغط وأصوات ، فاطلعنا فيه فإذا فيه رجال ونساء عراة ، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضَوضَوا) أي صاحوا** .
وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**) .
فالزنا من أقبح المنكرات ، ولا يرضاه المرء في أهله وأقاربه ، فكيف يرضاه للناس كما قد وعظ النبي صلى الله عليه وسلم من جادله في ذلك فقال **(أتحبه لأمك**) قال : لا والله جعلني الله فداك ، قال : **((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم**)) وذكر له جملة من محارمه ، وهو حديث صحيح رواه أحمد وغيره .
وأعظمُ عاصمٍ من ذلك القربُ من الله بالتدين الجاد وكثرة الذكر والصيام ، وعلى الآباء المسارعة بتزويج أبنائهم وبناتهم ، وحفظهم من أسباب الفاحشة ، فالزواج من وسائل مكافحته والبعد عنه .
وقانا الله واياكم الفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الإسراء : 32

121- قال تعالى : **((إِنَّ قُرْآنَ الفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً))** [1]

كم هو ســـعيدٌ ذلك المـــؤمن المحافظ على صـــلاة الفجر في الجماعة ، إنه لينعَم بصـــلاة عظيمة جليلة ســـماها الله تعـــالى **(قرآنــا)** لطــول التلاوة فيها ، فقد كــان النــبي صــلى الله عليه وسلم يقــرأ فيها ما بين الســتين إلى المائة . وفيها يصــفو الــذهن وتتهيأ النفس للتدبر والتأمل ، والتلذذ بحلاوة القرآن .
ومن عظم صــلاة الفجر أن الملائكة تشــهدها وتحضــرها ، فــذلك قوله **(إن قرآن الفجر كان مشهودا)** يشــهدها ملائكة الليل وملائكة النهار ، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وســلم قــال: ((**يَتعــاقبونَ فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهــار ، ويجتمعــون في صــلاة الصبح ، وفي صــلاة العصر ، فيعــرُجُ الــذين بــاتوا فيكم فيســألهم ربهم وهو أعلم بكم كيف تــركتم عبــادتي؟ فيقولــون : أتينــاهم وهم يصــلون ، وتركنــاهم وهم يصــلون))** . وصــلاة الفجر لا يشــهدها المنــافقون وهي ثقيلة عليهم ، وحضــورها نجــاة من النــار ، والمصــلي في حفظ اللــه، محروس من الأخطار ، وهو كقائم الليل كله ، وقد قال صلى الله عليه وســـلم كما في المتفق عليه من حـــديث أبي موسى رضي الله عنه **(من صــلى الــبردين دخل الجنة**) . والــبردان هم صلاتا الفجر والعصر .
فحــافظوا يا مســلمون على هــذه الصــلاة , وأدوها في الجماعة ، فهي علامة الإيمــان وضــمانة الأرزاق ، والمتخلف عنها يُســاء به الظن . نســأل الله التوفيق والإعانة ، وهو الموفق والهــادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** الإسراء : 78

122- قال تعالـى : **((فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا))** [1]

أيها الإخـــوة : مهما تطــاولَ المجرمـــون ، وعظُمت أســلحتهم ، وتمكنت حصونهم ، فإن الله تعالى محيط بهم ، متربص لمكـرهم . لا يخفى عليه أمــرهم ، ولا يفوته مكــرهم وعــدوانهم كما قــال تعــالى **(قل الله أســرع مكــرا ، إن رســلنا يكتبــون ما تمكرون)** والله يملي الكافرين لـيزدادوا إثمـاً وغيـاً ، فـإذا حـان موعدهم المرصود ، لم تغن عنهم أموالهم شـيئا، ولم تـدفع عنهم حصونهم ولا أسلحتهم بأس الله تعالى ونقمته ، سـيأتيهم الله من حيث لم يحتسـبوا ، سـيأتيهم من بـاب لم يكن لهم فيه بـال ، لم يفكروا فيه ، ولم يحسبوا حسابه ، إن الله على كل شئ قدير .

إذن ليعتبر الكـافرون والظـالمون من وقيعة أسـلافهم يهـود بـني النضير- عليهم لعائن الله المتتابعة - الذين حـاربوا الله ورسـوله ، فأرسل رسـول الله إليهم بـالجنود المؤمنة وحاصـرهم سـتة أيـام وشدَّد الحصار عليهم ، وأحرق مالهم من لينة ونخل ، نكايـةً بهم ، وإرعاباً بالهم ، وقد تحصنوا بحصـونهم المنيعة ، وبيـوتهم الرفيعة التي ظنوا بها السلامة من الموت ، والنجاة من الخطر .

كما قال تعالى **(وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله)** اعتقدوا أن حصونهم المنيعة ستحفظهم من بأس الله ، وهـذا من قلة فقههم وفســـاد قلـــوبهم **(فأتـــاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف في قلوبهم الـرعب)** سـلط الله عليهم جنوده الباسلة ، وقـذف فيهم الـرعب والهلع من شـدة الحصـار ، وحرق النخيل ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فإذا اظهر على درب أو دار ، هـــدم حيطانها ليتسع المكـــان للقتـــال ، وكـان اليهـود إذا علـوا مكانا أو غلبـوا على درب أو دار نقبـوا من أدبارهم ثم حصنوها ودربوها .

ولما بلغ بهم الحصـار مبلغة ، وهـالهم الـرعب ، وتهالك أمـرهم ، نزلــوا على طلب الجلاء وهو الخــروج من المدينة على أن يحقن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم دمـاءهم ففعل ، وأن لهم من أموالهم ما حملت الإبل إلا الحلقة أي السلاح ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه ، فيضـعه على ظهر بعـيره ، فينطلق به **(يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمـنين)** وقد خرجـوا إلى أذرعات في أعـالي الشـام ، ومنهم طائفة ذهبت إلى خيـبر ، قال تعالى **(ولو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ، ذلك بـأنهم شـاقوا**

---

[1] **(?)** الحشر : 2

الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شـديد العقـاب)
وكانت هذه الغزوة بعد أحد سنة أربع من الهجرة على الصحيح .
وفيها من الفوائد المهمة : أن القوةَ لله وحدة، ومن يغـالب الله يغلب ، وأن العاقبة للمتقين والــــدائرة على الكـــــافرين المكـذبين، ومنها فسـاد أخلاق اليهـود من الغـدْر والخيانـة، وأنه لا عهد لهم ولا ذمة، ووهاء عقولهم عند ما ظنوا امتناعهم بحصونهم من رسول الله ، وقد علموا صدقه ونبوته .
والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

123- قال تعالـى: **(سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ)**[1]

يستغرب كثير من المؤمنين الأخيـار عـدم وضـوح الآيـات والحجج الربانية على بعض النــاس مع ســطوع الحق ، وانبلاج الفـــور ، وظهــور الآيــات الدالة على هيمنة الإســلام وانتصــار مبادئه في الآفاق !! ولعل هؤلاء إذا تدبروا هذه الآية الشريفة تبين لهم لماذا صُرفت الآيات ، وغابت الأنوار عن أولئك القوم ؟ لقد تكــبروا في الأرض وعانـدوا الحق ، فحـرمهم الله تعـالى لـذة الانتقـاع بهـذه الآيات والبراهين .

(سأصرف عن آيـاتي الـذين يتكـبرون في الأرض بغـير الحق) أمنعهم فهمَ هـذه الآيـات والانتفـاع بها لاسـتكبارهم عن طاعتي ، وبغيهم في الأرض ، أي فكما استكبروا بغير حق ، أذلهم الله تعالى بالجهل والعمى ، كما قال تعالى **(فلما زاغــوا أزاغ الله قلوبهم)** .

وقال بعض السلف (لا ينال العلمَ مستحٍ ومتكبر) .

ومن شدة استكبارهم أنهم لا يبالون بالآيات الباهرة ، ولا يكترثون لها فلا يرفعـون بها رأسـاً ، ولا يخضـعون لها قلبـاً ، مسـتكبرين ، ومتجاهلين كما قال تعالى **(وإن يـروا كل آية لا يؤمنـوا بها)** .

وبسبب استكبارهم وعنادهم ، صارت وجهتهم إلى الغي والضـلال ، والإفساد في الأرض ، وانطمست عليهم معالم الرشد والهدى .

قـال تعـالى **(وإن يـروا سـبيل الرشد لا يتخـذوه سـبيلا ، وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ، ذلك بــأنهم كـذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين)** أي وإنما فعلنا بهم ، ذلك بسبب تكذيبهم بالآيات ، وعدم اتعاظهم وعملهم بها ، والجزاء من جنس العمل .

ومــآلُ المســتكبرين عن الحق إلى جهنم وبئس القــرار ، **قــال صلى الله عليه وسلم : ((ألا أخـبركم بأهل النـار ؟ كل عُتُـلٍ جـواظ مسـتكبر)) أخرجـاه ، وفي صـحيح مسـلم قـالت النـار في احتجاجها على الجنة ((فيِّ الجبـارون والمتكبرون)) .**

انتهت الموعظة ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) الأعراف : 146

124- قال تعالى : **((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ))** [1]

أنزل ربنا تبارك وتعالى كتابه هادياً للناس لأوضح السبيل ، ومنارة يُستضاء بها في كل درب ، ودليلاً مبيناً عند اختلاط الأمور والتباسها **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** هدى هذا الكتاب أقواماً إلى الخير والنجاة ، وجنبهم مسالك الضلال فهو منبع الهداية وطريق النجاة والسعادة .

ما طابت الحياة بدونه ولا تنعم الأخيار بسواه ، إنه لبهجة المتقين ، وبستان الذاكرين وحلاوة المهتدين **(إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)** .

يهدي لأقوم العقائد ، ولأحسن الأخلاق ، ولجميل الخصال ، فيه مصدر كل خير وفضيلة ويحذر من كل شر وفضيلة من استعصم به نجا ، ومن استهدى به هُدي ، ومن استغنى به غني وفاز ، ما أعظمه من خطاب ! وما أحسنه من كتاب وبيان !

(الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) .

به صلاح القلوب فهو غذاؤها ومادة حياتها ، يصلح اعوجاج الأنفس ، ويُزيل انحراف العقول ، جعله الله هداية للعالمين ، وذكرى للمتبصرين ورحمة للمؤمنين . فما أفلح من ضيعه ، وما صلُح من أهمله ، وخابَ وخسر مَنْ عانده وصدَّ عنه .

(فمن اتبع هداي ولا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) .

إن هذا القرآن رسالة الله إلى عباده ، فمن أخذ بها أخذَ بحظ وافر ، ومن ضيعها فهو الخائب الخاسر ، فيا تعاسة من ضيعه ، ما عرف قدره وعظمته !! وهنيئاً لمن آمن به وقرأه حق قراءته ، وكان القرآن خليله وسميره ، وروضته وبستانه فمثل هذا هو (الفائز المغبوط) ، قال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما **((لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً ، فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار)) . ومعنى لا حسد : أي لا غبطه ، والآناء : هي الساعات** .

جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن المهتدين .

---

[1] **(?)** الإسراء : 9

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

125- قال تعالى : **((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُواًّ))** [1]

أيها الإخوة : هل استشعر أحد منا عـداوةَ الشـيطان له ، فاتخـذه عــدواً ؟ !يحاربه ويضــاده ولا ينجــرف لألاعيبه وخطواته . ها هو كتاب ربنا بلسان عربي مبين يقـول **(إن الشيطان لكم عـدو فاتخذوه عدوا)** حاربوه وضيقوا عليه، ولا تنصـاعوا لأمـره . إن معــاداة الشــيطان وحربه تكــون بطاعة الله تعــالى ، فما غاظَه وساءه مثلُ الإقبال على الطاعة والخضوع لله رب العالمين .

ويجب أن تكــون عــداوتنا له أشــدَّ وأنكى ، بــالكفر بــهِ وتكذيبه ، وعدم الركون إليه ، فهو حريص على إضـلال بـني آدم بالشـبهات والشهوات ، يشككهم في دينهم ، ويلبس عليهم عقيدتهم ، ويزين لهم المعاصي والهدى فقد قال **(ثم لآتينهم من بين أيـديهم ومن خلفهم وعن أيمــانهم وعن شــمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين)** .

(يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا) يخدع الناس بالأماني ، والوعود الكاذبة ، ويسوِّف لهم بالتوبة ويـدعوهم للمســارعة في الشــهوات ، وإدراك زينة الحيــاة الــدنيا قبل الانشغال والفوات ، حتى ينقطع عنهم الأمل في التوبة ، فيكونــوا معه وحزبه في نــار جهنم **(إنما يــدعوا حزبه ليكونــوا من أصحاب السعير)**.

إن من أبلغ ما يعادى به الشيطان مخالفة أمره على كل الأحـوال ، والقرب من الله تعالى ، بالطاعة والخيرات من الصـلاة والتفقه وذكر الله وقـراءة القـرآن والأوراد الحصـينة في الاسـتعاذة منه ، فإنه إنما يتسلط على النفوس الضعيفة الخالية من ذكر الله .

فاستحضروا يا مصلون عـداوة هـذا الشـيطان الـرجيم ، وغيظـوه بالإيمان الصادق ، والعلم النافع والابتهال الدائم وكونوا في سبيل المؤمنين المتوكلين على الله ، الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

نعوذ بالله العظيم من شره وكيده .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?)** فاطر : 6

126- قال تعالى : ((**اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**)) [1]

أيها الإخوة : إن كان من أمة في هذه الدنيا قد حيَت ، واستنارت ، واهتدت ، فهي (أمة الإسلام) . فقد أحياها ربنا تعالى بنوره وهدايته ، وأيقظها بذكره وعبادته وبصَّرها بآياته ودلائله . لذا فإن هذه الأمة المؤمنة تعيش حياة تختلف بها عن سائرة الأمم ، فهي سعيدة بدينها، مطمئنة بعبادة ربها ، راضية بقدره ، متوكلة عليه . وكلما ازداد إيمانها وصدق توكلها زادت حياتها وسعادتها وقوتها . وإنها عند الملمات ، والأزمات لتراجعُ دينها وتحاسب نفسها ، وتتفكر من أين كان الخلل ؟!

وفي هذه الموعظة الشريفة يدعو الله أهلَ الإيمان إلى الاستجابة لمنابع الحياة الحقيقية ويتم بها صلاحهم وفلاحهم **(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)** طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم منبع الحياة وبها تحصيل السعادة والنور .

وبالقرآن والسنة سعادة الخلق أجمعين ، وفيهما أسباب النفع والصلاح . ولقد أحيا الله بذكره الأموات ، وأخرجهم من الظلمات إلى النور ، وأطلعهم على أنوار السعادة التي ما عرفوها في مراكب الضالين ، ولا منازل التائهين .

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) لقد دعانا الله لعبادته وفيها عزنا وشرفنا **(لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون)** ودعانا للاستمساك بالحق وفيه نصرنا وتمكيننا ، دعانا لحفظ كتابه ورعايته وفيه تاجنا وفخارنا **(وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)** ودعانا تعالى للجهاد في سبيله وفيه حياتنا وخلودنا ، فلماذا التأخر ؟! ولماذا الإعراض ؟!

إن من أجلِّ صفات أهل الإيمان الاستجابة لله ولرسوله في الأمن والخوف ، والصحة والسقم والحضر والسفر ، لا يترددون ولا يتقهقرون ، بل يستجيبون ويسارعون ، وعلى ربهم يتوكلون **(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) قال أبو الوليد عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما في المتفق عليه (بايعنا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على السمع**

---

[1] **(?) الأنفال : 24**

والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكــره وعلى أثرةٍ علينا).

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها .

127-قال تعالى:(**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**)[1]

يتسآل كثير من المسلمين اليوم عن أسباب توالي النكسات على أمتنا المسـلمة !! ولمـاذا تـأخر نصـرها وتمكينها ؟! ويغيب عن هؤلاء حقيقة إيمان هذه الأمة ، وقيامها بدينها ، واستعصامها بحبل الله المتين .
فإن أمتنا المنكوبة لا تـزال في واقع مرير ، من تسـلط الأعـداء ، وإهمالها لدينها واستقرار التفكك والانهزامية فيها .
والله تعـالى لا يغـير ما بها ويمكن لها ، حـتى تعـودَ لـدينها وتغـير مابها ، انطلاقـاً من هـذا التوجيه الربـاني الحكيم **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** .
فهذا شرط للتغيير وحصول الفـرج في الأفـراد والأمم ، فـإن الله تعالى إنما يبتلي الأمة ، ويؤخر عنها نصره وتأييـده بسـبب ما فيها من تخاذل واستضعاف وهـوانٍ في حمل رسـالة الإسـلام ، بل لم تحملها للنـاس ، ورضـيتْ بما هي عليه من التخلف والـذل والانهزام .
إن أمتنا في هذه الأيام مهزومة في عقيـدتها وضـعيفة في مبادئها ، وعالة على غيرها ، فكيف يتغير حالها أو يتحسن مستواها ؟!! **(إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)** .
عنـدما تصـدق الأمة في إيمانها ، وتجتمع كلمتها وتتوحد صـفوفها على أعـدائها ، فسـوف تسـطع لها بارقة الفلاح ، ويحين نصـرها وتمكينها ، قال تعالى **(يا أيها الذين آمنـوا إن تنصـروا الله ينصـركم ويثبت أقـدامكم)** هل نصـرت الأمة ربها وهي منشغلة بدنياها ؟ وهل نصـرته وهي غافلة عن كتـاب ربها ؟ وهل نصـرته وهي في تفككها وانهزامها ؟! كلا ، فلازلنا بحاجة للرجعة الصـادقة إلى الله ، والاعتصـام بحبله ، فما انهـزم من استعصم بالله ، وما انكسر من لجأ إلى الله ! ولكن الهزيمة والانكسـار إنما تـنزل بـالمغيِّر المبـدل ، قـال تعـالى في وصف الصـادقين الأوائل **(وما بدلوا تبديلا)** .
اللهم أصلح أحوال المسلمين ، وردهم إليك رداً جميلا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الرعد : 11**

128- قال تعالى : **((وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى))** [1]

لو تصور الإنسانُ عِظَم الدار الآخرة ، وما فيها للمتقين من جنات عالية ، تجري من تحتها الأنهار ، للعبد فيها ما يشتهى ويتمنى ويستطيب , مجردة من كل سوء ولغو ، قد اكتملت حسناً ونضرة وبهاء !! لغفَلَ عن هذه الدنيا الحقيرة وسعى في الآخرة ، وأعرض عن تجارة الدنيا إلى تجارة الآخرة **(قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة ، والله خير الرازقين)** .

لكن لا يزال ابنُ آدمَ يضعف يقينه بالآخرة وتستهويه الدنيا ، وتغرّه زينتها ، وتفتنه أموالها ، ويَستبقيهِ أملُها وحلوها ، فلا ينفك ابن آدم - إلا من عصمه الله - من حرص على الدنيا ، وطول أمل فيها ، فيضيّع ما أوجبه الله عليه ويغفل عما وراءه في الدار الآخرة .

ثبت في المتفق عليه من حديث أنس رضي الله **عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((يَهرَمُ ابن آدم ويبقى معه اثنان : الحرصُ والأمل)) .**

فالحرص قتل أقواماً عن فقه الدار الآخرة ، والأمل أنساهم العمل بالاستعداد لها ، فيا تعاسة من عمَّر الدنيا ، وضيع الأخرى .

إن الفوز بنعيم الآخرة يعني قمة السعادة وغايةَ الفلاح ، ودوام الحياة الطيبة الأبدية **(والآخرة خير وأبقى)** هي خير من كل نعيم وبهجة في الدنيا ، وهي باقية لا تفنى ولا تبيد **(عطاءً غير مجذوذ)** يعني غير منقوص وقال تعالى **(أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار)** .

ومن نعيم الجنة البهيّ ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(إن للمؤمن في الجنة لخيمةً من لؤلؤة واحدة مجوفة ، طولها في السماء ستون ميلا ، للمؤمن فيها أهلون ، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضا) .

اللهم إنا نسألك الفوز بالجنة والنجاة من النار

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الأعلى : 17**

129- قال تعالى : **(وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً)** [1]

إن الحياة الزوجية لكي تكون حياة سعيدة ، لا بد أن يعمها (ظل المودة والرحمة). لأن المودة يحصل بها الأنس والسعادة ، والرحمة يتم بها التقارب والتواصل والإحسان . فمن رحمه الله بعباده أن جعل لهم من أنفسهم أزواجا وجعل بين هؤلاء الأزواج من الحب والتراحم ما تستمر به الحياة ، ويحلو مسكنها ، وتطيب عشرتها ، ويتبارك منها الذرية والأولاد .

وهذا كله من آيات الدالة على عظمته وكمال قدرته تبارك وتعالى .

قال تعالى **(ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)** .

فإذا انفصمت عرى المحبة والرحمة من البيت المسلم ، فقد انفصمت عراه ، وانهدت أركانه ، وكان أحسن طريق هو البينُ والفراق . ولذا على الأزواج أن يحرصوا على ملء البيت بالمودة والرحمة ومكارم الأخلاق ، ومحاسن الآداب وعليهم مراعاة جميع الحقوق ، فإن المشاكل في الغالب ما تنشأ إلا من تقصير أحد الزوجين في حق الآخر . فالرجل له حقوق والمرأة لها حقوق ، وإن كانت القوامة في النهاية للرجل ، فالمسئولية عليه عظيمة فهو الراعي والمالك ، فليتق الله في رعيته ، وليؤد حق الزوجة والولد ، وليبث في البيت معالمَ النور والهدى والإحسان . فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حسن المعاشرة لأهله لطيفاً بأزواجه ، محباً لهنّ ، حريصاً على إفادتهن وتعليمهن ، صابراً عليهن ، يحاورهن ويسمع منهن ، ويأخذ بمشورتهن ، **وكان يقول عليه الصلاة والسلام** :

((أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم)) رواه الترمذي وقال حسن صحيح ، وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال **: ((الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة)) .**

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] **(?) الروم : 21**

130- قال تعالى : **(قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ المُعَوِّقِينَ مِنكُمْ)** **(1)**

في كل وقت وحين تُبتلى أمتنا بعوائق أهل التخـــذيل والتعويق ، الذين شغلتهم لذة الحيـاة الـدنيا فأنسـوا بها ، واسـتمتعوا بحلوها وأريجها ، وأرادوا من ذوي الهمم والمسـارعة ، أن يتـأخروا معهم لمبــادين الكسل والسـفَه والعبث . ففي الجهـاد يقولـون **(هلم إلينا ولا يــأتون البــأس إلا قليلا)** يغــرون المجاهــدين في سـبيل الله بطيب الإقامة ، وحلاوة الثمـار ، وراحة البـال ، وعلام تقتلون أنفسكم ؟! قد جعل الله لدينه أعواناً وأنصارا !
وفي طلب العلم يُزهِّدون فيه ويعوقــــون عن طلبه والجد فيه ، فالعلم بحر لا ساحل له !!
ومن أنت حتى تكون عـالم الأمة أو إمـام النـاس ، دع ما عنـدك ، وهلمَّ إلينا !
وقد يعوقون بخطورة النية في الطلب ، وأنها لا تكاد تصفو لأحد ، والله المستعان.
وفي الدعوة إلى الله يقولون : الدعوة تضحيات جســام ، وفعائل عظام . ما سلم منها أنبيـاء الله ورسـله . فمن نحن عند صـبرهم وشجاعهم ؟!!
وهكــذا في كل بــاب من أبــواب الخــير والمســارعة ينشــرون مقالاتهم السقيمة التي تقطع حبلَ الجد والعزيمة ، وتـوهن القـوة والمسارعة ، وتصدّ عن سيل ا لمجد والفلاح .
والله تعـالى محيط بهـولاء الـذين لا خرجـوا وصـمتوا ، بل أعـانوا غـــــيرهم عن إدراك الثــــواب وتزكية النفس **(قد يعلم الله المعــوقين منكم)** وإنما كـــانوا معــوقين عن الخــير لما في قلوبهم من مـرض ، أو كـونهم أصـحاب كسل وسـفاهة ، يجـرون غـيرهم إلى منـازلهم وأحـاديثهم ، وقد يسـتبدلون جهلاً بنصـوص صحيحة ، أو مواقف حسنة ليؤكدوا بها صحة مسـالكهم واسـتنارة أقوالهم ، ومع ذلك فإنهم سـرعان ما يكشـفون ، إذا واجهـوا أهل العلم وتصدى لتربية الناس العلماء الثقات الذين يردّون باطلهم ، ويكشفون زيغهم ، فما أوتي هؤلاء إلا من قله فقههم وانغماسـهم في دنياهم .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

(1) **الأحزاب : 18**

131- قال تعالى : ((وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ)) [1]

تُنصَبُ الموازين العَدْل يوم القيامة ، ليبين الفائزون من الخاسرين . وتبرزُ التجارةُ الرابحة من التجارة الخاسرة ، كما قال تعالى **(والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون)** .

وثَقِل الموازين يكون برجحان الحسنات على السيئات ولو بواحدة ، وهذا الميزان الحق ، الأقربُ أنه واحد ، وإنما جُمع هنا باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه . وقد قيل إن الوزن يكون للأعمال إذ يقلبها الله يوم القيامة أجساما ، وقيل كتاب الأعمال كما في حديث صاحب البطاقة ، وقيل يوزن صاحب العمل كما قال تعالى **(فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) ومن فضائل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((أتعجبون من دِقّة ساقَيه والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقلُ من أُحُد))** والأدلة تحتمل ذلك كله تارة توزن الأعمال، وتارة كتبها ، وتارة فاعلها ، والله أعلم .

وهذا الميزان كما قال تعالى **(القسط)** لا جورَ فيه ولا بخس ، ولا يفوته شئ **(وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** فكل سكته وكل كلمة محفوظة موزونة يوم القيامة **(ولا يظلم ربك أحدا)** فهنيئا لمن استكثر من الطاعات ، وسارت به رجلاه للخيرات ولفظ لسانه الكلمات المباركات . فمثل هذا له وزن وقدر يوم القيامة **. ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم))**.

فإذا كان هذا الكلام موزونا يوم القيامة ، فجديرٌ بالعاقل أن يصرفَ لسانه في ذكر الله وقراءة القرآن ، ويدع ما دونَ ذلك من المنطق السوء ، وقبيح الألفاظ ، فإنها مكتوبة عليه ، وذكر الله تعالى من أسهل العبادات وأخفّها على الإنسان لو تفكر وتأمل ! فلماذا الخوض فيما لا ينفع ، وهجر ما ينفع ويبقى ، وتظهر ثمرته يوم القيامة كذكر الله الطيب المفيد .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك

---

[1] **(?) الأنبياء : 47**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

132- قال تعالى : **((رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ))** [1]

حقا أيها الإخوة ، إن الرجالَ هم من تعلو هممهم في طاعة الله ، وتتسابق عزائمهم في ذكره وعبادته ومنهم هؤلاء المسلمون المصلون ، عمّار المساجد ، قال تعالى **(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ، يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)** .
أجابوا دعوة الله ولبوا نداءه ، ولم تشغلهم دنياهم ، ولا متاجرهم عن الصلاة في وقتها بل إذا سمعوا داعي الصلاة ، تركوا ما أمامهم من تجارة الدنيا ، وأقبلوا على تجارة الآخرة ، فهي الدائمة الباقية **(والله خير الرازقين)** .
ثبت في المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((من غدا إلى المسجد أوراح ، أعد الله له في الجنة نزلاً كلما غدا أوراح)) . والنزل : ما يُهيأ للضيف من قوت ونحوه .
وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أن رأى قوماً من أهل السوق ، حين نودي للصلاة المكتوبة ، تركوا بياعاتهم ، ونهضوا إلى الصلاة ، فقال : هؤلاء مِن الذين ذكر الله في كتابه **(رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)** الآية وقال بعضهم : كانوا يبيعون ويشترون ، ولكن كان أحدهم إذا سمع النداء ، وميزانُه في يده خفضه ، وأقبل إلى الصلاة .
وهكذا التاجر الصالح لا تشغله تجارته عن ذكر الله ولا تنسيه الصلاة ، من أدائها في وقتها بوضوء حسن مع جماعة المسلمين ، وليس في الجماعات المتأخرة ، كما يضيع كثير من الباعة هداهم الله . ولا حرج على المسلم أن يبيع ويشتري فيما أحلَّ الله له ، ولكن ليحذرْ أن يضيّع بسببها فرائض الله ، أو يتعدى حدوده ، فإنها حينئذ تكون عليه حسرة في الدنيا ووبالاً يوم القيامة ، **وقد صح في الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم : (نِعمَ المال الصالح للرجل الصالح)) .**
وفي هذه الآية الشريفة تأصيل لما فضُل به الإسلام ، من التوازن بين الدنيا والآخرة في حياة الإنسان ، فمع صلاح هؤلاء الرجال واستقامهم ، لم ينفِ الله عنهم البيع والشراء ، بل أثبته لهم مع محافظهم على ذكر الله في بيوته العامرة ، وتذكرهم دائماً لليوم

---

[1] **(?) النور : 37**

الآخر الشديد ذي الفزع والأهوال . **(يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار)** .
نسأل الله تعالى أن يجعلنا من هؤلاء المسبحين الذاكرين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

133- قال تعالى : **((لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ))** [1]

إن هذا الدينَ راسخٌ رسوخَ الجبال الصم ، وباقٍ بقاء الليل والنهار ، مهما حاول المجرمون إبادته ، أو إطفاء نوره ، فإن الله متمه ، ومظهره على سائر الأديان . وفي كل زمان يهئ الله له أنصاراً يتحرقون عليه ، ويضرونه بأموالهم وأنفسهم حتى يقيموا رايته ويعلوا كلمته **(ليظهره على الدين كله)** .
وفي العهد المكي لقي النبي صلى الله عليه وسلم الصدود والتكذيب من قومه ، وأوذي أتباعه القلائل ، وصبر وقاوم حتى أظهره الله وأقام دينه **(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)**.
ولما أتاه خبّاب رضي الله عنه ، يشكو إليه ما لقوا من شدة المشركين ، ويسأله الدعاء لهم ، غضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال له **(والله ليتُمِنَّ الله هذا الأمر حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**) .
وقد أظهر الله هذا الدين على سائر الأديان ، إبّان بقاء الجهاد والفتوحات ، وأدرك أعداؤه فضله وقوته ، وأن في قلوب أهله سراً ساعد على انتصاره وشموخه **(ولينصرن الله من ينصره)** .
وفي هذا العصر ، مع تفرق الأمة ، وإهمالها لدينها ، يبقى الإسلام عزيزاً عند فئات منهم ، ويهابه أقوى الأمم ، ويخشون استيقاظه وعودة أهله إليه ، ويتجزب جميع الأعداء ضده مع ضعف أهله .
وهذا اعتراف منهم بخطورته وأنه قادم ظاهر ، ولَيبيدنَّ خضراءهم وليجعلنهم في الأذلين **(والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون)** .

---

[1] **(?) التوبة : 33 ، والصف : 9**

روى الإمــام أحمد في مســنده عن تميم الــداري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
((ليبلُغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليلُ والنهار ، ولايــترك الله بيت مــدَر ولا وبَــرٍ ، إلا أدخله هــذا الــدين يعز عزيــزاً ، ويذل ذليلاً ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر)) ، فكـان تميم الـذري تقـول : قد عـرفت ذلك في أهل بيـتي ، لقد أصـاب من أسـلم منهم الخـير والشـرف والعز ، ولقد أصاب من كان كافراً منهم الذل والصَغار والجزية .

اللهم أعنا ولا تعن علينا ، وانصرنا ولا تنصر علينا

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

134- قال تعالى : **((قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي))** [1]

لقد كـان من رحمة الله تعـالى بعبـاده ، أن قيض الله لهم ملكـاً صالحا ، مكّنه الله في الأرض ، وآتاه من كل شئ سببا ، أي علماً وطرقا لفتح البلاد والأقاليم وهو **(ذو القرنين)** هيأه الله تبارك وتعالى ليقي النـاس شر فتنة يـأجوج ومـأجوج وهم طوائف وأمم عظيمة تخرج في آخر الزمان للأذية والإفساد .

وقد بنى هذا الرجل الصالح (سداً عظيماً متينـاً) على موضـعهم ، لا يخلصون منه إلى أن يحين موعدهم وهم موجودون الآن على الأرض والســـــدّ دونهم ، لا يعلم مكانه إلا الله تعـــــالى **(فما اســطاعوا أن يظهــروا وما اســتطاعوا له نقبا)** فهم لا يســـتطيعون أن يصـــعدوا من فوقه ولا يقـــدرون على نقبه من أسفله .

(قال هذا رحمة من ربي) أي لما بناه ذوالقـرنين ، قـال إن هذا السدَ رحمةٌ من الله ، حيث جعله مانعاً للناس ، وحافظاً لهم من فتن يأجوج ومأجوج الـذين ذكر النـبي صـلى الله عليه وسـلم من أمرهم عجباً ورهَبا ، **ففي الصـحيحين من حـديث زينب بنت جحش رضي الله عنها قـــالت : اســـتيقظ النـــبي صـلى الله عليه وسـلم من نومه فزِعـاً ، محمـراً وجهه هو يقول :**

((لا إله إلا الله ، ويلٌ للعـرب من شـر قد اقـترب ، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه)) وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها .

قال تعـالى **(فـإذا جـاء وعد ربي جعله دكـاء ، وكـان وعد ربي حقا)** فإذا حان موعدهم الحق ، سوّى الله السد بالأرض ، واندفع يأجوج ومأجوج من كل حدَب ينســلون ، أي من كل مرتفع من الأرض ، يسرعون إلى الفساد يموجون في الناس ، فيتلفــون أموالهم وأشياءهم وذلك قبل يوم القيامة ، وبعد المسيح الــدجال . ويختبئ الناس في حصـونهم ويحـترز عيسى عليه السـلام ومعه المؤمنون بالطور إلى أن يقضي هؤلاء الأمم حـاجتهم من الفسـاد والعبث ، ثم يسلط الله عليهم نغَفا في رقابهم وهي طيور تقتلهم ، فتنتن الأرض من روائحهم ، فيرسل الله تعالى مطــراً يغسل به الأرض ، ويطهرها ، ويبـارك فيها ، ويعم الخـير النـاس ، حـتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئـــامَ من النـــاس ، واللقحة من البقر تكفي الفخذ والشاة من الغنم تكفي أهل البيت . وبينماهم كـذلك إذ بعث الله ريحـاً طيبة فتاخـذهم تحت آبـاطهم، فتقبض روح كل

---

[1] **(?) الكهف : 98**

مسلم ويبقى شرار الناس ، يتهارجون تهـارجَ الحمر ، أي يفعلـون الفــواحش علانية كالحيوانــات وعليهم تقــوم الســاعة وقانا الله وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

135- قال تعالى : **((تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ))** [1]

هذا مدْحٌ من الله تعالى لكتابه القرآن بأنه أحسنُ الكلام وأزكـاه ، وأبركه وأهـداه **(الله نـزل أحسن الحـديث كتابـاً متشـابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم)** .
فهل سـمعتم كلامـاً ترجف له الأفئـدة ، وتـدمع عنـده العيـون وتطمئن به القلـوب ؟! إنه كلام الله تعـالى ونـوره وهدايته . به حيـاة النفـوس ، وبه صـلاحها وزكاتها . يغـرس الإيمـان ، ويثبت الأركـان ، ويزيل الأضـغان . ومن عظمته وجلالته **تقشـعر منه جلود الذين يخشون ربهم)** يُحدث في النفس رهبةً شـديدة ، تذكّر بالله وبمراقبته ، وتـذكر بـاليوم الآخـر، وبالجنة والنـار . فهو أحلى كلام وأعظمه وأبهاه .
ولا يحصل هذا الشرف إلا لمن قرأة حق قراءته ، بتحزّن وترسّـل على مكث ، ورتلَه تـــرتيلا ، يتأمل أســـراره ، ويطـــالع عجائبه ، ويرعى وعـده ووعيـده ، قـال تعـالى **(ليدبروا آياته وليتـذكر أولو الباب)** .
وما رُبّيت ولا هـديت النفـوس بمثل كتـاب الله تعـالى **(موعظة من ربكم وشـــفاء لما في الصـــدور)**. فهو كتـــاب التربية والإصـلاح ، ومنهـاج الاسـتقامة والفلاح ، وإننا لننصح المشـتغلين بتربية الجيل ، أن يقرِّبوا هذا الكتاب للناشئة حفظا وعلماً وتـدبراً ، ويـــدعوا وســـائلهم المســـتحدثة وفيها الملوثة ، الـــتي لم تقم اعوجاج الشباب ، ولم تُعلِ همم ، ولم تزكِ قلوبهم ونفوسهم !
بل صـنعت منهم اسـتقامةً جوفـاء ، لا أنفسَـهم حفظـوا ولا أمتهم رعَوا ، فصاروا من جماهير العامة لا في عـير ولا نفـير!! وما ذلك إلا ببعدهم عن القرآن وعدم اتخـاذه واعظا ، واسـتحلائه منهجـاً ، واعتمـاده حاديـاً وموجهـاً ، فأصـيبت النفـوس بما أصـيبت به من فتور وهوان ، وبرودٍ وأسقام ، وتراخٍ وعدم اهتمام .
فـالقرآنَ القـرآنَ يا أهـلَ الإسـلام ، لكي تصـحَ النفـوس وتطهـرَ القلوب وتعلو الهمم والعزائم . فما صلُح السلف ولا سطع نورهم إلا على (مائـدة القـرآن) . عرفـوا قـدره ، ورعـوه حق رعايته ، فجعل منهم أزكى الناس دينا ، وأرقاهم علما ، وأعظمهم تقـوى ، وأشدهم بأساً وجهاداً .
فـأين نحن من القـرآن الـذين لا يعرفه أكثرنا إلا في الصـلاة ، أو الورد الثابت فحسب !! وغفلنا عن قول الله **(إن هذا القــرآن يهدي للتي هي أقوم)** وقوله **(وأوحي إلي هذا القــرآن**

---
[1] **(?) الزمر : 23**

لأنـذركم به ومن بلغ) وقوله **(الله نـزل أحسن الحـديث كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلـود الـذين يخشـون ربهم ، ثم تلين جلـودهم وقلـوبهم إلى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهـدي به من يشـاء من عبـاده ومن يضل الله فماله من هاد) .**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

136- قال تعالى : **((خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ))** [1]

في هذه الدنيا يرتفعُ فئامٌ بأموالهم ، وآخرونَ بمناصبهم ، وآخرون بعلمهم وفضلهم، ولا ثمة مقياس قويم لارتفاع الناس في هذه الحياة الدنيا ، فقد تجد أهل السفه والطياشة فوق الناس في الدنيا ، وتجد أهل الفضل لا يُلتفت إليهم لسبب وآخر ، ولا ضير عليهم في ذلك ، فإن كان لم يعرفهم الناس ، فإن الله عرفهم وعنده تعلو منزلتهم ومكانتهم .
وهذه الدنيا ليست بمستقيمة حتى يعوّلَ عليها ، وهي كما قيل :
واهجر الدنيا فمِن عاداتِها تُخفضُ العالي وتُعلي من سَفَلْ
وإن في الآخرة إذا جاءت الطامة ووقعت الواقعة الصادقة ، ففيها ينكشف الحق وينجلي الصراط المستقيم، ويعلو المؤمنون ، وينخفض المبطلون، وتصبح الأمور في مسارها الصحيح، يحكم الله بالعدل والقسطاس المستقيم، ولا يظلم نفس شيئا ، ولا يرتفع إلا من رفعَ ذِكرَ الله ، وكان به من المؤمنين. وبالواقعة يتميز الأولياء من الأعداء، والسعداء من الأشقياء ، والمتواضعون من المتكبرين، فيصير أولياء الله إلى جنات النعيم ، ويصير أولياء الشياطين إلى دركات الجحيم . كما قال تعالى عن الآخرة **(خافضةٌ رافعة).**
ومن بُخس حقه في الدينا ، وأوذي في الله ، يرفعه الله يوم القيامة ، وينزله منازل الأبرار في الجنان العالية ، قال تعالى **(والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة)** إذ يسطع ميزان الحق فلا يرتقي إلا أصحاب البر والفضيلة ، ويسقط أصحاب الشر والرذيلة. **قال صلى الله عليه وسلم : ((إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين)).**
وإنما ارتفع الأخيار يوم القيامة ، لحسن دينهم واستقامهم وعلو مبادئهم ، وانخفض الأشرار لاستكبارهم وفساد قلوبهم وعقولهم **(ولا يظلم ربك أحداً)** .
وفي الصحيحين دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبي عامر الأشعري فقال : ((اللهم اغفر لعبيدٍ أبي عامر ، اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير خلقك)) .

انتهت الموعظة ، والله تعالى اعلم .

---

[1] **(?) الواقعة : 3**

137- قال تعالى: **(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً)**[1]

ليس النصر بكثرة العـدد ، أو ضـخامة العُـدد . وإنما النصر يكـون بقوة الإيمان ، وصدق التوكل على الله ، إذ النصر من عند الله له الأمر من قبل ومن بعد ، وحين تركن الجنود المسـلمة إلى العـدد والعدة وتغتر بجيوشها ، يبتليها الله ويذيقها مرَّ الفشل والهزيمة . فهاهم المسلمون في غزوة حنين في السـنة الثامنة من الهجـرة واجهوا هوازن بجيش عظيم ، فاغتروا به وأعجبتهم الكثرة ونسوا أن النصر من عند الله وحـده ، وقد كـان ينصـرهم وهم قلة أذلة على الكثرة الكاثرة فانتصـرت عليهم هـوازن في الجولة الأولى ، حيث كمَنوالهم في الوادي ورشقوهم بالنبال ، وأصـلتوا السـيوف فيهم ، وحملـوا حملة رجل واحد كما قـال رئيسـهم ، وكـان الأمر كما قال تعالى **(ويوم حنين إذ أعجبتكم كـثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مـدبرين)** فشـلت الكـثرة ، وضـاقت بهم الأرض الفسـيحة ، وحصل الفـرار والهـرب ، وقد كـان تعـداد الجيش عشـرة آلاف مقاتل ولم يثبت منهم إلا القليل من فضلاء الصحابة ، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم بمفرده مع انكشاف الجيش وتطويق العدو لهم ، وكان يصيح في أصحابه ويذكرهم بالبيعة ويقول :

أنا النبي لا كذبْ أنا ابن عبد المطلبْ

في الصحيحين عن البراء بن عـازب رضي الله عنه أن رجلاً قـال له : يا أبا عمارة أفـررتم عن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يوم حنين ! فقـال ((لكن رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم لم يفر ، إن هـوازن كـانوا قومـاً رمـاة ، فلما لقينـاهم وحملنا عليهم انهزمـوا ، فأقبل النـاس على الغنـائم ، فاسـتقبلونا بالسـهام ، فانهزم الناس ، فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو سفيان بن الحارث آخذ بلجام بغلته البيضاء ، وهو يقول :

أنا النبي لا كذبْ أنا ابن عبد المطلبْ

ولما سـمع النـاس صـوته ، وجهر بـذلك العبـاس رضي الله عنه : أين أصحاب السمرة ، فانعطفوا عليه عَطفـةَ البقر على أولادها ، فقالو : يا لبيك ، يا لبيك ، وكان أكثر النـداء في الأنصـار يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار ، وحينها اشتد القتـال وحمي الـوطيس ، وحصَـبهم رسـول الله ، ونـزل الفتح والنصر ، قـال تعـالى **(ثم أنزل الله سكينته على رسـوله وعلى المؤمـنين وأنـزل**

[1] (?) التوبة : 25

جنــوداً لم تروها ، وعــذب الــذين كفــروا ، وذلك جــزاء الكافرين) .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

138- قال تعالى: **(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً)**[1]
تبين لنا معاشر الإخوان : أن النصر من عند الله ، وأنه ليس بالكثرة ، ولا بقوة العدة ! وليس معنى ذلك ترك الإعداد والاستعداد ، بل يجب على الأمة المسلمة التهيؤ للأعداء من كافة الجهات ، تحقيقاً لقوله تعالى **(وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة)** .
لكن الغلط والشطط أن تتوكل الأمة على هذه القوة وتنسى ربها ونصيرها ، قال تعالى **((إن ينصركم الله فلا غالب لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده))** .
وإنما تنصر الأمة حين تؤمن بربها حق الإيمان ، وتتوكل عليه وحده ، وتؤدي حقه وشرعه ، قال تعالى **((ولينصرن الله من ينصره ، إن الله قوي عزيز))** وقال **((يا أيها الذين آمنوا إن تنصر الله ينصركم ويثبت أقدامكم))** .
وفي غزوة حنين تبين لنا أن الأسباب المادية لا تكفي وحدها في الانتصار ، بل قد تجني على أصحابها إذا اعتمدوا عليها ، كما حصل للمسلمين في أول المعركة ، فامتن الله عليهم بأن أنزل عليهم نصره ، ووحد صفوفهم وأمدهم بجنده وسكينته ، ورد كيد الكافرين في نحورهم .
((لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)) .
وفي هذه الغزوة من الدروس والحِكم : أن النصر من عند الله وحده ، بيده مقاليد كل شئ ، وفيها هوان الأسلحة المادية إذا ركن العباد إليها ، وفيها ابتلاء الله للطوائف المسلمة ليبين صبرهم وجهادهم ، وفيها شجاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشدة بأسه حيث ثبت ولم يفر **وقد قال البراء كما في الصحيحين : (كنا والله إذا احمر البأس نتقي به ، وإنّ الشجاع منا للذي يحاذي به) يعني النبيَ صلى الله عليه وسلم** .
وفيها امتنان الله على عباده المؤمنين بالنصر والتأييد ، وتجاوزه عن زللهم وغفلتهم ، وأن النصر لا يكون إلا لأهل الإيمان الذين توكلوا على الله واعتمدوا عليه **((ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز)) .**

---

[1] **(?) التوبة : 25**

139- قال تعالى : **((لاَ تَحْسَبُوهُ شَراً لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ))** [1]

إن الله تبارك وتعالى لا يقضي لأهل الإيمان إلا خيراً . في السراء يفرحون ويشكرون الله وفي الضراء يحمدون ويصبرون ولا يحزنون من أمر الله وقدره **كما قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إنْ أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) .**

في السنة السادسة من الهجرة وفي غزوة المريسيع وقعت (حادثة الإفك) فكانت بلوى للمؤمنين عامة ، ولعائشة رضي الله عنها خاصة ، قذفت رضي الله عنها بالفاحشة إفكاً وبهتاناً من المنافقين وقلدهم آخرون من المؤمنين ، وامتحن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المحنة بعد أن خاض فيها من خاض ، وامتد البلاء إلى شهر ، وبعد شهر أنزل الله آياتٍ عظيمات كشف بها الإفك المفترى ، وبرأ بها ساحة عائشة رضي الله عنها ، فكانت نعمة عليها وعلى المؤمنين ما بعدها نعمة . قال تعالى **((إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم)) .**

فكانت هذه المحنة برغم ما فيها من أذى وشرور ، خيراً ونعمة من الله ، حصل بها ابتلاء وتمحيص الطائفة المؤمنة ، وتطهير وتزكية لعائشة رضي الله عنها ، وثناء مبارك من الله تعالى ، ولسان صدق في الدنيا وثواب جزيل في الآخرة على الصبر والاحتساب .

ومع استقصاد الإفك بعائشة رضي الله عنها ، ففيه أيضاً استقصاد لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلطيخ عرضه ، وتشويه دعوته ، إذ مكث عليه الصلاة والسلام شهراً كاملاً في غم ونكد حتى استشار صحابته في ذلك **وقال كما في الصحيحين :**

((يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً)) .

وباتت عائشة رضي الله عنها في كرب شديد كما قالت **(لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحلُ بنوم)** ، إلى أن أنزل الله براءتها

---

[1] **(?) النور : 11**

وطهّرها أعظم تطهير ، وأثنى عليها أحسن ثناء ، وكذلك يجزي الله عباده المتقين الصابرين ، فإنها زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة ، وأحب نسائه إليه **. ولعل من دروس هذه المحنة** : أن يعتقد المؤمنون أن الله لا يقدر لهم إلا خيراً **(لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم)** وأن البلايا تنطوي على نِعمٍ وعطايا ، والمهم الصبر والتسليم ، وعدم الجزع والاستعجال . ولو لم يكن في الابتلاء إلا تعلم الصبر واستطعام حلاوته ، لكفي بها نعمة وفضلا ، فالله مع الصابرين بالعناية والرعاية والتأييد .

نسأل الله تعالى من فضله **.**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

140- قال تعالـى : ((وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ)) [1]

إذا نُفخ في الصور وقام الناس من قبورهم ، وسـيقوا جميعـاً إلى أرض المحشر لا نجـاة ولا فـرار ، ولا تخلف ولا اعتـذار !! الجميع يحضرون إلى يوم عظيم لا ريب فيه ، معهم من يسوقهم ويشـهد عليهم ، والله المستعان .
قال تعالى **(وجاءت كل نفس معها سـائق وشـهيد)** ملك يسـوقها إلى المحشر ، وملك يشـهد عليها بالأعمـال . فيا فرحـةَ من جـاء بأعمـال صـالحة مشـرقة ، فتشـرقُ له صـحيفته هنـاك ، ويؤمنه الله شدائد ذلك اليوم ، ويا حسرةَ من جاء بأعمال مظلمة ، فتظلم بها صحيفته ويهلَع من أهوال ذلك اليـوم **(وكان يومـاً على الكافرين عسيرا)** .
قـال صـلى الله عليه وسـلم في ذلك اليـوم **كما في المتفق عليه من حـــديث ابن عمر رضي الله عنهما ((يقـــوم الناس لـرب العـالمين ، حـتى يغيبَ أحـدهم في رَشْـحه إلى أنصاف أذنيه)) . والرشح هو العَرق** .
وفي حديث أبي هريـرة الآخر في الصـحيحين **((يَعرق النـاس يـوم القيامة حـتى يـذهبَ عـرَقُهم في الأرض سـبعين ذراعا ، ويلجمهم حتى يبلُغَ آذانَهم)) .**
فمـاذا أعـددنا يا مسـلمون لـذلك اليـوم العظيم ، وقد طُـوقت النفـوس ، وحضر الشـهود وحيل بين العبد وشـهواته ، وعـاين ما تتقلب منه القلوب والأبصار .
نسأل الله السلامة والعافية ، فاستكثروا يا إخوان من الصـالحات ، وجدّوا في الحسنات ، فإنكم في زمن الفراغ والمهلة ، والكيّس من دانَ نفسَه وحاسبها وعمل لما بعد الموت .
نسأل الله التوفيق والإعانة .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) ق : 21**

141- قال تعالى : **((لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً))** [1]

أيها الإخوة : كذا هي جنات عدن طيبةٌ متلائمة ، لا فيها حر مـزعج ، ولا برد مؤلم **(لا يرون فيها شمساً ولا زمهريرا)** بل هو مـزاج واحد دائم ، يتلـذذون به وينعمـون فيه ، تغشـاهم السـعادة ويغمـــرهم النعيم ، قد اتكـــاؤوا على الأرائك وهي السُـــرر تحت الحجـــال ، قريبة منهم للظلال ، مذللة لهم القطـــوف ، إن قـــام ارتفعت معه بقـدر وإن قعد تـذللت له حـتى ينالها ، وإن اضـطجع تذللت له حتى ينالها كما قال تعـالى **(وذُللت قطوفها تـذليلا)** نسأل الله من فضله .

قال مجاهد إمام التفسير رحمه الله : أرض الجنة من وَرِق ، وترابها المسك ، وأصول شــجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والـورِق ، والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تــؤذه ، ومن أكل منها قاعــداً لم تــؤده ، ومن أكل منها مضطجعاً لم تؤذه .

ثم قــال تعــالى **(ويُطــاف عليهم بآنية من فضة وأكـواب كـانت قـواريرا ، قـواريرا من فضة قـدروها تقـديرا)**

والمعــنى يطــوف عليهم الخــدَم بــأواني الطعــام وهي من فضة وأكواب الشراب كبياض الفضة في صفاء الزجـاج ، شـفافة يُـرى ما في باطنها من ظاهرها وهذا ما لا نظير له .

وهذه الأكواب قد قدرت على قدر الفائزين لا تزيد ولا تنقص ، بل هي معدة لذلك وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والمكانة .

فهــذا نــوع من أنــواع النعيم الكبــير في الجنة ، وفي كتــاب الله أوصاف كثيرة لنعيم المتقين ، يـدرك حلاوته من تأمله وعـاش مع القــرآن تـدبراً وتفهما ، وكـان من أهله القـائمين به ، ومع جميل الأوصـــاف المنقولة في القـــرآن فقد قـــال تعـــالى **(وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون)** .

نسأل الله تعالى أن يبلغنا هذا النعيم العظيم ويجعلنا في عباده المتقين غير خزايا ولا مفتونين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الإنسان : 13**

142- قال تعالى : **((إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ))** [1]
ما أحمله من تعبير ! وما أعظمه من وصف ! يجلّي للناس حقيقة الإيمـان ، ومـدى قـرب المـؤمن من أخيه المـؤمن . فأمة وحـدَّها الإيمـــان ، وقربها القـــرآن . ليس لهم خلق إلا التـــآخي والترابط والتعاضد ، وإن ذلك ليزيد عند القلــوب الحية على إخــوة النسب وإخوة المنافع والمصالح **(إنما المؤمنون إخوة)** .
وهذه الإخوة الإيمانية تقتضي العون والنصرة والتأييد والإشـفاق . **قال عليه الصـلاة والسـلام كما في الصـحيحين ((مثـلُ المؤمــنين في تــوادهم وتــراحمهم وتعــاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشــتكى منه عضو تــداعى له ســائر الجسد بالحمى والسهر)) . وفي الصـحيح ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))** .
وما يحصل الآن في حيـاة النـاس من تنـافر وتبـاغض وعـداوات ، ينـافي الإخـوة الإيمانية ويفتح بابـاً للشـيطان في تمزيق الصف ، وإثارة الفتن والخلافات ، **وقد قال صلى الله عليه وسلم ((بحسب امــرئ من الشر أن يحقر أخــاه المســلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمُه ومالُه وعِرضُــه)) رواه مسلم في صحيحه** .
وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صـلى الله عليه وسـلم **((لا يـؤمن أحـدكم حـتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) وفي الصـحيح ((حق المسـلم ست : إذا لقيتَه فسـلم عليه ، وإذا دعــــاك فأجبه ، وإذا استنصــــحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فاتبعه)) .**

ومثل هذه الخصال إذا وقعت حصل للمجتمع المسلم ترابط وتعارف وتحاب ، وبنقصانها يحصل التباعد والتجافي . والله المستعان .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **الحجرات : 10**

143- قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ)) [1]

كيف يقـدم بعض النـاس على معصـية الله تعـالى ، وقد أمـرهم بالطاعة ؟! لمـاذا نسـوا إحاطته ومراقبته لهم ؟! ولمـاذا نسـوا رجوعهم إليه للحساب والجزاء لا تخفى منهم خافية ؟!

ما غرهم عنـدما نسـوا موعـود الله ، وأقبلـوا على معاصـيه ، وقد أحسن إليهم وأكـرمهم وآتـاهم من الـدنيا ما يشـاؤون **((يا أيها الإنسـان ما غـرك بربك الكـريم))** . لقد غـرَّ الإنسـان بربه جهلُه بالله ، وغره شيطانه ، وغرته شهواته وأمانيه!!

سبحان الله كيف يقابل الـرب الكـريم العظيم بالمعاصي ؟! كيف لا يُطـاع إذا أمر ، ولا يجـاب إذا خـاطب ؟! لقد خـاب وخسر من ضـيّع حق الله تعـالى ، واسـتهان بحسـابه وجزائه . وفي هـذه الموعظة الشـــريفة تهديد من الله تعـــالى لمن يتجاسر على معاصيه ، ويخلد إلى دنياه وهواه ، ولا يبـالي بغضب الله ونقمته **(إن الله عزيز ذو انتقام) .**

ونبّه هنا باسمه (الكريم) لأنه لا يليق أن يُقابل الكـريم بالأفعـال القبيحة ، والخصال السـيئة . فحق الكـريم الإحسـان إليه بالقيـام بحقه ، وأداء عبادته ، وإن الله تعـالى لهو الكـريم ، الـذي يجب على عباده مقابلة بره ، بالانقياد لشرعه ، والإحسان في طاعته .

وليس أنه أتى بالكريم هنا ليلقن العبد الإجابة بقوله غرني كرمه ، كما يقوله بعض من لا علم له !

بل المـراد هنا تهديد العبـاد وتخـويفهم ، وألا يعتـبروا بـأهوائهم وأمانيهم . فالله محيط بهم ورقيب عليهم ، وحقه القيـام بشـرعه ، وأداء ما افترضه عليهم ، فمن أحسن فلنفسه ، ومن أسـاء فعليها ، ولا يظلم ربك أحدا .

انتهت الموعظة ، والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) الإنفطار : 6

144-قال تعالى:(**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ**)[1]

أيها الإخوة : إنما يُمدح ويشاد بأهل الهمم العالية، والعزائم المتوقدة التي لا تعرف جبناً ولا تعيش ركوداً ! من لا يخيفهم الأعداء، ولا ترهبهم الأرزاء. كالمستجيبين لله ورسوله الذين إذا سمعوا داعي الله تأهبوا، وإذا أُمروا فعلوا . لا يمنعهم مانع ، ولا يصرفهم صارف ، قد احتسبوا أنفسهم لله تعالى ، لا يخافون فيه لومة لائم .

وكان أول المستجيبين صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أصابهم الأعداء ، ونالتهم السيوف ، وأثخنتهم الجراح فلم يضعفوا ولم يشكوا رضي الله تعالى عنهم كما قال تعالى **(الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح)** .

ولذلك شواهد كثيرة في تاريخنا الإسلامي . فمنه ما جرى عقب غزوة أحد ، وقد حصل للمسلمين ما حصل من الجراح والمتاعب . فقد ندبهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخروج إلى حمراء الأسد عند ما بلغه مقالة المشركين (لا محمداً قتلتم ، ولا الكواعب أردفتم ، بئسما صنعتم ارجعوا) فخرج الصحابة الكرام طاعة لله ورسوله رغم القرح الذي أصابهم ، والبلاء الذي بهم ، ولم يتخلف منهم أحد . فأثنى الله تعالى عليهم ومدحهم باستجابتهم وجهادهم وقال : **(للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم)** ولم يحصل عندها قتال ، إنما حصل لجيش المشركين رعبٌ ومخافة، وعلموا أن في المسلمين قوةً وجلداً وشجاعة .

وقد قالوا لما خوفوا بجموع المشركين **(حسبنا الله ونعم الوكيل) (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله ، والله ذو فضل عظيم) .**

روى الشيخان عن عروة رحمه الله قال : قالت لي عائشة : (أبواكَ من الذي استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح) تعني أبا بكر والزبير رضي الله عنهما .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] **(?) آل عمران : 172**

145- قال تعالى : **((ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ))** [1]

يُلهي الأمل كثيراً من الخلائق عن التفكر في حالهم ومآلهم ، وهو من صفات الذين كفروا. وقـبيحٌ أن يُقـذفَ حبه في الـذين آمنـوا، فيصيبون من الدنيا زهرتها وحلاوتها، ويتعلقـون بطـول الأمل فيها فينسون الله والدار الآخرة !!

يُلهي الأمل عن ذكر المـــوت ، ويلهي عن التوبة والإنابة ، ويلهي عن طاعة الله وذكـره، ويـورث للعبد تعلقا بالـدنيا وزينتها وطـول البقاء فيها ، فليس بصفة محمودة لأهل الإيمان ، وقد آمنــوا بالله وبوعده ووعيده . وقد عيّر الله به أقواماً ودوا لو كانوا مسلمين .

(ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون) سوف يعلمون عاقبة أمرهم وما حَلّ بهم من الغفلة وشدة التعلق بالأمل في الدنيا إذا رأوا أهل النعيم في نعميهم ، وأهل البؤس في بؤسهم والله المستعان .

وإن مما يتأكد في حق أهل الإيمــان أن يكونــوا محــدودي الأمل ، لأنه باب وسيع إلى الدنيا والانغمــاس فيها ، وقد لا يُـنزع من قلب العبد إذا تعلَّق به ، وهو علامة النسيان ، وطريق الغفلة عن تـذكر اليوم الآخر ، والاستعداد له .

وقد قــال صــلى الله عليه وســلم في الوصــية النافعة لابن عمر رضي الله عنهما : ((كن في الــــــدنيا كأنك غــريب أو عــابر ســبيل)) وكــان ابن عمر يقــول : إذا امســـيتَ فلا تنتظر الصـــباح وإذا أصـــبحت فلا تنتظر المســاء , وخذ من صـحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك)) . أخرجه البخاري في صحيحه .

فاحــذروا يامســلمون التعلق بالــدنيا فهي مــادة الأمل وبريــده ، وبسببها يشقى العبد ، ويغفل عن طاعة ربه .

تم الكلام ، والله تعالى أعلم

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) الحجر : 3

146- قال تعالى : **((إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ))** **(1)**

يُشـيّد ابنُ آدم في الـدنيا القصـور فتبلى ، ويسـتمتع بالملـذات فتفـنى ، ويـأتي المبـاهج والمسـرات فـتزول ، حين تحين سـاعة زوالها وانصرافها **(ما عندكم ينفد) .**
وقـال عليه الصـلاة والسـلام (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) أخرجاه في الصحيحين .
أما جنـات النعيم ، وقد خلقها الله ، وهيأها لعبـاده ، وأدام رزقها وحسنها ، فإنها لا تفنى ولا تبيد كما قال **(إن هذا لرزقنا ما له من نفـاد)** إن نفـدت أرزاقكم فـرزق الله لا ينفد وإن انتهت ملذاتكم ، فملذات الجنة خالدة دائمة **(عطاء غير مجذوذ)** أي غير منقوص . **(إن هذا لرزقنا ما له من نفـاد)** كيف ينتهي رزق وهبه أكـرم الأكـرمين لعبـادة ؟! وكيف تفـنى لـذة تمم الله خلقها وزاد في سحرها وحلاوتها ؟!
(إن هذا لرزقنا ما له من نفاد) تام بلا نقصان ، وصـافٍ بلا تغـير . وطيب بلا تكـدير ، وقـال تعـالى ليزيد في حسـنها ويحقر أصـحاب الهمم إليها **(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعلمون) .**
ومن عـرف قـدر هـذه النعمة الدائمة ، والسـلعة الغالية ، سـعى إليها سعي الجادين الأبطال الذين لا تلهيهم الدنيا ولا تغرهم زينتها كما قال ابن رواحة رضي الله عنه مثبتاً في النـاس **في مؤته :**
(يا قوم والله إن التي تكرهون للتي خرجتم تطلبـون ، الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كـثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الـدين الـذي أكـرمن الله به فـانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة).
وكما قـال حـرام بن ملحـان رضي الله عنه في حادثة بـئر معونة ليـبين للنـاس الفـوز الحقيقي ، والسـعادة الدائمة ، قـال عنـدما طعنه المشرك من خلفه **(الله أكبر فـزتُ وربِّ الكعبة)** إنه الفـوز بالجنة العالية وبـالنعيم الخالد **(وفيها ما تشـتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالـدون ، وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعلمون).**
نسأل الله تعالى من فضله .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) ص : 54**

147- قـــــال تعالـى : **((فَهِيَ كَالْحِجَــــارَةِ أَوْ أَشَــــدُّ قَسْوَةً))** [1]

هل يمكن لقلب ابن آدم أن يكـــون كالحجـــارة الصـــماء ، لا تلين للمواعظ ، ولا تخشع للآيـــات بل هي جامـــدة قاســـية ؟! نعم قد تصير قلـوب بعض النـاس كالحجـارة في عـدم الانتفـاع ، بل أشد من الحجارة قسوة وجموداً وضلالا ، نعوذ بالله من ذلك .

وهذا ما قضـاه الله تعـالى على بـني إسـرائيل ، وقد شـاهدوا من الآيات الباهرة ، والأدلة الساطعة كإحياء الموتى وأشـباهها ما فيه موعظة لهم لو كانوا يعقلون ، وما فيه هداية لهم لو كانوا يؤمنون . ولكن دهى القلوبَ قسوة شديدةٌ ، صيرتها حجارة صلدة لا تلين ولا تخشع !!

وهكـذا كل مسـتكبر عن آيـات الله ، مقبل على معاصـيه ، مائل للدنيا ، قد تجتاح قلبه قسوةٌ صلبة تحول دون ولوج المواعظ فيه ، وتمنع كل آية يستنير بها . ولا أضرَّ على العبد من أن يصـاب في قلبه **فقد قـال صـلى الله عليه وسـلم كما في المتفق عليه ((ألا وإن في الجسد مضـــغة إذا صـــلحت صـــلح الجسد كله ، وإذا فســـــدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)) .**

وقد حذر الله عباده المؤمنين أن يكون حالهم كحـال أهل الكتـاب عند رؤية الآيات المعجزات . قال تعالى **(ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلــوبهم لــذكر الله وما نــزل من الحق ، ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) .**

قال ابن مسعود رضي الله عنه كما في صحيح مسلم (ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلـوبهم لـذكر الله) الآية إلا أربعُ سنين) .

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يُسمع .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

[1] (?) البقرة : 74

148- قال تعالى : **((وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً))** [1]

في هـذه العصـور ومع تطـور الحضـارة الغربية ، وفي ظل هـوان الأمة الإسلامية ، لا حل لمشكلات هذه الحضـارة إلا في (الإسـلام) ودين الله الخالد ، ومنهاجه الحق الصـحيح . فهــذه الحضــارة الغربية المتوهجة لم تعالج مشكلات الإنسان ، ولم تصـلح خـواءه الــروحي ، بل رقّته وطورته ونعمّته حــتى أوصــلته إلى (حيــاة بهيمية) يمــارس فيها ما شــاء واشــتهى !! وصــار إلى حضــارة ممتـدة ، بلا دين يـأوي ويحن إليه ، فنتج عن ذلك أسـقام فتاكة لا خلاص لهــذه الأمم منها إلا بــالعودة للــدين الحق ، وليس الــدين المصــنوع المحــرف ! ومن هــذه الأســقام : الانحــراف عن خط العبودية لله وعبادة الهوى ، أي الكفر بالله تعالى وبــاليوم الآخر ، والظلم والعـــــدوان المستشـــــري ، والانحـــــراف الأخلاقي ، والصــراعات المــدمرة والقلق والأمــراض النفســية المتواصــلة وعماية العقول عن سبيلها الصحيح .

والإسلام هو (البديل) لهذه الحضـارات الفاسـدة ، فهو قـدر الله تعالى واختياره ، وحنين الملايين إليه ، ليصـلح نفوسـهم ، ويغـذي أرواحهم ، ويكســبهم الحيــاة الطيبة الســعيدة **(ورضــيت لكم الإسـلام دينا)** اختـاره الله لنا وأحبه ورضـيه ، وبه تمت النعمة وكمل التشريع وفاض الخير واتسع ، قال تعالى **(اليومَ أكملت لكم دينكم وأتمت عليكم نعمـتي ورضـيت لكم الإسـلام دينا) .**

ولو أنصف الغـرب الكـافر لعلم أن الإسـلام هو صـلاح البشـرية ، وفلاح العـالم وبه هداية الخلق أجمعين ، فهو رحمتهم وسـعادتهم وبه انتشالهم من كل الأضرار والأسقام .

ولكنهم يستكبرون حقداً وحنَقا ، أن يكون الشـرف لهـذا الـدين ، وتكون القيادة للأمة المسلمة ولرسـولها الأعظم صـلى الله عليه وسلم !! ولا يجنون إلا على أنفسهم ، ولا يقتلون إلا أرواحهم .

قال صلى الله عليه وسلم : ((لا يسمع بي يهــودي ولا نصراني ، ثم لا يؤمن بي، إلا كبّه الله في النار)) .

تم الكلام ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) **المائدة : 3**

149- قال تعالى:**(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)**[1]

يكاد اليهود - عليهم لعائن الله - المتتالية ، يذوبون حنقًا وحقداً على هذه الأمة الإسلامية المباركة لإسلامها ، واصطفاء الله لها واجتماع الفضائل فيها ، فهم لا يبرحون عن حربها ، وتسليط السهام عليها ، فهم أخبث هذه الأمم على وجه الأرض ، وأكثرها ضرراً وإفساداً .
حرَّفوا كلام الله ، وقتلوا كثيراً من الأنبياء والمصلحين ، واستحلوا الحرمات ، وحاولوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ، وسموه وسحروه ، وألبوا عليه أشباههم من المشركين ، قبحهم الله تعالى ، فهم أعداؤنا الألداء ، وخصومنا الفجار!
ولا يزالون ينهشون في جسد هذه الأمة ، لفصلها عن دينها ، وتجريدها من إيمانها، لتصبح أمة بلا دين ولا إيمان ، تجري وراء الشهوة واللذة والتفاهة !!!
فمتى يا مسلمون ندرك خطورة هؤلاء الأعداء ؟! ونصغي لهذا الخطاب الصريح **(لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود)** وجدير بمن يُحذَّر من عدو خبيث، أن يتخذ له عدته ويحذر شره ، لا سيما وأن خصمه يرى عداوته الدائمة ، وبغضه المستديم كما قال تعالى **(ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)** وفي خصمه هذا تسري عقيدة الغرور والاستعلاء بأنهم شعب الله المختار، ويَسري فيهم الحقد الدفين على أعدائهم (الأمميين) وهم من عدا اليهود ، فلا ينتهون من حرب هؤلاء الأميين وإفساد عقائدهم وأخلاقهم واستحمارهم مدى الحياه كما تقول بعض كتبهم (الأمميون هم الحمير الذين خلقهم الله ، ليركبهم شعب الله المختار ، وكلما نفقَ منهم حمار ركبنا حماراً آخر) .
هكذا عداوتهم لسائر الأمم ، ولأمتنا تبرز العداوة وتشتد ، فيجب على أهل الإسلام الاستيقاظ لهذا العدو اللدود ، والتأهب للملحمة المنتظرة التي أعلنها رسولنا الله صلى الله عليه وسلم بقوله **كما في الصحيحين (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلونهم حتى يختفي اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر والشجر ، يامسلم ، يا عبدالله! هذا يهودي خلفي تعالَ فاقتله ، إلا الغرقَد فإنه من شجرة اليهود) .**
ومن العجيب أن اليهود يدركون هذه (الملحمة الخطرة) ويعلمون صحة هذا الحديث ، فهم يتحالفون مع النصارى لإبادة

---
[1] **(?) المائدة : 82**

الإسلام ، ويكـثرون من زراعة شـجر الغرقد في فلسـطين طلبـاً للنجاة والحماية .
ولكن الله غـالب على أمـره سـيعز جنـده ، ويخـذل أعـداءه ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

150- قال تعالـى : **((وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ))** [1]

يتجمل الناس في ملابسهم ، ويعتنون بمظاهرهم ! ولا بأس بذلك في حدود المعقـول ، لكنهم يغفلُـون في هـذا الجـانب عن لبـاس آخر سامٍ ، وحلة غراء قشيبة ! من ارتداها قد ارتدى الجمال كله ، وحاز الحسن جميعه ، إنه لباس التقوى **(ولباس التقوى ذلك خـير)** هو خـير من مظهر أخـاذ بلا مخـبرٍ سـليم ، وهو خـير من جمال بارز بلا خشية باطنة .
(ولباس التقوى ذلك خير لعلهم يذكرون) .
ولبـاس التقـوى يكمن في إيمـان صـحيح قد تـزين بخشـية الله ، ليفيض الأعمـال الصـالحة ، وينشر الهـدي الحسن ، متـقٍ لربه وخائف من عذابه ، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه .
ليسوقه لباس التقوى إلى تعظيم الله تعالى وتوحيده والمحافظة على الفرائض ، واللهج بالأذكار وإدامة التوبة والاستغفار، فهو في جنة بهيجة ، يتردد في ظلالها وأفنانها .
ومن تقـواه تحليه بـالأخلاق الفاضـلة والآداب الحسـنة ، فلا يقسو ولا يتكبر ولا يهذي ولا يتعالى ، ولا يقول إلا خيراً .
قد ارتدى لبـاس التقـوى في سـره وعلانيته ، وحضـره وسـفره ، وعزلته وخلطتة مستحضـراً **قـول النـبي صـلى الله عليه وسـلم (اتق الله حينما كنت ، وأتبع السـيئةَ الحسـنة تمحها ، وخالقِ الناسَ بخلق حسن) .**
وبتقـوى الله تزكو النفس ، وتثبت على الحق ، وتفيض الخـير ، وتسـلم الفتن والبليـات ، ويحصل الأرزاق والهبـات . قـال تعـالى **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب) .**
لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكـرم النـاس قـال ((أتقـاهم)) كما في الصـحيحين ، وفي الكتـاب العزيز (إن أكـرمكم عند الله أتقـاكم) ، ومنـازل المتقين في الآخرة من أعلا المنـازل وأسـماها . والله الموفق .
اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الأعراف : 26**

151- قال تعالى : **((فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم)) (1)**

أيها الإخوة : ما كانت المبادئ لتُشترى بالأموال ! ولا لزينة الدين والعلم أن تتلوث بأوساخ الدنيا من الهدايا والتحف والمغريات !
إن أهل العلم والإيمان يشمخون بإيمانهم , ويعتزون بعقيدتهم , ولا يساومون في مبادئهم وأخلاقهم **((فما آتاني الله خير مما آتاكم))** لقد آتاهم الله ما هو أعظم من الدنيا واسترعاهم عليه ، فكيف يرخصونه لحطام زائف ، أو لمتاع مهين ؟ !
وقد ابتلي بذلك سليمان عليه السلام من قبل ملكة سبأ بلقيس ، عندما كتب إليها بالإسلام ، فاستشارت الملأ من قومها ، فأظهروا لها قوتهم وشدة بأسهم ، ثم فوضوا الأمر إليها فقالت كما قصَّ الله تبارك وتعالى **(إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون ، وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون)** .
أرسلت إليه تختبره بهذه الهدية ، وهي هدية عظيمة قيل إنها آنية من ذهب وقيل غير ذلك ، وقد قالت لقومها : إنْ قَبِل الهدية فهو ملك فقاتلوه ، وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه .
فلما علم سليمان بأمرها ، وما استقصدته به ، حالَ إيمانُه وتقواه عن قبول الهدية ، لأنها تساومه بها على تركهم مشركين وضالين ، يسجدون للشمس من دون الله تعالى . فلم يلتفت لهذه الهدية وأعرض عنها وقال **(أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون ، إرجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون)** . ما أعطى الله سليمان من الملك والمال والجنود خير مما هم فيه ، فكيف يصانعونه بذلك؟!
وأمر سليمان عليه السلام بإرجاع هديتهم إليهم ، وعزم على قتالهم وكسر شوكتهم . فلما بلغها الخبر وأتتها الرسل بالهدية سمعت وأطاعت ، وأقبلت هي وجنودها خاضعة ذليلة ، فاستبشر سليمان عليه السلام بذلك وسرّه . **وفي هذه القصة من الفوائد والعبر :** أن المبادئ الحقة غير قابلة للمساومة بحطام الدنيا عند أهلها القائمين بها ، وأن الأنبياء وورثتهم من أهل العلم والهدى عرضة للابتلاء بمثل ذلك فليعرضوا ويصبروا ، ومنها شرف سليمان عليه السلام واستغناؤه بنعمة الله عليه عن أوساخ الناس , وشدته في أمر الله تعالى ، ومنها أن العالم إذا

---

[1] **(?) النمل : 36**

تلقف الهدايا والعطيات كان ذلك سبباً في إضعاف كلمته ، وكـان مــدخلا للطعن فيه وفي نيته ومن ثم اســتهانة النــاس به وبعلمه والجزاء من جنس العمل .

تمت الموعظة ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

152- قال تعالى : ((عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)) [1]

شرَّف ربنا تبارك وتعالى رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم (بمقامات عظيمة) في الدنيا والآخرة ، ومن أجلها ما يكون في الآخرة من قيامه المقام المحمود ، وهو الشفاعة العظمى في أهل الموقف ليفرج الله عنهم كربة ذلك اليوم ، ويكون القضاء والحساب .

(ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) أي افعل ما أمرناك به لنقيمكَ يوم القيامة مقاماً محموداً ، يحمدك فيه الخلائق كلهم ، وهذا قول أكثر أهل التفسير ، وهو الغاية في الشرف والعظمة ، وذلك أن الناس يُكرَبون من شدة ذلك اليوم وهم ينتظرون القضاء ، فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا !

وفي رواية (يقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه ؟ ألا ترون ما قد بلغَكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم ؟) فيأتون آدم ونوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام ، وكلٌ يقول لست لها ، نفسي ، نفسي !

فيُرشَدون إلى نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم فيقولون (أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا ترى ما قد بلغَنا ؟ **فيقول عليه الصلاة والسلام** :

(أنا لها ، فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ، ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده والثناء عليه لم يفتحه لأحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ارفع رأسك ، سل تعطَه ، اشفع تشَّفع ، فأرفع رأسي فأقول : يا رب أمتي ، أمتي فيقال : يا محمد أدخِلِ الجنةَ من أمتك ، من لا حساب عليه ، من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب) . رواه الشيخان وغيرهما .

ولا ريب أن هذا هو المقام المحمود الذي يحمده الناس عليه يوم القيامة ، وبه يشرفُ على سائر الخلق حتى الأنبياء ، وقد صدّره بقوله **(أنا سيد ولد أدم يوم القيامة ولا فخر) وفي لفظ (أنا سيد الناس يوم القيامة)** وبهذا المقام ينكشف الكرب عن الناس ، وينزل الله تعالى لفصل القضاء ، ويظهر في

---

[1] **(?) الإسراء : 79**

هــذا المقــام عناية الله به ومحبته له وإلهامه من ذكــره وحمــده وإجابة مسألته ، وفيه شفقة النبي صــلى الله عليه وســلم بأمته ، وخوفه عليهم من شرور ذلك اليوم .

نسأل الله السلامة والعافية .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

153- قال تعالى : **((وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى))** [1]

يُزحزِح اللهُ تعالى عن نار جهنم الأتقياءَ الأصفياء الذين راقبوا الله في حياتهم ، وعبدوه حق عبادته ، وأدوا واجباته وفرائضه ، وكانوا في الخيرات مسارعين ، وعن السيئات مجانبين . فالنار ليست سبيلهم وليست داراً لهم ، تقواهم صادقة ، وأعمالهم الصالحة . قال تعالى **(وسيجنبها الأتقى)** أي بفضل تقواه جُنب وأُبعد عن النار .

ومن أوصاف هذا الأتقى الفاضل ، أنه باذل للمال في أبوابه ، لا يبخل ، ولا يشح به ، إذا رأى الكريم أكرمه ، وأن رأى المحتاج ساعده ، أو المنكوب أعانه .

وكل ذلك لكي يزكو ماله وينجو ، ويُضاعَف ثوابه عند الله تعالى ، فهو يوقنُ أن واهبَ المال ربه تعالى ، وسيضاعف له أضعافاً كثيرة ،ويهبه فوائد جسيمة كما قال في الحديث **(ابنَ آدم أنفِق أُنفقْ عليك**) وقال تعالى **(وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين) .**

ويوقنُ هذا الأتقى الصالح أن الصدقة لا تأكل المال بل تزيده وتثريه وتنميه **كما جاء في الحديث الصحيح (ما نقصت صدقة من مال)** وتعود هذه الصدقة على صاحبها بالنور والحياة والبهجة . **(وسيجنبها الأتقى ، الذي يؤتي ماله يتزكى).**

وهذا الأتقى سابقُ بالاحسان ، سخيٌ به ، لا يبذله مكافأة لنعمة ، أو ليمحوَ به سوأه، أو يطلب به سمعة ، بل يبذله تقوى وحباً وانشراحا قال تعالى **(وما لأحد عنده من نعمة تجزى) .**وهذه المنزلة الشريفة بلغها فضلاء الصحابة كأبي بكر الصديق رضي الله عنه بل حكي الإجماع أن هذه الآيات نازلة فيه ، وهو خليق بذلك لما علم من سابقة إيمانه ، وطيب معدنه ، وجوده بماله فقد كان جواداً محسناً بالمال في سبيل الله يُكرم المحتاجين ، ويعتق الأرقاء ، بل امتد إحسانه إلى رؤوس الناس وساداتهم وهذا ما شهد به عروة بن مسعود الثقفي يوم صلح الحديبية قال : (لولا يدٌ لك عندي لك لم أجزك بها لأجبتك) وكان أبو بكر قد أغلظ له في القول. **ومن مناقب أبي بكر رضي الله عنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين (إن أمنَّ الناس علي في ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلا)** .
والآية تشمله وغيره .

---

[1] **(?) الليل : 17**

انتهت الموعظة والله الموفق .

صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

154 قال تعالى : **((وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ))** [1]

عظيمٌ شأن أولئك المؤمنين الأخيار ، الذين رفعَهم الإيمان ، وطهر قلوبهم القرآن ، واستقَوا من معين رسولهم صلى الله عليه وسلم في أدبه وحلمه وصفحه ، فلا تسوقهم الأحقاد في خصوماتهم ، ولا يستجرهم الانتقام ليوقعهم في الفتن والمحن ! بل يتجاوزون ويعفون ويصلحون ، كما قال تعالى في هذا الوصف لأهل الإيمان :

(وإذا ما غضبوا هم يغفرون) من طبيعتهم العفو والسماح والتجاوز والصفح كما قد كان هذا ديدن رسولنا صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الناس . قالت عائشة رضي الله عنها كما في المتفق عليه **(وما انتقمِ رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تُنتهكَ حرمةُ الله عزوجل ، فينتقم لله عزوجل) .**

وقال تعالى **(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)** وفي الحديث الصحيح قال عليه الصلاة والسلام **((وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا))** وفي الحديث الآخر **(ليس الشديد بالصُّرَعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) أخرجاه .**

وهذا العفو والصفح من هؤلاء الأخيار ، إنما هو في شئونهم الخاصة التي لا تمس حرمات الله ، وأما الغضب لله إذا انتهكت حرماته فواجب ، وإنكاره متعين على من قدَر عليه ، ولو ببغضه وهجره وعدم مخالطته . وقد قال تعالى **(ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) .**

تم الكلام ، والله الموفق .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الشورى : 37**

155- قال تعالـى : **((وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ))** [1]

من آيات الله تعالى الدالة على عظمته وكمـال قدرته في خلقه ، ما جعله فيهم من صــفة النــوم في الليل والنهــارِ ، وفيه تحصل الراحة ويســكن العبد ، ويــذهبُ ما بِه من تعب وكَلال . وبــالنوم يسـتجمع المسـلم قـواه للعبـادة وللسـعي في طلب الـرزق في النهار .

وهـذه الآية العجيبة من الله تعـالى في عبـاده لا تسـتطاب إلا إذا كانت في وقتها ، واستحضر المسلم قبلها الأذكـار الـواردة وتوضأ وأحسنَ الوضوء ، وكان على جنبه الأيمن ، وقد يوفقه الله تعـالى إلى ما يسـلو به في نومه وارتياحه ، ويكـون بشـرى له في حياته من المـرائي الحسـنة ، كما في صـحيح البخـاري عن أبي هريـرة رضي الله عنه قال : سمعت رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم يقول : **((لم يبق من النبوة إلا المبشرات)) قالوا : وما المبشرات ؟ قال : ((الرؤيا الصالحة)) .**

فإذا رأى المسـلم ما يحب فليحمد الله عليها ، ولا يقصـها إلا على عـــالم أو محب ، وإذا رأى ما يكـــره فإنما هي من الشـــيطان ، فليستعذ من شرها ، وينفث عن شماله ثلاثا ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضـره بـإذن الواحد الأحد سـبحانه وتعـالى كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة .

ومما ورد أيضاً أن يتحول الإنسان عن جنبه الذي كـان عليه ، وإن توضأ وصلى فهو حسن كما قد صح ذلك .

وبتأمل الإنسان لآية المنام يدرك ضعفه ، وحاجته إلى الله تعــالى فيــدعوه ، ويســأله الحفظ من كل مكــروه ، وبهــذه الآية يــؤمن بقيومية الله وحــده ، وأنه لا ينــام ولا ينبغي له أن ينــام ســبحانه وتعالى **(الله لا إله إلا هو الحي القيـوم ، لا تأخـذه سـنة ولا نوم).**

اللهم أحينا مسلمين ، وتوفنا مسلمين ، وألحقنا بالصالحين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الروم : 23**

156- قال تعالى:**((وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ))** [1]

من الطـوام المنتشـرة في حيـاة المسـلمين , تعلقهم بالسـحرة والكهان والمنجمين ، واعتقاد أن عنـدهم شـيئا من العلم والفهم، أو يقدرون على الشـفاء أو العـون والمسـاعدة !! وما أتي هـؤلاء العوام إلا من ضعف إيمانهم وقلة فقههم ، وإلا فالشـافي هو الله ، وهو وحـده المعين وهو العليم الخبـير تبـارك وتعـالى **(قل لا يعلم من في السـموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون) .**
وهـؤلاء السـحرة والعرافـون هم في الحقيقة كـذابون دجـالون يتعاطون السـحر ، ويـدَّعون علم الغيب وليسـوا بشئ ، وقد مكر بهم ، وزين لهم باطلهم الشـياطين ، الـتي أطاعوها من دون الله وهي لا تعينهم حتى يكفروا بالله العظيم كما قـال تعـالى : **(وما يعلمـان من أحد حـتى يقـولا إنما نحن فتنة فلا تكفر)** وكلما كان كفر الساحر شديداً كان سحره أشد.
قال صلى الله عليه وسلم كما في الصـحيحين من حـديث عائشة رضي الله عنها ، وقد سأله أناس عن الكهان فقال :
((**ليسـوا بشئ**)) فقـالوا : يارسـول الله إنهم يحـدثوننا أحيانا بشئ فيكون حقا ؟ فقال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : ((**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجـني ، فيقرها في أذن وليه ، فيخلطون معها مائة كذبة**)) .
فلا يغـتر المـؤمن بإصـابتهم بعض الأحيـان ، فإنما هو من عـون الشـياطين لهم . قـال تعـالى **(ولكن الشـياطين كفـروا يعلمـون النـاس السـحر)** وهو من مكر الله بهم وليحـذر المؤمن من الذهاب إليهم أو يصدقهم حـتى يسـلم له دينه وتبقى له استقامته .
فقد قال صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم **(من أتى عرافا فسـأله عن شئ ، فصـدقه ، لم تقبل له صـلاة أربعين يوما) وقد عد صلى الله عليه وسلم السحر من السبع الموبقات المهلكات** ، وقال كما في حديث آخر صحيح **((من أتى كاهناً أو عرافاً فصـدقه بما يقـول فقد كفر بما أنزل على محمد)) .**

---

[1] **(?) البقرة : 102**

وليلجأ المـــــؤمن إلى الله في شــــفاء مريضه أو طلب حاجته ، وليصبر على ما يأتيه ، فالله لا يقضي للمؤمن إلا خيرا ، وقد قـال **(ادعوني أستجب لكم) .**

تم الكلام والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

157- قال تعالى : (**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً**)[1]

إن النفــوس المؤمنة الطــاهرة إذا ســمعت آيــات الله وذكــره , خضعت واستكانت لله تعالى ، وفاضت عيونها من خشية الله كما هو حال أنبياء الله وأتبــاعهم الصــالحين **(إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكيـا)** يسـجدون تعظيما للـه، ويبكـون خشية منه وشوقا إليه ، وأولئك هم المؤمنون والمتــدبرون لكتابه . وقد أثنى الله على ذلك فقال :

(ويخرون للأذقان يبكون ويزيـدهم خشـوعا) كيف لقلبٍ يسمع الآيات ، ويرى الـبراهين ولا يبكي من خشـية الله ؟! **(ألم يأن للذين آمنـوا أن تخشع قلـوبهم لـذكر الله وما نـزل من الحق) .**

لقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم يبكي لسماع الآيـات ، **وكـان إذا صلّى لجوفه أزيزٌ كـأزيز المرجل من البكـاء** ، وخطب في صحابته يومًا خطبة عظيمة ، قال أنس : ما سمعت مثلها قط ، قال :

((لو تعلمـون ما أعلم لضـحكتم قليلاً ولبكيتم كثـيرا)) فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم وجـوههم ولهم خَـنين)) أخرجــاه في الصـحيحين ، والخــنين : البكــاء مع غنّة ، وانتشاق الصوت من الأنف .

كيف يرتل القرآن أقوامٌ ، ويصلون به ، ويخطبون به ، ولا يتأثرون عند سماعه ، ولا يرقون من آياته ودلائله ؟! إن هــذا لشئ عجيب ! قـــالت عائشة رضي الله عنها في أبي بكر رضي الله عنه(**أن أبا بكر رجلٌ رقيق ، إذا قرأ القرآن غلبه البكـاء)** وهكـذا كان دأب السلف الصالح معظمين للآيات ، باكين عندها ، يخشون الآخرة ، ويرجون رحمة الله تعالى.

روى البخـاري في صـحيحه عن عبـدالرحمن بن عـوف رضي الله عنه أنه أُتي بطعام وكان صائما ، فقال :

قُتل مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وهو خـير مـني ، فلم يوجد ما يُكفَّن فيه إلا بـــــــردة إن غطّي بها رأسه بدت رجلاه وإن غُطي بها رجلاه بدا رأسُه ، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط ـ أو قال أعطينا من الدنيا ما أعطينا ــ وقد خشــينا أن تكــون حســناتنا عُجِّلت لنا . ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام .

---

[1] (?) مريم : 58

اللهم اجعلنا لك ذاكرين ، لك خاشعين إليك أواهين منيبين .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

158- قال تعالى:**(وَلاَ تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً)**[1]

إنه لمن الشـــقاء أن ينقلب المـــرء بعد هداية الله ، وبعد رؤيته الآيات ، واستغراقه في أبواب الخير مدةً من الزمان !! فيبدو بعد الصلاح مقصراً ، وبعد المحافظة مضيعا ، وبعد المسارعة كسـولا ! كـــالتي نقضت غزلها من بعد قـــوة أنكاثا ! دأبت في العمل واجتهـدت حـتى حسن غزلها ثم قـامت ونقضـته ! وقد حـذر الله عبــاده من نقض العهــود والمواثيق ، وأمــرهم بالوفــاء بها وقد عقـدوها وعاهـدوا عليها . وشـبه من ينقض عهـده بعد توكيـده ، كالتي نقضت غزلها بعد إبرامه وقد قيل إنها امرأة خرقـاء كـانت بمكة كلما غـزلت شـيئاً نقضـته بعد إبرامه . قـال تعـالى **(ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قـوة أنكاثا تتخـذون أيمانكم دخلاً بينكم)** .

وعلى كلٍ فالمراد المحافظة على الهدى والاسـتقامة ، وألا يبـدل الإنسان خيره ، أو يتقاعس فيما كان يسارع فيه ، وقد كان النـبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ من الحَـور بعد الكَـور ، وهو التغـير من الخير إلى الشر . وقال لعبد الله بن عمرو بن العاصِ كما في الصـحيحين **((يا عبدَ الله لا تكن مثـلَ فلان ، كـانَ يقـوم الليل فترك قيام الليل))** .

ولينظر المســـلم من أين أُتي ؟ وكيف انتقض غزله بعد إبرامه ؟ وساءت حاله بعد حسنها ؟ فإن لذلك أسباباً كعدم صفاء الطوية ، وعــدم محاسـبه النفس واسـترخاص المعاصي كـالنظر الحـرام والسماع الحــرام ، ومخالطة أهلها ، والمبالغة في إعطـاء النفس حظوظها .

أجارنا الله وإياكم من الفتن ، وثبتنا على دينه حتى نلقاه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) النحل : 92**

159- قال تعالـى: **((وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ))** [1]

إن العاقل ليعجب من أناس بذلوا ألسـنتهم في الـزور والبهتـان ! يشترون بأيمانهم ثمناً قليلا ويتطلبـون بشـهاداتهم الباطلة لُعاعـةً من الدنيا ، أو جاه إنسان والقرب منه !!
لا يحفظون حق الله ، ويعتدون على حرماته ، ويسـقطون حقـوق الضعفة والمساكين . كم من شهادة زور ، سـلبت حقا ! وكم من شـهادة زور أعـانت ظالما ! وكم وكم ... ، لا تنقضي الـدنيا من أفاكين كـذابين ، هـانت نفوسـهم ! ينصـرون ظالمـاً على ضـعيف طلباً في مال أو حباً لوجاهة !!
روى البخاري ومسلم من حديث أبي بكر رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر)) ؟ قلنا : بلى يا رسـول الله ، قـال : ((الإشـراك بالله ، وعقـوق الوالـدين ، وكـان متكئا فجلس ، فقال : ((ألا وقول الزور ، ألا وشـهادة الزور)) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .
قرنها النبي صلى الله عليه وسلم بالشرك بالله ، وكررها لبشاعة ما فيها من الكذب والافتراء ، ولما تورثه من قلب الحقوق وضياع الأموال ، وقد قرنها تبـارك وتعـالى بالشـرك في كتابه . روى عن ابن مسـعود رضي الله عنه أنه قـال (**تعـدل شـهادة الـزور الإشراك بالله**) ، ثم قرأ هذه الآية **(فاجتنبوا الـرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور) .**
ولا يزال النـاس يـروون قصص الهلكى من شـهود الـزور ، بما لو صـدقوا الله لكـان خـيراً لهم ، وقد حلّت بهم النكبـات والفواجع جزاء زورهم ، والله تعالى لكل كاذب وظالم بالمرصاد .
تم الكلام ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

[1] **(?) الحج : 30**

160- قال تعالى : **(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ)**[1]

يبوئ الله تعالى أهل العلم منازل سـامية ، ويجعلهم في زينة من الخـير ، تصـرفهم عن متع الـدنيا وزخارفها ، وتمنعهم من ولـوج ساحة الفتن ، بفضل ما أوتوه من علم وهدي وكانوا فيه صـادقين ، وبه مسـتغنين . وحين تنحـرف الأمة أو تغـتر بما لا قيمة له ، أو تلتبس الأمور ، يصدع أهل العلم النافع بكلمة الحق ، ويكـون لهم دور الفصل والإيضـاح ، ويـدفع الله بكلامهم ومـواعظهم الفتن ، وتحصل به البصيرة والإيضاح .
(وقـال الـذين أوتـوا العلم ويلكم ثـواب الله خـير لمن آمن وعمل صـالحا) وهنا عنـدما اغـتر بعض النـاس بـالمتع الزائلة ، والألـوان الجذابة ، وعظمـوا بعض المسـالك المنحرفة ، خطـأهم أهل العلم وهـددوهم بـأن ما عند الله خـير وأعظم للمؤمنين ، فلا تغتروا بأموال قارون وزينته ، ولا تـزدروا نعمة الله عليكم ، ولا تحسـبوا أنه على شئ ، لأنه ممن عصا واسـتكبر , وقال إنما أوتيته على علم عندي .
قـال تعـالى **(فخـرج على قومه في زينته ، قـال الـذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قـارون إنه لذو حظ عظيم ، وقال الـذين أوتـوا العلم ويلكم ثـواب الله خـير لمن آمن وعمل صـالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون)** .
وهـذا من المقامـات الشـريفة لأهل العلم الأطهـار ، أن يكونـوا إشـعاعة الحق ومصـابيح الـدجى ، عنـدما يحصل الانحـراف ، وتختلط الأمور ، ولا يميزها إلا أهل العلم والبصيرة .
وفي هذه الموعظة من الفوائد : فضيلة أهل العلم ودورهم في إصلاح الناس وتصحيح المفاهيم . وفيها حقـارة الـدنيا وهوانها عند ثواب الآخرة ، **وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم :**
((ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحـدكم أصـبَعه في اليمِّ فلينظر بم يرجع)) وفيها وجوب الإنكار إذا حصلت الفتنة ، والتحذير من فتنة الدنيا وتلاعبها بالناس، والله أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) القصص : 80**

161- قال تعالى : **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ المَثَانِي وَالْقُرْآنَ العَظِيمَ)**[1]

إن هذا القرآن العظيم بما فيه من مواعظ باهرة ، وآيات ظاهرة لنعمةٌ للمسلم تغنيه عن نعم الدنيا وبهارجها ، وإن العبد ليستغني بها عن كل ما يراه من حقائق هذه الدنيا ! فلا تمدن عينيك يا ابن آدم إلى الدنيا ، وقد أكرمك بهذا القرآن وأمتعك بحسنه وحلاوته ، وأغناك بدره وياقوته ، **(ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم)** .
وهذا الخطاب قد كان للنبي صلى الله عليه وسلم ، ينهاه ربه عن أن يلتفت لزينة الدنيا ، وقد آتاه الله ما آتاه من الذكر المبين والهدى المستقيم **(ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم ، لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم)** .
وقد ورد في الصحيح ما يدل على أن الفاتحة هي السبع المثاني ، **قال عليه الصلاة والسلام : ((الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته) .**
وقيل إن السبع المثاني هي السبع الطوال . يروى عن جماعة من السلف ، والأول أقرب من حيث الدليل ، لكن لا يمنع وصف غير الفاتحة بالسبع المثاني ، والقرآن يوصف بأنه مثاني ، قال تعالى :
(الله نزل أحسن الحديث كتاباً مثاني) والمثاني يعني المردد والمكرر ، وقيل تشابه الآيات والأحرف ، وقيل المثاني كون السياق في معنيين اثنين كصفة الجنة والنار ونظائرها .
فيا مسلمون اتعظوا بهذا الكتاب واستبشروا به واستغنوا به عن كل شئ ، فهو هبة الله لخلقه وعطيته لأوليائه وأحبابه جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن ، والمستغنين به .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

---

[1] **(?) الحجر : 87**

162- قال تعالـى : **((وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا))** [1]

أيها الإخوة : كانت حلية الرسل مع أقوامهم الصبر واحتمال الأذى . فليس عند الرسل ما يجـــابهون به أقـــوامهم ، بل ليس من الحكمة مواجهة النـاس بـالعنف والشـدة ! فقد بعثهم الله تعـالى دعاةً إلى سبيله ، هداة إلى نوره ، مصابيح إلى رحمته .
إن مضمون دعـوة الرسل وأتبـاعهم تـوجب عليهم ارتـداء (خلق الصـبر) الـذي به صـمود الداعية وبه احتمـال الطريق ، وبه بقـاء السـير والمواصـلة . كما قـال تعـالى **(ولنصـبرن على ما آذيتمونا)** . لقد آذيتمونا بقـبيح الأقـوال ، وشـنيع الأفعـال ، وصـددتم النـاس عن سـبيل الله وابتغيتم الاعوجـاج في الحيـاة ! وليس لنا تجاه ذلك إلا الصبر .
(ولنصبرن على ما آذيتمونا ، وعلى الله فليتوكل المتوكلون) .
ونحن مع صبرنا عليكم قد اعتمدنا على الله ، فهو حسـبنا ووكيلنا ، يقينا شركم ويكفينا إساءتكم وينصرنا عليكم (**وعلى فليتوكل المتوكلون)** فهو ملاذ الصابرين وملجأ المتوكلين .
وقد كان نبينا صلى الله عليه وسـلم على مرتبة جليلة من الصـبر والتوكل . يحتمل الأذى ويكابد المشـــاق ، ويقتحم الأخطـــار ، متوكلاً على ربه , واثقاً بوعده ونصره . **وكـان من دعائه عليه الصـــلاة والســـلام كما في الصـــحيحين ((اللهم لك أســـلمت ، وبك آمنت ، وعليك تـــوكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصـــمت ، اللهم أعـــوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضـــلني ، أنت الحي الـــذي لا يمـــوت ، والإنس والجن يموتون)) .**
انتهت الموعظة ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---
[1] (?) **إبراهيم : 12**

163- قال تعالى : ((هَلْ أَتَّبِعُـكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً))[1]

إنه لعلامـةُ أدبٍ واستبصـار أن يلين الطـالب للأسـتاذ في التعلم ، فيسأله بأدب ، ويراجعه برفق ، ويعاشـره بخلق ومـروءة ويقـوم على رعايته وحفظه .
وفي قصة موسى عليه السـلام وسـعيه لطلب العلم وأخـذه على يد النـبي الصـالح الخضر عليه السـلام ما يرشد إلى هـذا الأدب ويـدل عليه ، فقد سـأله موسى عليه السـلام متلطفـاً سـؤال الـراغب في العلم ، لا على وجه الإلـزام والإجبـار فقـال **(هل أتبعك على أن تعلمن مما عُلِّمت رُشْدا)**
وفي هذا بيان مشروعية أدب التلميذ مع الشيخ وسـؤاله في رفق وتلطفٍ ، وأن الأدب ليس مخصوصاً بالصغار ، بل لكل متعلم ولو كان كبيراً بل لو كان عالماً !! فموسى عليه السلام رسولُ معلَّم ، ومع ذلك فقد انطلق للعلم وسـافر متحليـاً بـالأدب والتواضع ومراعاة حرمة الشيخ .
وهكـذا العلم الشـرعي لا يكمل لصـاحبه ولا يزيد إلا بتحقيق شـروطه وآدابه . قـال صـلى الله عليه وسـلم كما في الحـديث **الـذي رواه أبو داود والترمـذي والحـاكم بسـند حسن ((ليس منَّا من لم يجـلَّ كبيرنا ، ويـرحم صـغيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه)) وله ألفاظ آخر .**
وفي قصة موسى عليه السـلام تنبيه إلى أهمية الرحلة في طلب العلم ولو في الكِبَر ، وأن فـوق كل ذي علم عليم ، وفيها أهمية التأدب والرفق بالشيخ أثناء التحصيل ، وأن العلم سـبيله التواضع وخفض الجنـاح وليس التعـالي والمفاخرة . وقد قال ناصر الحديث الإمام الشافعي رحمه الله :
(لا يطلبُ أحـدٌ هـذا العلمَ بالملك وعز النفس فيفلح ، ولكن من طلبه بذل النفس وضيق العيش وخدمة العلماء أفلَح)
وفي القصة أيضا أن الـذي يُطلب من العلم ما يسترشد به المسـلم في حياته ، ويسـتنير به قـال **(أن تعلمن مما علمت رشدا)** يعـني شـيئاً استرشد به في أمـري من علم نـافع وعمل صالح .

انتهت الموعظة ، والله تعالى أعلم .

---
[1] (?) الكهف : 66

164- قال تعالى:**(وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْـرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ)**[1]

ليس ثمة سـفاهة وضـلال يحيق بالعبد أعظمَ من الشـرك بالله ، وصرف العبودية لسواه من الأوثان والأصنام والأهواء والشـهوات ! فالله تعالى خلق الخلق لعبادته وتوحيـده ، ولم يخلقهم عبثـاً أو لأهـــوائهم **(وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبـــدون)** . فكل راغب عن التوحيد ، وهي ملة إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام ، سفيه العقل , سئ التدبير ، ضـال المسـلك ! قد آثر السـفَه على الرشد ، واسـتحلى الضـلال على الهـدى ، وجر على نفسه الظلم والويل والنكبـــات كما قـــال تعـــالى **(ومن يـــرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه)** .
إبراهيم عليه السلام كان حنيفاً مسلماً . وحداً لله تعالى كما قال تعالى **(ما كان إبـراهيم يهوديا ولا نصـرانيا ، ولكن كـان حنيفاً مسلما ، وما كان من المشركين).**
وقد أمر نبينا صـلى الله عليه وسـلم بإتبـاع هـذه الملة الحنيفية السـمحة ، الخالصة من الشـرك والشك ، والمتجـردة لله في كل عباداتها وشـــعائرها ، وأمر بـــذلك أمته ، ورتبت على التوحيد الخـالص سـعادة العبد في الـدنيا والآخـرة ، فلا نجـاة ولا فـوز إلا للمسلمين الموحدين سالكي الصراط المستقيم . وهم بتوحيدهم لله قد كملت عقـــولهم وطـــابت نفوســـهم ، ومن عـــداهم قد استوجب السفاهة والبلادة بشركهم وكفرهم وزيغهم ، قال تعالى **(إن الشـــرك لظلم عظيم)** فهم الســـفهاء على الحقيقة ، وأهل التوحيد هم العقلاء لفظـــاً ومعـــنى بفضل نعمة الله عليهم بتوحيده وعبادته وسلوكهم المنهاج القويم . ومن ثمرات توحيدهم سـعادتهم واطمئنـانهم في هـذه الحيـاة وسـلامتهم من الضـلال والخســار ، وفــوزهم برضــوان الله في الآخــرة ، حيث يبــوئهم المنازل الرفيعة في جنات عدن .
وقد غفـرلهم ذنـوبهم ومحا عنهم سـيئاتهم ففي الصـحيحين من حديث أبي ذر رضي الله عنه ، قال : قـال النـبي صـلى الله عليه وسـلم : **((يقـول الله عزوجل .... وفيه ((ومن لقيـني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شـيئا ، لقيته بمثلها مغفرة)) .**
اللهم توفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين .

---

[1] **(?) البقرة : 130**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

165- قــال تعالى : **((إِنَّمَا يَخْشَــى اللَّهَ مِنْ عِبَــادِهِ الْعُلَمَاءُ))** [1]

هذه الآية الكريمة أصل عظيم في فضل العلماء وشـرفهم ، فهي تزكية لهم ، وتبجيل لقـدرهم في امتلاكهم (الخشـية) الـتي هي ثمــرة الــدين والعبــادة ، وهي رأس العلم وأصــله ولبه وروحه ، وكلما كـان العبد أكـثر علمـاً بالله بشـرعه ، كـان أعظم خشـية ومراقبة وإنابة ، وهـؤلاء هم أهل العلم الــذين بلغهم الله منــازل المتقين ، وكانوا في دينه متفقهين وفي سبيله سائرين ومقتدين . وعلم الكتاب والسنة باب الخشية ، ومفتاحها تقوى الله ومراقبته على كل حال ، فليس العبرة بكثرة العلم وبكثرة المقروء ، وإنما العبرة بكثرة الخشـية والمراقبة لله تعـالى . وإنما ينفع من العلم ما وقَر في القلب ، وانتفعت به النفس ، وظهر في ســـــــلوك المسـلم وحياته . **قـال ابن مسـعود رضي الله عنه (ليس العلم عن كثرة الحديث , ولكن العلم عن كثرة الخشــية) .** فربَّ عبد قد قرأ القـرآن كله ، وليس له أثر في حياته ، ورب آخر قد قرأ شيئا من القرآن ، فهو متقٍ لربه ، خــائف من عذابه ، يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه .

وقد اشـــتهر عن بعض الســلف قـــولهم (رأس العلم خشية الله تعالى) .

ويـــروي عن الإمـــام أحمد رحمه الله أنه ذكر في مجلسه العابد الصـالح معـروف الكـرخي رحمه الله فقـال بعض من حضر : هو قصير العلم ، فقال له أحمد : أمسك عافـاك الله ، وهل يُـراد من العلم إلا ما وصل إليه معروف !!

وفي رواية : قــال له ابنه عبد الله : يا أبي هل كــان مع معــروف شئ من العلم ؟ فقال : يا بني كان معه رأس العلم : خشـية الله تعالى .

والمهم أن العلم الشـــرعي طريق إلى خشـــية الله لمن أحسن قصده ، واتقى ربه ، وعمل بما علم ولو كان شيئا يسيراً .

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] (?) **فاطر : 28**

166- قال تعالى : **((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ))** [1]

ومن عظمة هــذا الكتــاب العزيز ، أنه حــوى كل خــير وفضل ، وجعله الله تبياناً لكل شئ ، أبانَ اللهُ به الشـرع ، وكشف الباطل ، وأوضح الحلالَ والحـرام ، وفصَّـل الله به حقـائق الإسـلام ، فلا يرتاب المسلم في شئ من دينه وهو يطالع هذا القرآن ، ويــؤمن به ويقـرؤه حق قراءته ، قـال تعـالى **((ونزلنا عليك الكتـاب تبياناً لكل شئ))**.
ومن تبيانه أن جلّى لنا الخـيرات ، وحضَّ عليها ، وأبـانَ السـيئات وحــذر منها ، وجعله الله حاويــاً لكل أمــور الخــير والفضــيلة ، ومشــتملاً على العلــوم النافعة ، والمعـارف الصـالحة من خــبر الســابقين وعلم اللاحقين ، ومنهـــاج الشــريعة ، وما النـــاس محتاجون إليه في أمر دنياهم ودينهم وحياتهم ومعادهم .
فالقرآن يجلي للمسلم عقيدتَه الصحيحة من الإيمان بالله واليـوم الآخر ، ويفصل أبــواب الخــير ويــرتب عليها الثــواب العظيم في الجنة الباقية ، ويصف لنا ما في الجنة من لذائذ النعيم ، وألـــوان الخـير والسـعادة كقوله **(فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين) .**
ويحض هذا الكتاب على سلوك الصراط المستقيم ، ومتابعة أهله فيه ، ويحذر من طريق الضالين ، ومن عبادة المشركين ويبين ما أعـده الله تعـالى لهم من الحسـرات والأنكـال في نـار الجحيم . كقوله **(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) .**
ويهدي هذا الكتاب العظيم المسـلم إلى طلب الطيبـات واجتنـاب الخبــائث في أمــور المســكن والمعــاش كقوله **(ويحل لهم الطيبــات ويحــرم عليهم الخبــائث) .** فهو مــبين لكل ما يحتاجه المسلم في شئون حياته وآخرته .
فهو مع بيانه وإيضاحه قد جعله الله رحمـةً لعبـاده يهـدي قلـوبهم ويصلح نفوسهم ويشرح صـدورهم ، فهو كتـاب الهـدى والرحمة ، وهو بشرى لأهل الإسلام ينير حيـاتهم ، ويبشـرهم بما أعـده الله لهم من العز والتمكين في الدنيا ، ومالهم من المقامــات الرفيعة في جنــات النعيم . كما قــال تعــالى **(وبشر عبــاد الــذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) .**

---

[1] **(?) النحل : 89**

جعلنا الله وإياكم منهم ، ونفعنا بهدي كتابه ومواعظه إنه جواد كريم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

167- قـــال تعالى : **((لاَ تُقَـــدِّمُوا بَيْنَ يَـــدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ))** [1]

وهذا خطـاب عظيم لأهل الإيمـان ، غايته تـأديبهم ، وزجـرهم عن المسارعة في الأشياء بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قــولاً وفعلاً ، بل يكونــون تبعــاً له في كل شئ ، حــتى تصــدق الطاعة ، ويخص نبينا صلى الله عليه وسلم بالتوقير والاحترام .
وإن توقــيره وتعظيمه من تعظيم الله تعـالى ، لأنه المبلغ لشــرع الله ، والهادي إلى صراط المستقيم . فليحـذر المسـلم مصـادمة هذا الأدب الكريم ، فهو عنوان السلامة وبريد الاهتداء والاستقامة .
(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يـدي الله ورسـوله ، واتقوا الله إن الله سميع عليم) ومن التقديم بين يدي الله ورســوله : مخالفة الكتــاب والســنة ، والتعبد بخلاف المشــروع ، ومن التقـديم الافتئـات على رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم بشئ لم يقله ولم يفعله . ومن التقـــديم أيضـــاً التكلم بين يـــدي كلامه ، وعدم الخضوع والتأدب لأوامره وأقواله . وكل حــدث في الــدين وابتـداع فهو تقـديم واعتـداء , ومن تسـنن بخلاف السـنة الصـحيحة فقد قـدم بين يـدي الله ورسـول الله صـلى الله عليه وسلم . قال تعالى **(فليحذر الذين يخـالفون عن أمـره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .**
وفي الصــحيحين من حــديث عائشة رضي الله عنهــا ، قالت : قال رسول الله صـلى الله عليه وسـلم : ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)) .
وقد كان السـلف الصـالح رضي الله عنهم على منهـاج قـويم من المتابعة والاقتـداء بالسـنن ، ويخاصـمون كـلَّ معتـدٍ أو منابذ لها ، فقد ثبت في المتفق عليه عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخَـذْف ، وقـال **((إنه لا يقتل العبد ، ولا ينكأ العـــدو ، وإنه يفقأ العين ويكسر السن))** والخذف : رمي الحصى بالسبابة والإبهام .
وفي رواية للحديث : أن قريباً لابن مغفل خـذَف فنهـاه ، وقـال : إن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم نهى عن الخـذف ، وقـال : **((إنها لا تصيد صيدا))** ثم عاد فقال : أحدثك أن رســول الله صـلى الله عليه وسـلم نهى عنه ، ثم عـدت تخـذف !؟ لا أكملك

[1] الحجرات : 1

أبدا . وهكذا يكون زجر المخالفين لهدي الكتاب والسنة بعد العلم والبيان.

تم الكلام ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

168- قـــال تعالى : **((يَـــوْمَ يَقُـــومُ النَّاسُ لِـــرَبِّ العَالَمِينَ))** [1]

أيها الإخـوة : آية في كتابنا عظيمة ، ما أكـثر قـراءةَ النـاس لها ، وما أقلّ تدبرهم فيها !! **(يوم يقوم الناس لرب العـالمين)** هل تفكر أحدنا في هذا القيـام وأعـدَّ له عدته ، وأخذ له أهبته من التزود بالأعمال الصالحة ، والتشبث بـالخيرات والفضـائل ، لينجو من حسرات ذلك القيام في يوم عصيب لا ريب فيه .
قد خضع الناس لربهم فيه حفاة عراة غُرلاً ، قد تغشَّـاهم الكـرب والضـيق والضـنك في يـوم عظيم شـديد كـان شـره مسـتطيراً ، وعبوساً قمطريرا .
ثبت في المتفق عليه عن ابن عمر رضي الله عنهما ، **أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((يقوم الناس لـرب العـالمين حـتى يغيبَ أحـدهم في رَشْـحه إلى أنصاف أذنيه))** . وفي ذلك القيام تدنو الشمس منهم قدر ميل ، فتصـهرهم فيكونـون في العـرق على قـدر أعمـالهم قد تلاشت الأنساب ، وضـاعت العلاقـات ، وتقطعت بهم الأسـباب . ولم تبق إلا الأعمال الصالحة ، فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها .
أخرج البخاري في كتاب الرقاق عن ابن عباس في قوله تعـالى **(وتقطعت بهم الأسباب)** قال : **الوصلات في الدنيا .**
وفي الصـحيحين عن أبي هريـرة رضي الله عنه ، **أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قـال : ((يَعـرَقُ النـاس يـوم القيامة ، حتى يذهبَ عرقُهم في الأرض سـبعين ذراعا ، ويُلجمهم حتى يبلُغَ آذانَهم)) .**
فيا من أسـرفَ وغفَل ، تـذكّر أن وراءك قيامـاً خطـيراً في يـوم خطـير مهـول ، كـائن لا محالة . فمـتى الاتعـاظ ، ومـتى التوبة والإنابة ؟!

---

[1] **(?) المطففين : 6**

169- قال تعالى : **((وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ))** [1]

كانت هذه الكلمة من وصايا لقمـان النافعة لابنه ، الـتي حكاها لنا القرآن ، فقد امتن الله تعالى على العبد الصالح لقمان بالحكمة ، وهي الفهم والعلم ، وخليق بمن يـؤتى هـذا الفضل والتكـريم أن ينشــره في أحب النــاس إليه كــأولاده وقرابته . فحض ابنه على عبادة الله وحده دون شريك ، وأوصاه بالإحسان لوالديه ، ثم بين له علم الله الواسع ، وإحاطته البالغة بكل صـغير وكبـير في هـذا الكون ، وأنه لا تخفى عليه خافية ، تبارك وتعالى .
ثم أرشــده إلى إقامة الصـلاة ، إقامــةً صـحيحة ، وأمــره بــالأمر بــــــالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وبين له أن الأمر والنهي لا يتمـان إلا بالصـبر ، الصـبر على المواجهة ، والصـبر على الأذى ، فقال تعالى :
(يا بني أقم الصلاة ، وأمر بالمعروف ، وانه عن المنكر ، واصبر على ما أصابك ، إن ذلك من عزم الأمور) .
فالآمر والداعية إلى الله تعالى ، لا بد أن يصيبه أذى ، أو يُرصد له كيد ، أو بلاء في دعوته وأمره ونهيه ، فليقـاوم ذلك كله بالصـبر . فهو خلق الأنبيـاء ،ووقــود الــدعاة ، وحلية المهتــدين ، فقد قــال الرسل لأقـــوامهم **(ولنصـــبرن على ما آذيتمونا)** والصـــبر طريق إلى الجنة ، قــال تعــالى **(أولئك يجــزون الغرفة بما صبروا)** .
وقد قـال نبينا صـلى الله عليه وسـلم مشـيداً بفضل موسى عليه السلام وصبره كما في الصحيحين : **((رحم الله أخي موسى ، لقد أوذي بأكثرَ من هذا فصبر))** . وقد قالها النـبي صـلى الله عليه وسلم عندما بلغه اعـتراض بعض النـاس على قسـمته ، وقـالوا : ما أراد محمد بهـذا وجه الله ، فتمعر وجهه ، وقـال ذلك الحديث .
وهكذا كل داعية ومحتسب هو عرضة لأن يُنالَ منه بالكلام والأذى والسـخرية ، فليصـبر وليحتسب ، فـإن الله مؤيـده وناصـره ، إذا صدق وابتغى بنصحه وجه الله تعالى .
وفي قصة لقمـــان من الفوائد : فضل لقمـــان ، ومحبته وشـــفقته بابنه ورعايته بالنصـــائح المهمة في التوحيد والعبـــادة والأخلاق ، وفي ذلك تنبيه للآبـــاء أن يتعهـــدوا أبنـــاهم بالموعظة والنصح متى رشدوا وميزوا ، فإن ذلك تربية لهم ، ومحبة صـادقة لهم .

---

[1] **(?) لقمان : 17**

تمت الموعظة ، والله الموفق .

170- قــال تعالـى : **((فَعَلِمَ مَا فِي قُلُــوبِهِمْ فَـأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ))** [1]

أيها الإخوة : إن الله تعـالى لا ينظر إلى صـورنا وأجسـامنا ، وإنما ينظر إلى قلوبنا وأعمالنا ، فــإن صــلحت القلــوب فقد صــلحت الأعمــال ، إذ تفيض عليها الرحمة والســكينة ، ويحل بها النــور والهدى ، فتنطلق في سيرها إلى الله غير مبدلة ولا شاكة .

وإنما تُعرَفُ الأنفسُ بصدقها في الأحوال الشديدة ، التي تكشِــف ما في داخلها من إقبال أو فرار وانقياد أو تذبذب . وقد اطّلع الله على قلــوب المؤمــنين المرضــيين في صــلح الحديبية ، وكــان تعـدادهم ألفـاً وأربعمائة رجل فعلم سـبحانه ما في قلـوبهم من الإيمان الصادق ، وتمـام الانقيـاد والسـمع والطاعة ، فأثـابهم الله تعالى رضوانه وجنته بما صدقوا رسول الله ما وعدوه من الثبـات والانقيـاد ، والمبايعة على المـوت، فقد بـايعوا رسـول الله صـلى الله عليه وسلم على الموت عندما أُشيع خـبر قتل عثمـان رضي الله عنه في مكة ، وكـان الجيش المسـلم قد صُـدَّ عن الـدخول حنَقاً وعناداً من قريش وذلك في ذي القعدة من السنة السادسة من الهجرة ، فقال تعالى في شأنهم :

(لقد رضي الله عن المؤمــــــــــنين إذ يبايعونك تحت الشـجرة فعلم ما في قلـوبهم فـأنزل السـكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا ومغانم كثـيرة يأخـذونها وكـان الله عزيزاً حكيما).

وقـــــال صــــلى الله عليه وســــلم في أهل الحديبية المبــايعين ((أنتم خــير أهل الأرض اليــوم)) ، وقــال ((لن يَلِجَ النارَ رجل بايع تحت الشجرة)) .

فقد فاز أهل الحديبية بهذا الفضل الكبير لسلامة قلوبهم وامتلائها بالإيمان والصـدق ، الـذي حـداهم للمبايعة والمجابهة مهما كـانت الأخطـار ، وعظمت الأرزاء . وقد قـال عليه الصلاة والسـلام كما في الصــحيحين **((ألا وإنّ في الجسد مضــغة إذا صــلحت صـــلح الجسد كله ، وإذا فســـدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب)) .**

انتهت الموعظة ، والله تعالى أعلم .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

---

[1] **(?) الفتح : 18**

171- قـــال تعالـى : ((**إِنَّهُمْ كَــانُوا يُسَــارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ**)) [1]

إن أهل الإيمــان إذا علمــوا ما أعد الله لهم من الأجر والكرامة ، امتطوا سـاعدَ الجد إلى طاعته وتفـانوا في حبه وعبادته ، وكـانوا من المسارعين في الخيرات ، المبادرين إلى القربات . وهنا ثنـاء جليل من ربنا تعــــالى على زكريا وأهل بيته **(إنهم كــــانوا يسارعون في الخيرات ويـدعوننا رغبا ورهبا وكـانوا لنا خاشعين)** أي متواضعين ومتذللين .

والمسارع إلى الخيرات دائم الحرص والجد ، لا يعرف الكسل ولا التــواني . يحافظ على الفــرائض ، ويعتــني بالنوافل ، وله أوراد يتردد عليها ، وإذا رأى فضيلةً سابق إليها أوسمع بسنة فعلها ، ولا يزال متطلباً للخيرات ، ولو حـالت الصـروف والأدواء . فلقد وجد فيها لذته ومناه ، وعزّ عليه تركها أو الانشغال عنها .

وقد كـان سـلفنا الصـالح رضي الله عنهم أشد الأمة سـراعاً في الخيرات ، وبداراً للفضائل لا تعيقهم المصالح ، ولا تصرفهم الدنيا ، لأنهم يرغبون ما عند الله تعالى .

قال أنس رضي الله عنه كما في الصحيحين ، كان أبو طلحة أكثر أنصـاري بالمدينة نخلا ، وكـان أحب أمواله إليه بيرُحـاء ، وكـانت مسـتقبلة المسـجد ، وكـان رسـول الله صلى الله عليه وسـلم يـدخلها ويشـرب من مـاء فيها طيّب ، فلما أنـزلت **(لن تنـالوا الـبر حـتى تنفقـوا مما تحبـون)** قـام أبو طلحة فقـال : يا رسول الله ، إن الله يقـول : **(لن تنالوا الـبر حـتى تنفقـوا مما تحبون) .**

وإنّ أحبَّ أمــوالي إلي بيرُحــاء ، وإنها صــدقة لله ، أرجــوا برَّها وذُخْرَها عند الله ، فضَــعْها يا رســول الله حيث أراك الله ، قــال رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم : **((بخٍ ، ذلك مال رايح ، ذلك مــــال رايح ، وفي رواية : رابح . وقد ســـمعتُ ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقــربين)) .** قــال أبو طلحة : أفعلُ يا رسول الله ، فقســمها أبو طلحة في أقاربه وفي بــني عمه . وهــذا لفظ البخــاري : ومعــني بيرحــاء : بفتح البــاء وكسرها :- حديقة نخل . ومعني رايح : أي رايح عليك نفعه.

جعلنا الله وإياكم من المسارعين في الخيرات .

---

[1] (?) **الأنبياء : 80**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

172- قــال تعالـى : ((**أَتَقْتُلُــونَ رَجُلاً أَن يَقُـولَ رَبِّيَ اللَّهُ**)) [1]

عندما تنتهك الحرمات ، وتختلط الأمور ، وتسود الضلالة ، ويصــير شرار الناس أبرارا ، وخيـارهم فجـارا !! فلا بد عنـدها من الكلمة الصادقة ، والإنكار الحازم ، الذي يقيم الحق ، ويصلح الاعوجــاج ! لكي تســتقيم الحيـاة ، ولا تغـرق الســفينة ، ومن ذلك ما صـنعه (المؤمن المجاهد) مؤمن آل فرعون ، فلقد صدع بكلمة الحق ، وأخذته غضْبةٌ لله ، ذبَّ من خلالها عن موسى عليه السلام ، وعن دينه الحق ، وهدى قومه للسـلامة والرشـاد ، وذكـرهم بنعمة الله عليهم ، وحــذرهم بأسه ونقمته ، وقد كــان هــذا الرجل الصــالح قبطيـاً من آل فرعـون ، وقيل إنه كـان ابن عمه ، وقد كـان يكتم إيمانه وقد نجاه الله مع موسى وقومه .

فيقول في موعظته وإنكاره **(أتقتلـون رجلاً أن يقـول ربي الله ، وقد جاكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذبـاً فعليه كذبه ، وإن يك صـادقاً يصـبكم بعض الـذي يعـدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب) .**

وكــان فرعــون الخــبيث قد توعد أن يقتل موسى عليه الســلام بزعمه أنه قد بدل دينهم، وانه يد عو إلى الفساد ، وزعم فرعــون أنه بهذا الهراء ناصح وواعظ . وهذا من الأعاجيب ! فلم يطق هذا الرجل الصالح هذا الظلم ! وكيف يُعتــدى على دعـاة الله ، وعلى أنصار دينه ، وعلى من يوحد الله ، وقد جاءنا بالبينات الواضــحات ، والدلائل الصحيحات؟!!

وقد فاز هذا المــؤمن بمكرمة **(أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)** . وشِبهُ ذلك ما فعله أبو بكر رضي الله عنه في ذبِّه عن رســـول الله صــــلى الله عليه وســـــلم ودفعه عنه أذى المشـركين , ففي صـحيح البخـاري من حـديث عـروة بن الزبـير رضي الله عنهما أنه قــال : قلت لعبد الله بن عمــرو بن العــاص رضي الله عنهما ، أخبرني بأشد شئ صـنعه المشـركون برسـول الله صلى الله عليه وسلم قـال : بينا رسـول الله صـلى الله عليه وســلم يصــلي بفنــاء الكعبة ، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله صـلى الله عليه وسـلم ، ولـوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديدا ، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن النـبي صلى الله عليه وسلم ثم قال **(أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم)** .

---

[1] (?) **غافر : 28**

وفي هـــذه الموعظة من الفوائد : مشـــروعية الـــذبِّ عن الدعاة والصالحين ، وفضيلة الإنكار والصدع بالحق ، وفيها سلامة منهج الأنبياء وأتباعهم ، وأنهم لا يأتون إلا بـالحق والبينـات ، وفيها حماية الله تعـالى لأوليائه ودعاته ، وأنه لا تخلو الأرض من قــائم لله بحجة ، يدعو إلى الهدى ويحذر من الضلال والغواية .

تم الكلام ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

173- قـال تعالـى : **((وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا))**[1]

حين يشق على الأعــداء مجابهة الأمة المؤمنة ، فــإنهم يلجــؤون إلى أسلوب ما كر خبيث مريح ، وهو إثـارة البلبلة والخلافـات في المؤمنين ، ومحاولة تفريقهم بسهام التنـازع والتنـافر ، فهو أحكم سبيل لهدّ الوحدة ، وتفـتيت القـوة ، وإحكـام الضـعف والهزيمة ، ولذا حذر الله عباده المؤمنين من التنازع ، وأمــرهم بالطاعة عند المواجهة ، وبالثبات وكثرة الذكر والتحلي بالصبر .
قـال تعـالى **(يا أيها الـذين آمنـوا إذا لقيتم فئة فـاثبتوا واذكـــروا الله كثـــيراً لعلكم تفلحـــون، وأطيعـــوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ، إن الله مع الصابرين) .**
كيف تقـــوى الأمة وقد اختلفت ؟! كيف تجاهد وقد تنـــازعت ؟! وكيف تستعد وقد تفرقت وتحزبت؟! **(ولا تنازعوا فتفشــلوا)** ليس ثمة فلاح مع التنـازع وليس هنـاك تقـدم مع التنـازع ! **(ولا تنازعوا فتفشلوا)** تحصل الهزيمة ويقع الفشل ويدب التخـاذل .
(وتذهب ريحكم) أي لا تبقى لكم قـوة ، تنـدرس القـوة ، وتنهد الوحدة ، ولا تبقي إلا الفرقة والهزيمة والهوان ، التي كـان سـببها التنازع ، الموحى من الأعداء والشيطان فقد سـمحوا للأعــداء أن يدخلوا ميدانهم ، واقتنعوا بألاعيب الشـيطان وحبائله ، فـزين لهم منازعة إخوانهم في الفضل والعلم والجاه ، والنظر في مكارمهم ومفاخرهم ، فاختلفت القلوب وتنافرت النفوس ، وهـذا ما يريـده الأعداء والشيطان .
ثبت في الحـــديث الـــذي رواه أحمد في مســـنده ومســـلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال : **((إن الشـــيطان أيس أن يعبـــده المصـــلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم))** .
وهذا التحريش هو شرارة التنازع والاختلاف ، المفضي إلى زلزلة الجماعة المسـلمة ، وتفكيك بنيانها المرصـوص ، وتفريقها شـيعا وأحزابا ، وليعلم أن تكـــاتف المســـلمين واجتمـــاعهم ســـبب لانتصارهم وظهورهم , وما عــداه من التنــازع فهو طريق الهزيمة والفشل والضياع .
اللهم أجمع المسلمين ، وألف بين قلوبهم .

---

[1] (?) **الأنفال : 46**

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

174- قـال تعالـى : **((وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَـلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا))**[1]

أيها الإخوة : لماذا يغشى التنازعُ الأمةَ المسلمة ، وقد أكرمها الله تعــالى بطاعته ، والانقيــاد لشــرعه ، الــذي من طبعه التــأليف والتقارب والإخاء ، قال تعـالى **(إنما المؤمنون إخـوة)** وإنما يقع التنـازع عند ما يصـاب الإيمـان بكـدرة أو بصـفرة، وتنحـرف الطاعة عن جادة الاستسلام لله ورسوله صلى الله عليه وسلم **(وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا).**
إن طاعة الله ورســوله عليه الصــلاة والســلام تقضي المضي والسـعي في خدمة الإسـلام مصـالحه وقضـاياه ، وليس للنفس منها حظ ، إلا الأجر والثواب عند الله تعالى .
ولكن عنــدما يغشى الطاعة شئ من الهــوى والطمع ، وتصــبح خدمــةُ الإســلام مطيــةً لحظــوظ النفس من جمع النــاس ، أو اكتسـاب الظهـور أو حيـازة الصـيت ، فـإن ذلك مفضٍ إلى عـدم الاجتماع والائتلاف ، ويصبح كل عاملٍ يعمل لنفســه، وليس لـدين الله ، وإن كان في الظاهر ، موهماً للعمل والجد والتفاني .
فهذا العامل يعتز بنفسه وبعلمه ولا يرتاح إلا لرأيه ولا يستمع لمن هو أعلم منه وأجل وأكبر ، وهذا سـبب خطـير للتنـازع ، وإشـاعة الفرقة بين المسلمين ، والضحية عوام المسلمين الـذين جـرفهم ذلك المغرور إلى الحيرة والاضطراب .
وتصــبح الأمة تســير على اعوجــاج بلا راية واحــدة ، وبلا طريق منتظمة ، إذ تسود الفوضى ، ويقل الإخاء ، ويختفي الود والصفاء ، وكل ذلك ســببه الإخلال في الطاعة والمراوغة في الامتثــال ، لأن الطاعة الصادقة تنهى عن التفكك والتفـرق وتـأمر بالاجتمـاع والتعاون **(ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)** .
ومن نتـائج التنـازع الهزيمة والضـياع والفرقة والانحلال والقطيعة والتشاحن ، وقد قال صلى الله عليه وسـلم كما في المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه قـال : **قـال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم : ((لا تقاطعوا ، ولا تـدابروا ، ولا تباغضـوا ، ولا تحاســدوا ، وكونــوا عبــاد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث))** .
ما أعظمَها من كلمات لمن وعاها وتـدبرها ! إذ إن إخـوة الـدين ، ووحـدة الجماعة المسـلمة تـأبى الانصـياع لأهـواء النفس وغوائل الشـيطان ، طلبـاً للسـلامة والظفر ، وإلا فـإن في النفس خللاً ،

[1] (?) الأنفال : 46

وفي القلب داء ، فالمسارعة للــدواء والعلاج هو أحسن ما يطلب في تلك الحالة .

اللهم آت نفوسنا تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها .

175- قـال تعـالى:**(وَاصْـبِرْ نَفْسَـكَ مَـعَ الَّذِينَ يَـدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ)**[1]

إنها لغنيمة للمســـلم أن يوفق لمخالطة أهل الـــذكر والإيمـــان ، فيحظى بمجالستهم ، وينعم بأخلاقهم ، وينتفع بمواعظهم لا سيما ونحن في زمـــان كـــثرت فيه المجـــالس على غـــير ذكر الله ، وانعقــدت المنتــديات لسـقيم القــول وضـعيفه ، بل ربما سـيئه وقبيحه من كـــذب وغيبة ونميمة ! وغفَل هـــؤلاء عن أثمن النعم وأزكاها وهو (الـوقت) ، الـذي دأَبَ كثـير على قتله وتضـييعه ، **وقد قيل (من علامة المقت إضـــاعة الـــوقت**) . والله تبارك وتعالى يأمر نبينا صلى الله عليه وسـلم بـأن يجلس لـذكره وعبادته ، ولو مع ضعفاء النـاس وفقـرائهم ، لأنهم هم أهل الـذكر والقرآن ، فقال تعالى :

(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم).

وقد روي أن هذه الآية الكريمة نـزلت في أشـراف قـريش ، حين طلبوا من النـبي صـلى الله عليه وسـلم أن يجلس معهم وحـده ، ولا يجالسهم بضعفاء أصحابه كبلال وعمـار وصـهيب وخبـاب وابن مسعود ، وليفـرد أولئك بمجلس ، على حـده فنهـاه الله عن ذلك فقال **(ولا تطرد الذين يـدعون ربهم بالغـداة والعشي)** الآية ، وأمـــره أن يصـــبر نفسه في الجلـــوس مع هـــؤلاء فقـــال **(واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي)** الآية .

وفي هذه الموعظة فضيلة مجالس أهل الخـير والـذكر ولو كـانوا ضعفاء ، فمعهم النفع والبركة للإنسان ، وفيها الحذر من مجالس ذوي الشـرف والمكانة الـذين ضـيعوا ذكر الله ، وكـانوا من عبيد الـدنيا ، فـإن مجالسـهم مفسـدة للقلب ، مضـيعة للـوقت ، قـال تعـالى **(ولا تعد عيناك عنهم ، تريد زينة الحيـاة الـدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هـواه وكـان أمره فرطا)** .

والمعــنى : لا تنصــرف إلى من اشــتغل بالــدنيا عن ذكرنا ، واتبع هواه ، وكانت أعماله سـفاهة وضـياعاً وتفريطا ، فلا تكن مطيعـاً لهم ، ولا محباً لطريقتهم .

---

[1] (?) **الكهف : 28**

وفي جلوس المسلم مع الضعفاء الصلحاء علامة تواضع ولطافة ، يشـعرهم بالمحبة والإحسـان ومزيد الاحـترام ، وقد قـال تعـالى **(واخفض جناحك للمؤمنين)** وهذه أخلاق الأنبياء وأتباعهم .
اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .